رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخمر

بين الطب والفقه

الدكتور محمد علي البار

الدار السعودية للنشر والتوزيع

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخمر

بين الطب والفقه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدار السعودية
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

جدة :

الادارة : البغدادية - عمارة الجوهرة - الدور الثاني - شقة رقم ٧ - ١٢
تليفون ٦٤٣٢٨٢١/٦٤٢٤٠٤٣ - برقياً : نشردار
تلكس ٤٠٤٣٥١ نشرا - ص . ب ٢٠٤٣

المكتبة : شارع الملك عبد العزيز - تليفون رقم ٦٤٧٨٧٢٣

المكتبة : شارع فلسطين - مركز الزومان - تليفون ٦٦٠٨٩٦٤

الدمام : الشارع العام - ص . ب ٨٩٩ - تليفون رقم ٨٣٢٣٥١٥/٨٣٣٥٥٢٠

الرياض : السليمانية - ص . ب ٩٤٧٣ - تليفون : ٤٦٤٧٥١٥/٤٧٦٩٠٨٦

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الغلاف والإخراج الفني
عبد السلام الشريف

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » . صدق الله العظيم .. (المائدة ٩٠ ـ ٩١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . » (أبو داود)

وقال إبن مسعود (رضي) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » . (أخرجه البخاري)

وسأل طارق الجعفي النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه فقال : إنما أصفها للدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » (أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي)

وعن أبي هريرة (رضي) « نهى رسول الله عن الدواء الخبيث » . (أبو داود)

وعن طارق بن سويد الحضرمي قال : قلت يا رسول الله إن بأرضنا أعناباً نعتصرها فنشرب منها . قال لا . فراجعته قلت : إنا نستشفي للمريض . قال : إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » (أخرجه مسلم)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً على ما أنعم وأولى والصلاة والسلام على خيرته من خلقه وصفوته من إنسه وجنه وعلى آله ومن والاه .

أما بعد .

فإنني أقدم بين يدي القارئ الكريم هذه الطبعة الخامسة مزيدة منقحة بعد أن نفذت الطبعات السابقة والتي توالت في خلال خمس سنوات دون أن أتمكن من إصدارها منقحة مزيدة .

فقد قامت إدارة الإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية مشكورة بإعادة طبع الكتاب تصويراً وأسندت ذلك إلى أحد الناشرين كما قام الناشر الأول وهو دار الشروق بجدة بإعادة طبعه تصويراً عدة مرات .

وفي هذه الطبعة قمت بتصحيح كثير من الأخطاء المطبعية وأضفت إليها بعض التعليقات المهمة في الهامش نتيجة لكثرة ما نشر وينشر في المجلات والكتب الطبية مما يجد ويكتشف حول أضرار الخمر وكيفية تسبيب هذه الأضرار .

كما قمت بإعادة ترتيب الكتاب وإضافة فصول جديدة هي :

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١) هل للخمر منافع ؟
٢) نجاسة الخمر والكحول والكولونيا
٣) المشروبات الغازية والكحول
٤) تحريم الخمر
٥) الخمر وأمراض الجهاز التنفسي
٦) الخمر وأمراض الغدد والاستقلاب
٧) تفاعلات الكحول مع الأدوية

أما فصل مشكلة الإدمان فقد أعدت كتابته وتوسعت فيه توسعاً كبيراً حتى ليصلح أن يكون رسالة مستقلة وقد تعرضت فيه لأبعاد مشكلة الإدمان وخاصة في المجتمعات الغربية ومعنى الإدمان وأسبابه ثم تعرضت لمشكلة الخمور في البلاد العربية والإسلامية وأغلب حكومات وقوانين هذه الدول تبيح شرب الخمور والترويج لها بل إن بعضها يقوم بصنعها باسم الدولة ويعتبر ذلك أحد إنجازاته الثورية !! رغم أن دين الدولة الرسمي الإسلام وهو يمنع شرب الخمور والإتجار بها والإعلان عنها منعاً باتاً .. ثم تحدثت عن طبقة المدمنين في البلاد الغربية وقارنتها بطبقة المدمنين في البلاد العربية والإسلامية وللأسف وجدت أن أغلب المدمنين في البلاد العربية والمسلمة من الطبقات العليا أي من الحكام والأغنياء والمترفين والمثقفين بينما أغلب المدمنين في البلاد الغربية من الطبقات السفلى في المجتمع . ثم تعرضت لتجربة الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية في محاربة الإدمان وكيف أنها قامت بتحريم الخمور عام ١٩٢٠ واستمرت إلى عام ١٩٣٣ وكيف فشلت تجربة المنع . وما هي أسباب الفشل .. ثم تعرضت لتجربة مماثلة حدثت منذ ١٤٠٠ عام وكيف كان المجتمع الجاهلي يكاد يعبد الخمر وكيف استطاع الإسلام أن يمنع شرب الخمر ويجفف مصادرها .. ولماذا نجح الإسلام وفشلت الولايات المتحدة الأمريكية فشلاً ذريعاً في محاربة الخمر وتعرضت لرأي توينبي في أنه لا خلاص ولا أمل للبشرية من الخروج من مشكلة الخمر إلا بالإسلام .. ثم تعرضت للمعجزة التي حققها الإسلام في القرن العشرين في مجتمع السود في الولايات المتحدة ذاتها .. وكيف نجح الإسلام نجاحاً

مذهلاً في تغيير نمط حياة هؤلاء البؤساء الذين دفع بهم الرجل الأبيض إلى مستنقعات الجريمة والإدمان خلال قرون من الإذلال والاستغلال .

وفي الفصل الأول حول تعريف الخمر كانت هناك إضافات كثيرة لغوية وفقهية كما أضفت إضافات كثيرة في فصل التداوي بالخمر وتعرضت لآراء الفقهاء كما ذكرت في كتب الفقه . وتطرقت إلى التداوي ببعض المواد المخدرة أو المذهبة للعقل مثل البنج والمهدئات والمنومات وغيرها من العقاقير والمسببة للإدمان والتعود مثل الأمفتيامين (حبوب الكيغو) والقات .. وإن كانا في ذاتهما غير مسكرين ..

واستفدت استفادة جمة وخاصة في فصل نجاسة الخمر من مناقشتي مع العلامة السيد محمد أحمد الشاطري فجزاه الله عني خير الجزاء . وكذلك ساعدني الشيخ عبد الوهاب الديلمي والشيخ علي محمد الزبيري في استخراج رأي الزيدية في تعريف الخمر وحكمها من البحر الزخار وقد كان الدكتور فكري أحمد عكاز قد نسب إليهم وإلى الإمامية أنهم يقولون كما يقول الأحناف بأن الخمر من العنب وأن القدر غير المسكر من غيرها من المسكرات لا يدخل في الحرمة .. ولكني وجدت الشيعة الإمامية والزيدية يتفقون مع الجمهور في حرمة جميع المسكرات سواء كانت من العنب أو غيره ويستوي في ذلك قليلهما وكثيرهما «وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام» «وما أسكر كثيره فقليله حرام» . وجزى الله الشيخ الديلمي والشيخ الزبيري عني خيراً .

وكذلك أشكر كل من ساهم برأي أو توجيه أو نصيحة لإخراج هذا الكتاب كما أشكر للناشر الأول دار الشروق بجدة ، وللناشر الثاني الدار السعودية لاهتمامهما بإخراج الكتاب بصورة مشرّفة .

وبهذا أرجو أن يكون الكتاب مرجعاً متكاملاً حول الخمر وأضرارها الطبية وحكم استخدامها في الدواء وجميع ما يتعلق بها من أحكام مرتبطة بالنواحي الطبية حسب ما يقرره الشرع الحنيف .

والله أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره كما نفع بطبعاته السالفة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن الخمر داء ولما كان الصادق المصدوق لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى علمه شديد القوى ، بحثت فيما لدي من كتب الطب وجمعت معلوماتي عن الخمر وتجاربي مع مرضاي ممن ارتكس في حمأتها فوضعت هذا الكتاب سائلاً من الله التوفيق والإعانة .. والإيضاح والإبانة ..

ووجدت كما سيجد القارئ عجباً .. أمراض وأدواء لا حصر لها تسببها الخمر وابتدأت بفصل الخمر في اللغة والفقه ثم كيمياء الخمر وتركيبها وكيف تصنع . ثم أردفت ذلك بفصل عن آثارها في الجسم وذلك ما يسمى بعلم الأقرابازين أو الفارماكولوجي أي علم العقاقير وتأثيرها في جسم الإنسان ثم أفضت فيها فصلاً فصلاً وابتدأت بالجهاز العصبي الذي يعلو إلى أثمن ما وهبه الله للإنسان ألا وهو المخ وهو محط العقل والفكر والروية . وبه مناط المسؤولية وهو الذي يسأل عما قدم وأخر . وأبنت فيه كيف تفعل به الخمر . وكيف تغطي على العقل ومنه الخمار والخمر كما سنورده في المقدمة من معاني الخمر اللغوية .

واستطردت بعد ذلك إلى الجهاز الهضمي وابتدأت فيه من الفم فالبلعوم فالمريء فالمعدة فالأمعاء الدقاق ابتداء من الإثني عشر حتى الصائم ومنه إلى الأمعاء الغلاظ فالبنكرياس ووقفنا وقفة طويلة عند الكبد لأنها محط هجوم الخمر من أول وهلة وتفعل بها الخمور الأفاعيل فأفضنا في ذلك بما يستحق .

ثم انتقلت إلى الجهاز الدوري والقلب فالجهاز الدموي فبقية الأجهزة .. ثم تحدثت عن الإدمان ومشاكله الحاضرة .. وكيف أصبحت أوروبا وأمريكا فريسة لهذا الإدمان لا تدري كيف تخلص من براثن هذا الوحش المرعب . وقارنا مقارنة موجزة بين المجتمع العربي الجاهلي وهو مجتمع إدمان كيف بآية واحدة من السماء فيقرأها منادي رسول الله في طرقات المدينة . فتبطل الخمر وتسيل الدنان وتملأ أزقة المدينة بالخمر كالجداول .. ويبلغ الخبر الملأ وهم يشربون فيكسرون أقداحهم بل وتقف القدح في يد أحدهم قبل أن تصل شفتيه وترتعش يده ويقول انتهينا ربنا انتهينا ربنا .. ويريقها في الطريق . عند سماعه الآية إلى قوله « فهل أنتم منتهون ؟ »

كل هذا بآية واحدة أوروبا وأمريكا تحاول بكل أجهزتها المعقدة وبكل حكمائها وعلمائها وأطبائها أن يمنعوا الإدمان فلم يجدوا إزاء تلك الجهود الضخمة الجبارة إلا المزيد من الإدمان . فقد بلغ المدمنون في الولايات المتحدة عشرة ملايين مدمن خمر وفي بريطانيا مليون وفي فرنسا أربعة ملايين .. هؤلاء مدمنون أي لا يستطيعون العيش ولا الحياة بدون الخمر .. وقد وصلت حالتهم الاجتماعية والصحية والنفسية إلى أسفل سافلين .. ولا علاج حتى الآن .

والفارق بين الطريقتين واضح لا لبس فيه ولا غموض . آية التحريم تنهي مشكلة من أعقد المشاكل لأمة جاهلة أمية تكاد تعبد الخمر .. والآلاف من الكتب الطبية والنشرات العلمية عن أضرار الخمر لا تحل ولو جزءاً من هذا الإشكال .

والسبب بسيط .. ويكمن في كلمة واحدة تفعل أكثر مما يفعل السحر . تلك هي كلمة « الإيمان » تلك الكلمة التي جعلت سحرة فرعون يسجدون لله عندما رأوا الآيات البينات ويقولون لفرعون الطاغية الجبار « لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا » طه . تلك الكلمة العجيبة الفذة التي تتصل بنور الله فتنداح أمامها الظلمات والغياهب كما تنداح الظلمات أمام أشعة الشمس .

والفرق يكمن بين منهجين : منهج رباني يربي الأفراد والمجتمع على الاتصال بالله والانصياع الفوري لأوامره وزواجره .. ومجتمع شيطاني مبني على الهوى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ؟ » كيف تكون حالته وكيف يكون مصيره .

والإنسان مخلوق غريب ... فقد جهد العلماء في أمريكا أن يصيبوا الحيوانات بإدمان الخمر ففشلوا ولم يتمكنوا من إصابة حيوان واحد بالإدمان .

وثبت أن الإنسان هو الوحيد بين المخلوقات الذي يقبل على فعل أشياء وهو يعلم علم اليقين أنها تضره .

فالإنسان هو الوحيد بين المخلوقات الذي يقبل على شرب الخمر وهو يعلم يقيناً أنها تضره كما أنه الوحيد الذي يقبل على التدخين وهو يعرف آفاته وأضراره .

وهو ارتكاس لا يصل إليه إلا من عميت بصيرته وضل طريقه شارداً عن طريق الله .

نعم « إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

ولقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ثم ارتكس إلى أسفل سافلين :

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » .

فأنا لا أزعم إذاً في كتابي هذا أنه سيمنع مدمن خمر من تناولها .. فما تغني الآيات والنذر من عميت بصيرته وعبد هواه ، ولكني أضعه لعل الله يفتح به آذاناً صماً وقلوباً غلفاً .. وقد أمرنا الله بالتذكير كما أمر رسوله بأن يذكر بالقرآن من يخاف وعيداً .

ومن عرف عمق المشكلة وخطورتها في عالم اليوم كافرهم ومسلمهم .. عرف

أن لا حل لها إلا بالعودة إلى طريق الله . إلى ذلك الطريق الرحب الوارف الظلال الملتف الأغصان .. وإلا فهي متاهات وفيافي وقفار ومفازات قلّ أن ينجو منها أحد .. وإلا فهي حياة القلق والقرف والضيق والمخدرات والخمر والأفيون والحشيش .. حياة ضنكاً وصدق الله العظيم حيث يقول : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً » وليس هناك حياة أشد ضنكاً وتعاسة من حياة الناس في أوروبا وأمريكا اليوم . وقد أحس بتفاهة هذه الحياة هناك أدباؤهم وفلاسفتهم وامتلأت كتبهم وأشعارهم بعبارات القرف والتفاهة وأن يتقيأ المرء منهم نفسه . ثم ينتهي به الأمر إلى الانتحار كما فعل ألبير كامي الأديب الفيلسوف الوجودي الفرنسي وكما فعل الأديب العالمي الشهير أرنست همنجواي وكما فعلت مارلين منرو الممثلة المشهورة ولن أحصي وإنما هي أمثلة على ما تعانيه أوروبا وأمريكا وحضارتها .

فمحاولتي إذن هي إثبات أن ليس هناك من سبيل وطريق إلا طريقاً واحداً وسبيلاً واحداً هو طريق الله .. للخلاص من مشاكل التفاهة والتمزق والضياع ومن مشاكل الخمر والأفيون والحشيش .

« وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

والكتاب كله مصداق لحديث الرسول صلوات الله عليه عن الخمر أنها داء وليست دواء وقد قالها رسول الله في عهد كانت الخمر تعتبر فيه دواء .. بل لقد ظل الناس يعتقدون ذلك إلى الماضي القريب بل أننا كنا نلقن في كلية الطب عن منافع الخمر للدورة التاجية بالقلب ثم جاءت الاكتشافات الحديثة فأبطلت هذا الزيف وبددت هذا الوهم وظهر أن الخمر تسبب الجلطة وإن كان بطريق غير مباشر.

وكذلك أزاح الطب الحديث الوهم بأن الخمر تدفئ الجسم وأبان أن ذلك هو الدفء الكاذب فمن يتعرض للبرد بعد شرب الخمر يحس بالدفء بينما هو يفقد حرارة جسمه ويتعرض لحتفه وهلاكه بيده .

وقد يجد القارئ صعوبة في فهم بعض التفاصيل الطبية المذكورة فليعذرنا

القارئ فقد اضطررنا إلى الإتيان بآخر الأبحاث العلمية الطبية حتى نقنع زملاءنا الأطباء والمثقفين الذين لم يطلعوا على هذه الأبحاث . وهي أبحاث تخصصية لا يطلع عليها في العادة إلا من هو مهتم بهذا المجال وعلى قدر من التخصص فيه .

ويؤسفني أن تكون اللغة صعبة في بعض الفصول وذلك لصعوبة الترجمة من اللغة الإنجليزية إذ ليس لبعض هذه العلوم الحديثة والاكتشافات الجديدة ترجمة باللغة العربية فقمت بمحاولة ترجمة بعض الاصطلاحات وتركت بعضها وهي أقلها كما هي بلغتها الإنجليزية ويؤسفني أن تكون مراجع الكتاب في الأغلب إنجليزية وبها للأسف يكتب اليوم الطب وبها تنشر آخر الأبحاث فيه .

وليس ذلك عيباً في اللغة العربية وإنما العيب فينا نحن الأطباء العرب لم نجتهد في الترجمة ولا في البحث فصار معظم بحثنا نقلاً وصار حديثنا في الطب والعلوم مستعجماً .. بل وقد يكون أيسر علينا أن نتحدث أو نكتب حينما نريد الكتابة العلمية أو الطبية بلغة الأعجام الفرنجة من أن نكتب بلغتنا العربية .. ولست أبرئ نفسي ولكن هذه المحاولة للخروج عن هذا الطوق والله المستعان .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

تعريف الخمر

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ » . (المائدة ٩٠ ، ٩١)

تعريف الخمر لغة :

هي كل مسكر مخامر العقل مغط عليه . وخمر الشيء ستره وخمر الشهادة كتمها وخمر وجهه : غطاه وأخمر : توارى وخامر الشيء خالطه وخامر القلب داخله وخامره الداء أي دخل جوفه . والمخامرة المخالطة . قال إبن سيده في المحكم حقيقة الخمر إنما هي من العنب دون سائر الأشياء .

وإلى هذا ذهب الأحناف وأهل العراق وأدخل كثير منهم التمر في تعريف الخمر لقوله تعالى « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً » وقالوا السكر هو المسكر .. وجاء في البحر الزخار الجزء الخامس ص ٣٤٨ وهو من أهم مراجع الزيدية :

« الخمر هي خمر العنب والرطب .. وكل مسكر من غيرها يسمى خمراً مجازاً .. ويوجب الحد ويستوي في ذلك كثيره وقليله » ..

ويقول في المنهاج وهو أحد مراجع الشافعية :

« وحقيقة الخمر المسكر من عصير العنب وإن لم يقذف بالزبد وتحريم غيرها بنصوص دلت على ذلك » .

ويعتمد الأحناف على قوله صلى الله عليه وسلم « حرّمت الخمر لعينها والسكر من غيرها » ولكن أهل الحجاز يضعفون هذا الحديث .

وأما الجمهور وهم الشافعية والحنابلة والمالكية وكذلك الشيعة الإمامية فيعرفون الخمر بأنها ما خامرت العقل وأن كل مسكر خمر وكل خمر حرام .. وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام .

ويدللون على أن الخمر في اللغة هي كل مخامر للعقل بأن الصحابة رضوان الله عليهم وأكثرهم أهل اللغة فهموا أن الخمر هي كل مسكر .. ونزل تحريم الخمر يومئذ وما كان شرابهم إلا الفضيخ وهو من التمر والزهو واستدلوا على ذلك أيضاً بقول عبيد بن الأبرص :

هي الخمـر تكـنى الطـلاء كما الذئب يكنى أبا جعدة

وعلى هذا فالخلاف في تعريف الخمر لغة موجود .. والجمهور على أن الخمر كل مخامر للعقل مغطٍ عليه مذهب له .

وواقع الأمر أن الخمر لا تفعل أكثر من ذلك أي أنها تغطي المناطق المخية العليا وهي الموجودة في القشرة لفصي المخ (Cerebral Cortex) وهي مراكز الإرادة والأخلاق والفكر والروية أي ما يجمع باسم العقل . وكلمة عقل في اللغة العربية من « عقل الناقة » أي شدها وربطها و« كأنما نشط من عقال » أي انطلق من رباط ووثاق ، فالعقل هو الرباط وهو الوثاق الذي يمنع الإنسان من الانقياد للهوى والرغبات والعقل هو مجموعة الموانع الأخلاقية التي تتكون لدى الإنسان . فالطفل الرضيع يبول ويتغوط لا إرادياً أي دونما أي مانع ، فإذا ما جاوز العام من عمره اشتد أهله في تربيته لمنعه من هذه العادة القبيحة ..

ويتكون لدى الطفل المانع أثر المانع بالتربية والمران . ومجموع تلك الموانع والزواجر والروابط هي العقل .

ووظيفة الخمور هي إزالة هذه الموانع . فقد تجد الرجل الوقور يرتكس إلى أسفل سافلين فينزو على أهله وأقاربه . ويهذي بأتفه الكلام وقد يتبول في قارعة الطريق دون حياء أمام الناس .

فما أبدع اللغة العربية فقد سمت ذلك المسكر الخمر وهي تلك التي ترين على العقل وتواريه .. وأسمت مجموعة الموانع من فكر وأخلاق وإرادة العقل أي الوثاق والرباط وكشفت بذلك منذ زمن موغل في القدم ما أزاح العلم عنه الستار في القرن العشرين . فأكرم بها من لغة زادها شرفاً إن كانت لغة القرآن الكريم .

تعريف الخمر في الفقه[1] :

هي كل ما كان مسكراً سواء كان متخذاً من الفواكه كالعنب والرطب والتين والزبيب أو من الحبوب كالحنطة (القمح) أو الشعير أو الذرة أو من الحلويات كالعسل وسواء كان مطبوخاً أي عولج بالنار أو نيئاً بدون معالجة

---

(١) هذا التعريف الذي ذكرناه هو المتفق عليه عند الجمهور ويوافقهم على ذلك أيضاً الامامية .. ويتفق معهم الزيدية من ناحية الحكم إذ يدخلون في حكم الخمر كل مسكر سواء كان كثيراً أو قليلاً .. فكل ما أسكر اعتبر خمراً «وكل مسكر خمر وكل خمر حرام» وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام . وخالفهم في ذلك الأحناف وقالوا إن الخمر هي النيء من عصير العنب إذا غلا واشتد سواء قذف بالزبد أم لم يقذف ، وتنبه صاحب البحر الزخار من الزيدية أنه لا يغلى إلا ويقذف بالزبد .. وقد صدق لأننا نعلم اليوم أن هذا الزبد الذي يتطاير ليس إلا غاز الفحم (ثاني أوكسيد الكربون) الذي ينتج من عملية التخمر .. وعليه فإن الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وصاحبيه في كون الإمام اشترط أن يقذف بالزبد وصاحباه (أبو يوسف ومحمد) لم يشترطا ذلك خلاف لفظي لا دلالة له . وعند الأحناف أن المسكرات جميعها محرمة ولكن علة التحريم الإسكار . أما في الخمر فهي محرمة لذاتها .. ولو قطرة واحدة . أما غيرها من المسكرات فيحرم القدر المسكر فحسب . ويقول ابن رشد في بداية المجتهد ونهاية المقتصد «أما الخمر فإنهم اتفقوا على تحريمها قليلها وكثيرها أعني التي من عصير العنب . وأما الأنبذة فإنهم اختلفوا في القليل منها الذي لا يسكر . وأجمعوا على أن المسكر حرام» .

بالنار .. وسواء كان معروفاً باسم قديم كالخمر والطلأ أو باسم مستحدث كالعرق والكونياك والويسكي والبراندي والبيرة والشمبانيا وغيرها . فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ليشربن أناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها » . وأخرج مسلم وأحمد وأصحاب السنن الأربعة « الخمر من الشجرتين : النخلة والعنبة » . وحديث النعمان بن بشير الذي أخرجه الترمذي : « إن الخمر من العصير والزبيب والتمر والحنطة والشعير والذرة . وإني أنهاكم عن كل مسكر » . وروى أحمد وأبو داود عن ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » . وعن علي كرّم الله وجهه « إن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن الجعة » وهي نبيذ الشعير أي ما يسمى البيرة اليوم . رواه أبو داود والنسائي .

ويدخل في تعريف الخمر الأنبذة الموجودة اليوم بأنواعها المختلفة مثل البورت والشيري والماديرا والكلارت والهوك والشمبانيا والبرجاندي .. لأنها تدخل في تعريف الخمر الذي يحدده الاصطلاح الفقهي بأنها : النيء (أي الذي لم يعالج بالنار) من ماء العنب بعدما غلي واشتد وقذف بالزبد . والغليان الفوران ، والاشتداد قوة التأثير بحيث يصير مسكراً ، والزبد الرغوة .

وهو تعريف دقيق فالنيء الذي لم يعالج بالنار من ماء العنب أو غيره من السكريات يتحول بفعل خميرة (انزايم) (Enzyme) موجودة في فطر يدعى الخميرة (Yeast) موجودة بكثرة في الهواء ويتساقط على الثمار ـ يتحول إلى كحول إثيلي بفعل ذلك الانزايم بعملية التخمر الذاتي أي بدون جهد صناعي . وينتج عن هذه العملية غاز ثاني أوكسيد الكربون (الفحم) وهو الذي يسبب الرغوة والزبد .

وإذا عرفنا أن هذه الأنبذة تصنع بإضافة الفطر إلى العنب أو غيره من الفواكه ويحفظ في درجة حرارة ملائمة حتى تتم عملية التخمر بواسطة الأنزيمات

(الخمائر) في أسرع وقت .. ثم تبقى بعد ذلك فترة طويلة حتى يكتمل تحول المواد السكرية إلى كحول . وفي بعض الأنبذة المقواة مثل البورت والشيري تضاف كمية من الكحول إليها .. حتى تزداد درجة إسكارها .. إذا عرفنا ذلك أيقنا إيقاناً تاماً بأن هذه الأنبذة إنما هي الخمر بعينها التي حرمها الله ورسوله .

ويدخل في تعريف الخمر المشروبات المخمرة (Brewed Beverages) مثل الجعة (البيرة) وهي نبيذ الشعير (Beer) والمزر وهو نبيذ الحنطة (Ale) والسكركة وهو نبيذ الذرة والبتع (Meed) وهو نبيذ العسل .

وهذه الأنبذة تترك أكثر من ثلاثة أيام بلياليها حتى تتحلل المواد النشوية التي في الحبوب ثم تفعل بها الأنزيمات (الخمائر) فعلها فتحولها أولاً بواسطة انزيم الدياستيز (Diastase) من نشا إلى سكر ثنائي ثم يتحول السكر الثنائي إلى سكر أحادي مثل الجلوكوز أو الفركتوز ثم يستمر تحول السكر الأحادي (Monosaccharide) إلى كحول إثيلي (Ethyl Alcohol) وثاني أوكسيد كربون (CO_2) ويترك ذلك حتى تتكون الكمية المطلوبة من الكحول من ثلاثة إلى تسعة بالمائة ثم توقف عملية التخمر وتضاف عندئذ بعض الأعشاب مثل عشب الجنجل ويسمى أيضاً حشيشة الدينار وهو نبات عشبي معمر وله طعم قارص ويعطي الشراب اللذعة المطلوبة عند من يبتغيها .

كما يدخل قطعاً في هذا التعريف الخمور المسماة بالخمور المقطرة (Distilled Spirits) مثل الويسكي والبراندي والروم والجين وهو لا شك أشد وأنكى من كل ما ذكرنا من أنواع الخمور أي الأنبذة والمشروبات المخمرة (Brewed Beverages) فهي تحتوي أولاً على نسبة عالية جداً من الكحول (٤٠ إلى ٦٠ بالمائة) بينما تحتوي الأنبذة على نوعيها : في المقواة (Fortified Wines) إلى نسبة عشرين بالمائة والعادية (Ordinary Wines) إلى نسبة عشرة بالمائة . أما المشروبات المخمرة (Brewed Beverages) فلا تحتوي في العادة على أكثر من ستة بالمائة من الكحول .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تعريف الخمر في الكيمياء :

الخمر هي الأشربة التي بها كمية من الكحول . والكحول أو الغول في أصل اللغة العربية هو ما ينشأ عن الخمر من صداع وسكر لأنه يغتال العقل . وقد نفى الله تعالى عن خمر الجنة هذه الصفة فقال : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » .

أول من اكتشف الغول (الكحول) هم الكيميائيون العرب وقاموا بتحضيره ثم ترجم الإفرنج عنهم هذه الكلمة فنقلوها إلى لغتهم فصارت (Alcohol) وهذا ما تقرره المعاجم اللغوية الإنجليزية والفرنسية مثل معجم لاروس الفرنسي .

والغول (الكحول) هو إسم عام يطلق على جملة من المركبات الكيماوية لها خصائص متشابهة ومكونة من ذرات الهيدروجين والكاربون (الفحم) وآخرها مجموعة هيدروكسيلية أي ذرتي أوكسيجين وهيدروجين((Hydroxyl Group(OH)) وهذه المركبات تدعى (الغولات) ـ أو (الأغوال) جمع غول ومنها الكحول المثيلي (Methyl Alcohol) ولما كان الكحول الاثيلي أكثرها شيوعاً واستعمالاً اصطلح العلماء على تخصيصه باسم الكحول . وهو روح الخمر ويدعى بالإنجليزية (Spirit) أي روح ويقصدون روح الخمر . والإسبيرتو الذي يستخدم للوقود يحتوي في العادة على كمية من الكحول المثيلي السام إذ تضيفه الحكومات عمداً حتى لا يشرب ، ولذا كان شرب السبيرتو مميتاً في أغلب الحالات على الفور بينما شرب الخمور مميت على المدى الطويل .

والكحول الاثيلي (Ethyl Alcohol) سائل طيار ليس له لون وله طعم لاذع وأقوى الخمور يحتوي في العادة ما بين ٤٠ إلى ٦٠ بالمائة منه . وهي الخمور المقطرة (Distilled Spirits) مثل الويسكي والجين والبراندي .

ويستعمل الكحول في الصناعة كحافظ لبعض المواد وكمادة منشفة للرطوبة

(Dehydrating Agent) وكمذيب لبعض المواد القلوية والدهنية (Solvent) وكمقاوم للتجمد (Antifreeze) كما يستخدم في الطب كمطهر للجلد ومذيب لبعض الأدوية التي لا تذوب إلا في الكحول . ويستخدم بكثرة كمذيب للمواد العطرية (الكولونيا) والروائح .

وتتكون الكحول في الخمر بواسطة (أنزيمات) خمائر موجودة في فطر يدعى (Yeast) تقوم بتحويل المواد السكرية الموجودة في الفواكه مثل العنب والرطب والتين ، والنشوية الموجودة في الشعير والذرة والحنطة إلى كحول اثيلي . وذلك بعمليات بطيئة متتابعة .

وقد كانت هذه الطريقة تستعمل منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا للحصول على الخمور وبهذه الطريقة يمكن الحصول على جميع أنواع المشروبات المخمرة (Brewed Beverages) مثل الجعة (البيرة) من الشعير والمزر(Ale) من الحنطة والسكركة من الذرة والبتع من العسل . كما يمكن بهذه الطريقة الحصول على جميع أنواع الأنبذة (بمفهومها اليوم) (Wines) مثل الشيري والبوردو والبورت والشمبانيا والعرقي... الخ . وذلك بإضافة نبات الخميرة (Yeast) إلى الفواكه مثل العنب والتمر والتين . . الخ . وفي العصر الحالي تزرع هذه الخميرة في المختبرات وتضاف إلى الفواكه بكميات ومقادير محسوبة وتوضع في درجة حرارة ملائمة أي أقل من ستين درجة مئوية لأن الحرارة الشديدة تقتل الأنزيمات (الخمائر) كما أن البرودة الزائدة توقف عملها . وهكذا تحفظ هذه الفواكه بعد إضافة الخميرة في درجة حرارة ملائمة حتى تسرع عملية التخمر الذاتي (Fermentation) وهكذا يتحول السكر إلى كحول اثيلي (Ethyl Alcohol) وثاني أوكسيد كربون وماء .

وفي معظم الأنبذة يترك غاز ثاني أوكسيد الكربون يتطاير في الهواء وهو سبب الزبد أو الرغوة التي تظهر على الخمر عند اشتدادها كما عرفها الفقهاء ثم تسكن وترقد وذلك لتطاير الغاز المذكور . ولكن هذا الغاز يحبس في الشمبانيا ونبيذ المسكات مما يسبب فرقعة عند فتح قارورة من هذا الشراب لتطاير الغاز

المضغوط فجأة كما أن هذا الغاز هو السبب في الحبب الذي يعلو الخمر عند صبها والذي يعجب به شعراء الخمريات مثل أبي نواس .

أما في العصور الحديثة فقد استخدمت طريقة جديدة مغايرة لتلك الطرق المعهودة منذ أقدم الأزمنة . وذلك باكتشاف عملية التقطير (Distillation) وتعتمد فكرة التقطير على أن درجة غليان الكحول تتم قبل غليان الماء فالكحول يغلي ويتبخر عند درجة ٧٨ مئوية بينما لا يتبخر الماء حتى تصل درجة حرارته ١٠٠ . فإذا تبخر الكحول عند درجة ٧٨ والماء لا يزال سائلاً ، يتطاير الكحول بمفرده إلى أعلى الأنبوبة . وهناك يبرد ويتكثف ثانية ويتحول إلى سائل مرة أخرى . وبهذه الطريقة أمكن تقطير النبيذ للحصول على البراندي وتقطير الجعة (البيرة) للحصول على الويسكي ، أما الجين فيصنع بطريقة مغايرة : يحضر أولاً كحول بتركيز خمسين في المائة ثم يضاف إليه توت نبات العرعر (Juniper Beeries) وبعض الأعشاب الأخرى وتترك فترة كافية حتى تذوب فيها .. أما شراب الروم (Rum) فيصنع بتقطير الخمر المصنوعة من دبس السكر (المولاس) (Molases) وهو المادة اللزجة التي تنفصل عن قصب السكر عند صنع السكر . وقد صنع شراب سراً في بعض البلاد العربية التي تحرم الخمور بهذه الطريقة أي بإضافة سكر وفطر خميرة وماء ثم يقطر محلياً حتى تتركز كمية الكحول وقد اشتهر هذا الشراب باسم صديقي جوس (Sidiqi Juice) .

أما العرق المصنوع في كثير من البلاد العربية سراً وجهراً فهو يصنع في العادة من العنب أو التمر بإضافة الماء وفطر الخميرة (Yeast) حتى يغلي ويعلوه الزبد أي حتى تتحول المواد السكرية إلى كحول ايثلي وثاني أوكسيد كربون . وهو بهذه الصنعة يشبه تماماً الأنبذة المذكورة مثل الشمبانيا والبورت والكونياك إلخ ..

وقد أضاف بعض من يصنعون العرق سراً في بعض البلاد العربية حبوب الداتوره التي بها مادة الأتروبين والهايوسايمين (Atropine and Hyoscyamine) وذلك للإسراع بغليانه واشتداد مفعوله .. وبذلك تزداد سمية هذا المنقوع السام . كما انتشر في السنوات الأخيرة استعمال حبوب (الأمفيتامين) (Amphetamine)

وتعرف عند العامة بحبوب الكونغو لأنها هرّبت أول مرة مع بعض من يأتون باسم الحج من الكونغو . ويستعملها بكثرة السواقون وخاصة في أيام المواسم لأنها تساعد على السهر والعمل المتواصل دون كلل أول الأمر . ولكن عاقبتها وخيمة إذ يشبه ذلك ضرب حصان ودفعه إلى الجري حتى يقع مغشياً عليه .. كما أنها تسبب الإدمان وأول من استعملها على نطاق واسع هو هتلر عندما أعطاها لجنوده فكانوا يقومون بأعمال متواصلة لعدة أيام دون كلل . كما اشتهر بها أنتوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا الأسبق وصاحب حملة السويس المشهورة .. وأدى ذلك إلى إخراجه من كرسي الحكم ومن رياسة حزب المحافظين وانتهى به الأمر إلى مصحة .

وقد ذكرنا عنها هذه النبذة لأنها تضاف إلى العرق المصنوع سراً حتى تزيد مفعوله .ولا شك أنها تسبب الهياج الشديد كما تسبب زيادة مؤقتة في النشاط الجنسي ويعقب ذلك رد فعل عنيف فيدخل المرء في سبات عميق بعدها وينتهي الأمر إلى العنة .

كما قد يضيف بعض من يصنعون العرق سراً مادة مذيب البوية وكحول نشارة الخشب وهما من الكحول المثيلي أشد أنواع الكحول سمية .. ويسبب العمى وتسمم عضلة القلب (Toxic Myocarditis) مما يؤدي إلى الوفاة خلال أيام قلائل .

وهناك العديد من الطرق التي يستخدمها صناع الخمور السرية ليزيدوا من درجة الإسكار وبالتالي درجة السمية (Toxicity) لهذه المواد التي يبيعونها سراً فأفٍ لهم وأف لتلك العقول الضالة التي تشتري هذا السم الزعاف بدلاً من شراء القوت الضروري للنفس والأسرة .

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

التداوي بالخمر

هل الكحول (الغول) وبالتالي الخمور دواء أم هي سم ؟ يقول الدكتور أوبري لوس رئيس قسم الأمراض النفسية في جامعة لندن في أكبر وأشهر مرجع طبي بريطاني « مرجع برايس الطبي » (Price Textbook of Medicine)

« إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كله . ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله . ولذا يتناوله بكثرة كل مضطربي الشخصية ويؤدي هو إلى إضطراب الشخصية ومرضها (Psychopathic Anomaly) إن جرعة واحدة من الكحول قد تسبب التسمم وتؤدي : إما إلى الهيجان أو الخمود . وقد تؤدي إلى الغيبوبة . أما شاربو الخمر المزمنون (Chronic Alcoholics) فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون » .

وقد كان الأطباء يزعمون في الأزمنة الغابرة وعلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده وحتى عهد قريب أن للخمر بعض المنافع الطبية ثم تقدمت الاكتشافات العلمية وبطلت تلك المزاعم وتبين أنها أوهام . وإن كلام الصادق المصدوق عنها هو الحق الذي لا ريب فيه ولا التباس . فقد قال عنها صلى الله عليه وسلم لطارق الجعفي عندما سأله عن الخمر فنهاه فقال طارق : إنما أصفها للدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم إنه ليس بدواء ولكنه داء . أخرجه مسلم والترمذي وعن أبي هريرة « نهى رسول الله عن الدواء الخبيث » أبو داود وأخرج أبو داود

أيضاً في سننه : « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » . وعن طارق بن سويد الحضرمي قال : « قلت يا رسول الله إن بأرضنا أعناباً نعصرها فنشرب منها ، قال : لا . فراجعته قلت : إنا نستشفي للمريض . قال : إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » (أخرجه مسلم)

وتوهم بعض المتقدمين[1] أن في الخمر منافع طبية واستدل على ذلك بقوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » وقد رد كثير من الأئمة على هذا الزعم . فيقول الأمير الصنعاني في كتابه سبل السلام : « وفي كتاب النجم الوهاج قال الشيخ : كل ما يقوله الأطباء من المنافع في الخمر وشربها كان عند شهادة القرآن أن فيها منافع للناس قبل . وأما بعد نزول آية المائدة : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » الآية ، فإن الله تعالى الخالق لكل شيء سلبها المنافع جملة فليس فيها شيء من المنافع . وبهذا تسقط مسألة التداوي بالخمر . والذي قاله منقول عن الربيع والضحاك . وفيه حديث أسنده الثعلبي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى لما حرم الخمر سلبها المنافع » ص ٣٦ الجزء الثاني .

والمنافع في الخمر موهومة فهي إما منافع مادية لمن يبيع الخمر ويتجر بها ولكنها طامة كبرى على المجتمع وخسارة مادية أي خسارة .. وإما منافع طبية وصناعية وأغلبها موهوم ، مثل الاعتقاد بأن الخمر تفتح الشهية . وقد استخدمت الخمر كفاتح للشهية منذ أقدم العصور واستخدمها اليونان والرومان والفرس والعرب وتفننوا فيها .. ويستخدمها الأوروبيون اليوم وخاصة الفرنسيون وتدعى

---

(١) ومن هؤلاء الإمام ابن كثير حيث يقول في تفسيره للآية «قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس أما إثمهما فهو في الدين وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيها نفع البدن وتهضيم الطعام وإخراج الفضلات وتشحيذ بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها كما قال حسان بن ثابت في جاهليته :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً لا ينهنهنا اللقاء

(Apéritif) أي فاتح للشهية ، وعادتهم أن لا يشربوا مع الأطعمة إلا النبيذ وكذلك الإيطاليون .. والخمر تفتح الشهية أول الأمر فتزيد من إفراز حامض المعدة كلور الماء (Hydrochloric Acid) ولكنها بعد فترة تسبب التهاب المعدة وتعقب تلك المنفعة الموهومة مضرات وعواقب وبيلة وخيمة أولها التهابات المعدة وفقدان الشهية والقيء المتكرر وآخرها سرطان المريء .

ومن تلك المنافع الطبية الموهومة أنها تدفئ الجسم . وقد جاء وفد اليمن ووفد حضرموت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يسمح لهم بشرب الخمر بحجة أن بلادهم باردة .فأبى عليهم ذلك . فقد روى أبو داود أن ديلم الحميري سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنَّا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً . وإنّا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا ؟ قال رسول الله هل يسكر ؟ قال : نعم . قال : فاجتنبوه . قال : إن الناس غير تاركيه . قال : فإن لم يتركوه فقاتلوهم .

وجاء الطب الحديث بعد هذه الحادثة بألف وأربعمائة عام تقريباً ليقول لنا إن ذلك الدفء ليس إلا من قبيل الوهم . فالخمر توسع الأوعية الدموية وخاصة تلك التي تحت الجلد فيشعر المرء بالدفء ويفقد حرارة جسمه في الجو القارس . وقد يؤدي ذلك إلى وفاته وهو ينعم بالدفء الكاذب . كما يحصل في أعياد رأس السنة وأعياد الميلاد في أوروبا وأمريكا حيث يسكر كثير من الناس ويبقى بعضهم في الشوارع والحدائق يتعرضون للبرد القارس فيموتون من البرد وهم ينعمون بالإحساس الكاذب بالدفء .

ومن تلك المنافع استخدامها في الصناعة كحافظ لبعض المواد وكمادة منشفة للرطوبة (Anti Freeze) وكمذيب لبعض المواد القلوية والدهنية (Dehydrating Agent) كما يستخدم في الطب كمطهر للجلد وكمذيب لبعض الأدوية التي لا تذوب إلا في الكحول . كما يستخدم الكحول كمذيب للمواد العطرية ويستخدم بكثرة في صنع الروائح والعطور (الكولونيا والبارفان) .

وقد بطل استخدام الخمر كترياق ودواء في الطب الحديث ولكن بقي استعمال الكحول كمذيب لبعض الأدوية والعقاقير . والعجيب حقاً أن علماء الإسلام قد بحثوا هذه المسألة بحثاً دقيقاً وأتوا فيها بالعجب العجاب . يقول مغنى المحتاج :

« إن التداوي بالخمر حرام إذا كانت صرفاً غير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه . أما الترياق المعجون بها ونحوه مما تستهلك فيه فيجوز التداوي به عند فقدْ ما يقوم به التداوي من الطاهرات . فعندئذ يتبع حكم التداوي بنجس كلحم حية وبول . وكذا يجوز التداوي بذلك لتعجيل الشفاء بشرط إخبار طبيب مسلم عدل بذلك ، أو معرفته للتداوي به وبشرط أن يكون القدر المستعمل قليلاً لا يسكر » .

ولا شك في حرمة الخمر الصرفة كدواء فهي داء وليست دواء [1] . ولكن استعمالها في الترياق ، وهي الآن تستعمل في كثير من الأدوية كمذيب لبعض المواد القلوية أو الدهنية التي تذوب في الماء ، هذا الاستعمال هو المذكور في مغنى المحتاج وهو جائز بشروط :

---

(١) وقد ذكر الإمام النووي في المجموع أربعة أقوال في شربها للتداوي والعطش المهلك **الأول وهو الصحيح عند الجمهور وهو لا يجوز فيهما** . والثاني يجوز فيهما معاً والثالث : يجوز للتداوي ولا يجوز للعطش . والرابع يجوز للعطش المهلك دون التداوي وهذا الأخير قال به إمام الحرمين والإمام الغزالي .
وإن اضطر إلى شرب الخمر أو البول شرب البول لأن شرب الخمر أغلظ وإن اضطر إلى شرب الخمر ففيه ثلاثة أوجه : الأول أنه لا يجوز والثاني يجوز لأنه يدفع به الضرر عن نفسه كما لو أكره على شربها . والثالث : أنه إن اضطر لشربها للعطش لم يجز لأنها تزيد في الإلهاب والعطش (وقد رد هذا الوجه الأخير الإمام الجويني لأنها تزيل العطش .. والصحيح أنها تزيل العطش لأنه قد يبلغ أكثر من ٩٠ بالمائة كما هو في البيرة والأنبذة الخفيفة) وفي الوجه الثالث أنه يجوز استعمالها للدواء . قال النووي : وأما التداوي بالنجاسات غير الخمر فهو جائز في جميع النجاسات غير المسكر . ومنهم من قال يجوز بأبوال الإبل خاصة لورود النص بحديث عرينه الذين اجتووا المدينة وسقموا فأمرهم الرسول بشرب ألبان الإبل وأبوالها فصحوا ثم قاموا بقتل الراعي وسرقة الإبل .

١ – أن لا يكون هناك دواء آخر خال من الكحول ينفع لتلك الحالة .

٢ – أن يدل على ذلك طبيب مسلم عدل .

٣ – أن يكون القدر المستعمل قليلاً لا يسكر .

وإذا نظرنا إلى الأدوية الموجودة التي بها شيء من الكحول نجدها على ضربين :

الأول : مواد قلوية أو دهنية تستعمل كأدوية ولا بد لإذابتها من الكحول .

أما الثاني : فمواد يضاف إليها شيء يسير من الكحول لا لضرورة وإنما لإعطاء الشراب نكهة خاصة ومذاقاً خاصاً تعود عليه أهل أوروبا وأمريكا أي من حيث يأتينا الدواء جاهزاً مصنعاً .

وهذا النوع الثاني لا شك في حرمته . ولا بد للطبيب المسلم أن يتروى في وصف الأدوية التي بها شيء من الكحول وليتجنبها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ولم يسمح أحد من فقهاء الإسلام باستخدام الخمر كدواء إلا عند الضرورة القصوى مثل أن يغص أمرؤ ما بلقمة ولا يجد أمامه إلا الخمر فعندئذ يجوز شربها لإزالة الغصة . ويقول سيد سابق في فقه السنة : « ومثّل الفقهاء لذلك بمن غص بلقمة فكاد يختنق ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر » . ولكنه أي سيد سابق يقع في خطأ فاحش عندما يقول : « أو من أشرف على الهلاك من البرد ولم يجد ما يدفع به هذا الهلاك غير كوب أو جرعة خمر » . وقد أوضحنا زيف ذلك الوهم الذي يقول إن الخمر تدفئ الجسم وكذلك يقع في الخطأ الفاحش حين يقول : « أو من أصابته أزمة قلبية وكاد يموت فعلم أو أخبره الطبيب بأنه لا يجد ما يدفع به الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر » . فهذا أيضاً خطأ فاحش .. ووهم قاتل ، فإن الخمر لا توسع الشرايين التاجية المغذية للقلب كما كان موهوماً من قبل وإنما تضيقها وذلك بترسيب الدهنيات والكوليسترول في جوفها وبذلك

تساعد على تسبب جلطات القلب والذبحة الصدرية وخاصة مع التدخين . فكلتا المادتين تساهم في انسداد الشرايين التاجية الأولى (أي الخمر) بترسيب الدهنيات والكوليسترول والثانية بانقباض الشرايين وتضييق مجراها .. وللخمر خاصية أخرى فهي تصيب عضلة القلب بالتسمم (Toxic Myocarditis) وسنعرض لذلك بالتفصيل عندما نتحدث عن الخمر والقلب والجهاز الدوري .. ونقول للشيخ سيد سابق غفر الله له أنها ليست من باب الضرورات التي تبيح المحظورات كما توهم . وإنما هي المضرات والمفاسد التي ينبغي أن تحظر . وقد أعجبني الإمام ابن القيم عندما تعرض لهذه النقطة في كتابة الطب النبوي . فقد كان عملاقاً شامخاً كالطود لم يهله ادعاء الأطباء في زمانه أن الخمر دواء فأوضح وأبان كيف هي داء .. وكان صدق إيمانه بربه وبرسوله قد انتهى به إلى النهايات الصحيحة وأتى بما لم يأت به الطب في زمانه بل والتفت إلى نقط دقيقة كل الدقة .. ولم ينتبه لها الطب إلا في الآونة الأخيرة ومنها تأثير الاعتقاد في الدواء فإذا كان اعتقاد المريض في الدواء والطبيب حسناً حصل له نوع شفاء وإن كان اعتقاده سيئاً لم يحصل له ذلك . ويسمى ذلك التأثير (Placebo Effect) ويعرفه الأطباء كافة . فيقول ابن القيم : « إنما حرم الله على هذه الأمة ما حرم لخبثه . وتحريمه له حمية لهم وصيانة عن تناوله فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الإسقام والعلل . فإنه وإن أثر في إزالتها (هذا الكلام حسب رأي الطب في زمنه) لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه ، فيكون المداوي به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب . وتحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته . وهذا ضد مقصود الشارع » .

« وهو داء كما نص عليه صاحب الشريعة فلا يجوز أن يتخذ دواء . وهو يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بيناً . فإذا كان كيفيته خبيثة أكسب الطبيعة منه خبثاً ، فكيف إذا كان خبيثاً في ذاته . ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيئة الخبث وصفته » .

ولنا هنا تعليق سريع . فهذه المسألة في منتهى الدقة ولم يتبينها الطب بعد بالتفصيل . فإن الأغذية والأشربة تتحول بعد الهضم والامتصاص إما إلى طاقة تحرك الجسم ووقود للعقل والقلب أو إلى مواد لبناء الأنسجة وإبدال التالف منها بجديد صالح .

ونحن نعرف الآن أن المواد النشوية والدهنية تتحول إلى طاقة بينما تتحول المواد البروتينية إلى خلايا وأنسجة ويقع ذلك ضمن عمليات كيماوية معقدة فدورة كريب (Kreb's Citric Acid Cycle) مثلاً هي مجموعة من العمليات الكيماوية البالغة التعقيد التي تحول سكر الدم (الجلوكوز) في ميتوكوندريا الخلايا إلى طاقة مخزونة عبر ما يقرب من أربعين عملية كيماوية . وتتحول ضمن دورة كريب وخارجها مجموعة من الأحماض الأمينية (Amino Acids) الهامة لبناء الخلايا والأنسجة . فالمواد البروتينية ليست إلا مجموعة ضخمة من الأحماض الأمينية هذه .

وهكذا ترى أن ما تأكله أو تشربه يتحول بالتالي إلى محرك لعضلة يدك أو عضلة قلبك أو قادح لزناد فكرك أو يتحول إلى نفس تلك العضلة في اليد أو اللسان أو القلب أو يجري في عروقك مع دمك مكوناً الكرويات الحمراء أو البيضاء أو الصفائح . أو حيواناً منوياً يخرج من بين صلبك وترائبك[1] أفلا يدخل في تركيب جسمك وتكوين فكرك بعد هذا ما تأكله أو تشربه من الخبائث كالخمر ولحم الخنزير وغيرها مما حرمها الله ؟ بلى إنها لكذلك .

---

(١) تتكون الحيوانات المنوية في الخصية .. وتتكون الخصية في الجنين في منطقة بين الصلب (العمود الفقري) والترائب (الأضلاع) ثم تنزل الخصية تدريجياً إلى كيس الصفن خارج الجسم قبيل الولادة . ومع هذا تبقى تغذيتها بالدماء والأعصاب من بين الصلب والترائب . أنظر مزيد من التفصيل كتاب «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» للمؤلف .

أفلا يكون كلام ابن القيم بعد هذا دقيقاً كل الدقة بارعاً كل البراعة في وصف ما لم يهتم به الطب الحديث إلى اليوم ؟ بلى إنه لكذلك . وإنه كما قال ابن القيم يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث . فكل أكل أو شرب يدخل الجوف ويجري في العروق مع الدم يتمثله الجسم إما بالهدم (Catabolism) فيتحول إلى طاقة نعيش بها ونتحرك أو إلى بناء (Anabolism) فيتحول إلى خلايا وأنسجة .

فإذا دخل الخبث جوف ابن آدم وجرى في عروقه مجرى الدم .. وكان الخبث مصدر نشاط يده ولسانه وفكره وقلبه وكان الخبث عضلة من عضلات جسمه أو خلية من خلايا دمه أو حيواناً منوياً يخرج من صلبه فالخبث لا شك يؤثر في كل ذلك .

وهكذا تصدق عبارة ابن القيم « ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيئة الخبث وصفته » .

ونستطرد فنسمع لابن القيم قوله :

« إن في إباحة التداوي به (المحرم) ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة لا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها ، مزيل لأسقامها جالب لشفائها فهذا أحب شيء إليها . والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن . ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضاً وتعارضاً وأيضاً فإن هذا الدواء المحرم (ليس دواء) ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء وأخيراً يقول :

« وهنا سر لطيف في كون المحرمات لا يستشفى بها . فإن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول واعتقاد منفعته » . وهذا كلام يعرفه الأطباء ، ويسمى هذا التأثير (Placebo Effect) .

ثم يقول ابن القيم : « ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين (الخمرة) مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حسن ظنه بها وتلقي طبعه لها بالقبول . بل كلما كان العبد أعظم إيماناً كان أكره لها وأسوأ اعتقاداً فيها وطبعه أكره شيء لها . فإذا تناولها في هذه الحال كانت داء له لا دواء » .

وهذا كلام عجيب والأبحاث الطبية اليوم تتجه إليه . وذلك : اختلاف تأثير الدواء الواحد في المجتمعات المختلفة فبينما يؤثر الدواء في مجتمع بعينه بطريقة خاصة يختلف ذلك التأثير ولو يسيراً في مجتمع آخر بل إن تأثير الدواء يختلف من شخص إلى آخر ويؤثر في ذلك عوامل عديدة ليس أقلها أهمية العامل النفسي لدى متناول الدواء فإن كان تلقيه للدواء بالقبول واعتقاد المنفعة حصل له ولو نوع شفاء وإن كان تلقيه له بسوء الظن فيه واعتقاد مضرته لم يحصل له نوع شفاء بل ربما حصل له نوع ضرر . وهذا باب جديد في الطب . فلله در ابن القيم كيف استطاع أن يدرك التأثير النفسي في تلقي الدواء وهو أمر لم يدرك بعد على حقيقته بصورة واضحة إلى اليوم . والأبحاث لا تزال جارية في هذا الميدان .

أما تأثير الدواء الخبيث أو المأكل أو المشرب الخبيث في النسل فهو باب جديد من أبواب الطب[1] . وقد كثر الكلام فيه بعد اكتشاف قصة عقار الثاليدوميد (Thalidomide) وهو عقار مهدئ خال من المضاعفات فلما أعطي للحوامل تشوهت الأجنة وخرج الأطفال بدون أطراف . وثارت قضايا أمام المحاكم في

---

(١) وقد ظهرت في الفترة الأخيرة أبحاث طبية عديدة تؤكد تأثير الخمور على الأجنة فتؤدي إلى ظهور آثار الكحول السمية على الجنين مما يسبب : (١) توقف نمو الدماغ وصغر حجمه (٢) توقف نمو العينين (٣) توقف نمو الفكين مما يؤدي إلى ضمورهما وصغر حجمهما (٤) كثرة العيوب الخلقية في القلب (٥) تأخر النمو في الجسم عامة (٦) التأخر العقلي والعته والبلاهة نتيجة تأخر نمو المخ .

أوروبا وخاصة في ألمانيا حيث اكتشف هذا الدواء . وسحب الدواء ولكن الشركة التي أنتجته أفلست لفرط ما دفعت من غرامات وتعويضات .

وقد اتضح أن أولاد مدمن الخمر يكونون في الغالب مدمنين وتكثر فيهم نزعة الإجرام كما يكثر فيهم الخلل العقلي والعته والجنون . ولكن هل ذلك ناتج من تأثير الخمر في الصبغيات (الكروموسومات) والناسلات (الجينات) التي تحمل الصفات الوراثية عبر الحيوان المنوي للرجل أو البويضة للأنثى . أم أن ذلك ناتج عن تأثير البيئة الفاسدة ؟

يجيب العلماء في هذا بقولهم : إننا لم نكتشف (جيناً) ناسلاً خاصاً في الحيوان المنوي أو البويضة يحمل خاصية الإدمان ولكننا نعلم أن نسبة المدمنين عالية جداً بين الذين لهم تاريخ عائلي بالإدمان ٦٢ بالمائة بينما تكون النسبة لدى شاربي الكحول العاديين (Social Drinkers) منخفضة وهي ١٦ بالمائة كما يقول الدكاترة سيتل وفوجتلين ولامير الذين يعملون في مصح شادل لمعالجة الإدمان وهو أشهر مصح لمعالجة الإدمان في الولايات المتحدة .. كما أجريت تجارب أخرى فنقل أولاد المدمنين من بيوت أسرهم وهم أطفال وأنشئوا نشأة عادية في بيئة بعيدة عن الإدمان فوجد أن نسبة كبيرة منهم انقلبت إلى الإدمان عندما تعرضت لشرب الخمور . وهذا يدل على أن هناك استعداد وراثي على الأقل للإدمان بين المدمنين . وإن شرب الخمور يؤدي بالتالي إلى إيجاد حيوانات منوية لدى الرجل أو بويضة لدى المرأة مصابة في إحدى ناسلاتها (جيناتها) بالاستعداد لشرب الخمور لدرجة الإدمان . وباختصار كما يقول الدكتور لنكولن ويليامز (Dr. Lincoln Williams) في كتابه القيم : (Alcoholism Explained) شرح إدمان الخمر « إن بذرة الإدمان تنمو بسرعة في تربة الإدمان العائلي » .

وهكذا تتضافر عوامل الوراثة مع عوامل البيئة في إيجاد ذرية تميل إلى الإدمان أي أنها بمجرد شرب الخمور لا تملك القدرة على التوقف كما يتوقف معظم الشاربين وإنما يستمرون في الشراب حتى الثمالة .

وقبل أن ننهي هذا الفصل عن التداوي بالخمر نورد بعض الحوادث التي تدل على عمق الإيمان . وكيف كان المسلمون يتقبلون كلام الله ورسوله بالطاعة التامة .. ولا يصدقون في ذلك أقوال الأطباء في زمنهم .. ثم يتطور العلم ويتقدم الطب فإذا الطب الحديث يكتشف صدق ما ذهب إليه هؤلاء وزيف ما اعتقده الأطباء في تلك الأزمنة وقد أوردنا مقالة ابن القيم في هذا الصدد وقد قالها في زمن كان الطب مجمعاً فيه على أن الخمر دواء .. ورفض بصدق إيمانه تلك الخرافة ونعرض الآن لبعض ما روي عن الإمام جعفر الصادق في هذا الصدد ففيه غناء :

« سأل أحدهم الإمام الصادق عن رجل به البواسير الشديد وقد وصف له دواء من نبيذ لا يريد به اللذة بل يريد الدواء فقال : لا ولا جرعة . قيل : ولم ؟ قال : لأنه حرام وأن الله لم يجعل في شيء مما حرمه دواء ولا شفاء » . وقد كان الطب في تلك الأزمنة الغابرة يظن أن علاج البواسير بالخمر ، وما درى الطب آنذاك أن الخمر تسبب البواسير وتهيجها وذلك بطريقتين : مباشرة وذلك بسبب الاحتقان وتمدد الأوعية الدموية في الشرح وثانيها بواسطة تليف الكبد وازدياد ضغط الدم في الوريد البابي .. وسنعرض لذلك عندما نتحدث عن الكبد إن شاء الله .

« قال أحدهم للإمام جعفر الصادق : إن بي وجعاً وأنا أشرب النبيذ ووصفه لي الطبيب فقال له ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ؟ قال : لا يوافقني . قال : فما يمنعك من العسل الذي قال الله فيه شفاء للناس ؟ قال : لا أجده . قال فما يمنعك من اللبن الذي نبت منه لحمك واشتد عظمك ؟ قال لا يوافقني . قال : تريد أن آمرك بشرب الخمر لا والله لا آمرك » .

وسئل الصادق عن الدواء يعجن بالخمر . فقال : « ما أحببت أن أنظر إليه ولا أشمه فكيف أتداوى به » .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التداوي بغير الخمور
من المواد المخدرة

إذا علمنا أن التداوي بالخمر الصرفة حرام عند الفقهاء جميعاً إلا من توهم منهم أن للخمر فائدة طبية .. وأما الترياق فقد اختلفوا فيه كما ذكرناه . ويبقى السؤال هل يجوز التداوي بالأفيون ومشتقاته ؟ وهل يجوز استخدام البنج وهو مذهب للعقل ؟ وهل يجوز استعمال حبوب الداتورة أو غيرها من المواد التي قد يذهب بعضها العقل لو أخذت بكمية كبيرة ويسبب بعضها الإدمان مثل الباربيتورات والفاليوم والليبريم وغيرها ؟

نقول إن الأمر يحتاج إلى تفصيل فليست كل هذه المواد سواء .. فالحشيش مثلاً لا فائدة طبية منه وليس له أي استخدام في الطب ولذلك يندرج عليه حكم الخمر في الحرمة ولا يجوز استعماله في الطب .. بينما نجد أن الأفيون ومشتقاته مثل المورفين والكودايين نجد لها استعمالات طبية كثيرة والكودايين مسكن للآلام ومهدئ للسعال ولا يسبب ذهاب العقل ولا اللذة المطرية الموجودة في الخمر . وليس هناك من خطر سوى خطر التعود والإدمان .

وأما المورفين والهروين فإنهما من أقوى ما اكتشف الإنسان من مسكنات للآلام المبرحة وهما أيضاً أقوى المواد المسببة للإدمان .. وعليه فإن استخدام المورفين في الطب مسموح به في الحالات المسببة للآلام الشديدة المبرحة مثل جلطة القلب أو السرطانات وخاصة قرب النهاية المحتومة .. ومع هذا فإن المورفين ومشتقاته لا يسبب الإسكار في العادة .. وإنما خطره العظيم هو في التعود والادمان .

وكذلك استعمال الحبوب المهدئة .. وهي الآن طوائف مختلفة متعددة

وتحت كل طائفة مجموعة من الأدوية .. وجميع هذه المواد تخفف من وطأة القلق وتريح البال وتجلب النوم .. وبعضها يذهب الكآبة والضيق وفي الحدود المتعارف عليها طبياً لا تسبب فقدان العقل ولا الإسكار أما إذا زاد المقدار فإنها تسبب نوعاً من التشوش الذهني وقد تفقد التوازن ويبدو المرء وكأنه سكران ثمل .

ولذا فإن جميع الدول تمنع استعمالها إلا بإرشاد طبيب . وبما أن هذه المواد لا تسبب السكرة المطربة الموجودة في الخمر ولا تسبب الإسكار بالمقادير المستعملة وإن كان كثيرها يسبب ما يشبه السكر . وعليه فإن مذهب الإمام أبو حنيفة والظاهرية ييسر الأمر ويبيح تناولها بالمقادير المطلوبة التي لا تسبب فقدان العقل والاتزان .

أما المواد المستعملة في التخدير فهي لا شك تذهب العقل ولولا ذلك لما استعملت في التخدير .. وهي لا تسبب الشدة المطربة ويفقد المرء وعيه بمجرد استنشاقه لها أو إعطائه إياها بالوريد .. وهي لا تسبب الإدمان رغم أن طبيب التخدير أو مساعده قد يتعود على استنشاقها بالتدريج وبكميات ضئيلة تتطاير من الكمامة وجهاز التخدير..

وعليه فإن استخدامها على غرار الخمر غير وارد أصلاً .. ولا يستخدمها إلا الأطباء لإفقاد المرضى وعيهم حتى يتمكن الجراحون من إجراء عملياتهم .. ولذا فهي لا تدخل في رأينا في حكم الخمر أصلاً ويجوز استعمالها طبياً . والله أعلم .

أما الأمفيتامين ومثله إلى حد ما القات الذي يستخدم بكثرة في اليمن والحبشة فإنهما لا يسببان الإسكار ولا فقدان العقل .. وإن كانا يسببان التعود والإدمان .

والأمفيتامين أخطر من القات بكثير من حيث تسبيب التعود والإدمان .. أما القات فيعطي ماضغه نشاطاً ولكنه يعقبه خمود .. ويسبب أيضاً اتساع حدقة العين وزيادة ضربات القلب ونشفان الريق والإمساك والأرق . وخسارته المادية أكبر وأفدح . ولكنه من العسير أن نجعله ضمن المواد المسكرة مثل الخمر .

الفصل الثالث

هل للخمر منافع ؟

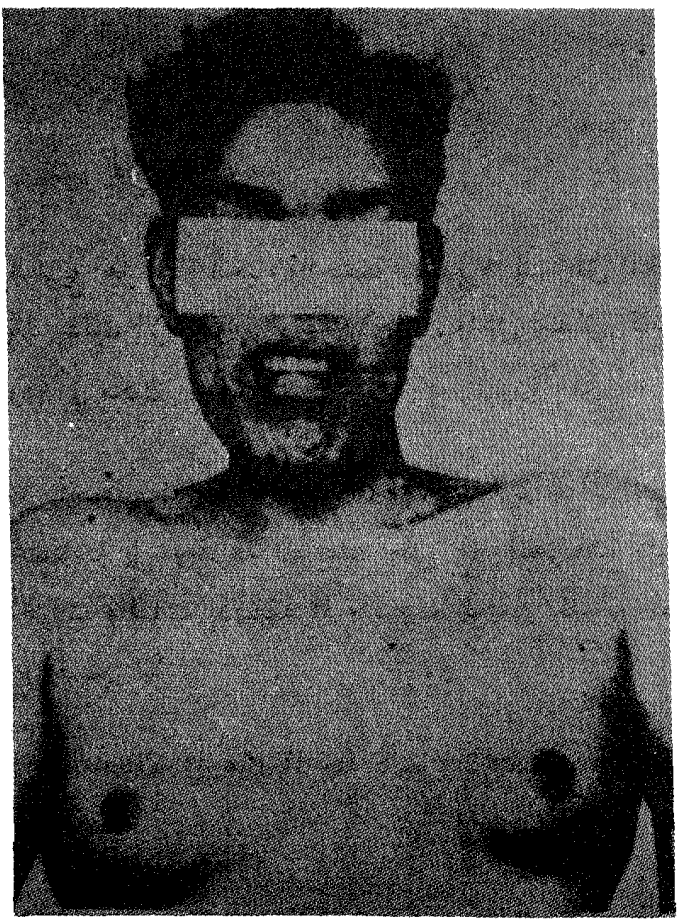

الخمر والجنس :

إن منافع الخمر مرتبطة بالأوهام والأساطير ..

ومن أهم هذه الأوهام المتعلقة بمنافع الخمر أنها تقوي الباءة وتزيد من القدرة الجنسية .. ومنذ آماد طويلة والإنسان سادر في غيه وأوهامه .. ويشرب الخمر على أمل أن تزيد من قدرته الجنسية ..

وقد تنبه الشاعر الإنجليزي الموهوب شكسبير لهذه النقطة فقال عنها :

"It Provokes the Desire, but it Takes Away the Performance"

« إنها تحفز الرغبة ولكنها تفقد القدرة على التنفيذ » .

وسبب هذا الوهم أن للخمر في جسم الإنسان تأثيرين :

أولهما : تأثير سريع أولي .

وثانيهما : تأثير بطيء ودائم .

والتأثير السريع هو إزالة الحياء والحشمة بتخديرها للمناطق المخية العليا في الإنسان وعندئذ ينفلت الإنسان من ربقة الأخلاق والمثل فينطلق كالبهيمة يسافد في الطرقات وفي أي مكان ..

ولذا تكثر في هذه المرحلة الجرائم المختلفة بما فيها جرائم الجنس وهتك العرض والاغتصاب بل ومقارفة الفاحشة حتى مع المحرمات والمحرمين من الأقارب والأخوات والبنات إذ يفقد المرء بسبب الخمور قدراته العقلية ويفقد معها كل وازع وضمير [1] .

وبناء على ما يحدث في هذه المرحلة تأصل الاعتقاد بأن الخمر تزيد في الباءة والمقدرة الجنسية ..

ولكن لا يلبث شارب الخمر إلا فترة من الزمن حتى تنقلب الآية .. ويفقد

---

(١) وقد نشرت صحيفة الديلي ميل في عددها الصادر ٢٦ يونية ١٩٨٠ أن هيئة الصحة العالمية WHO قد صرحت – بعد أن قامت ببحث أحوال ٣٠ دولة من بينها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا – أن ٨٦ بالمئة من جرائم القتل و٥٠ بالمئة من جرائم الاغتصاب وجرائم العنف قد تمت تحت تأثير الخمر .. ويقول اللورد هاريس أن الأبحاث التي أجريت على المجرمين والقتلة في السجون البريطانية تدل على أنهم يعانون من إدمان الخمور بصورة خاصة . وأن ما لا يقل عن خمسين بالمئة من جميع هذه الجرائم المريعة قد تمت تحت تأثير الكحول .

المدمن قدرته الجنسية تماماً فيصاب بالعنّة (عدم القدرة على الانتصاب) وقلة الباءة ورويداً رويداً يفقد شارب الخمر قدراته رغم محاولاته في التهتك وحضوره إلى النوادي الليلية وأماكن العرى .. إلا أنه يفقد قدرته على التنفيذ وقد بلغ الأمر ببعضهم أن يدفع نقوداً لشباب كي يمارسوا العملية أمامه ويستمتع هو بدور المتفرج فقط !!

والسؤال هو كيف تسبب الخمر العنّة وفقدان القدرة الجنسية ؟

لقد أوضحت الأبحاث الطبية الحديثة أن الخمر تسبب ذلك بثلاثة أشياء :

أولها : أن مدمن الخمر يعاني من تليف الكبد .. وبما أن الغدد فوق الكلية (الكظرية) تفرز شيئاً يسيراً من هرمون الأنوثة لدى الرجل .. تقوم الكبد السليمة بتحطيم ذلك الهرمون حتى يبقى هرمون الذكورة (التستسرون) هو المسيطر فإن الكبد المريضة لا تستطيع أن تقوم بهذه المهمة ..

ولذا يزداد هرمون الأنوثة في جسم مدمن الخمر فتكبر أثداءه ويرق صوته .. ويقل شعر العانة ويسقط شعر الذقن والشارب وتترهل العضلات ويتجمع الدهن في الأرداف والعجز .. ويفتر العزم والإقدام .. ويفقد المدمن بذلك صفات الرجولة ويتحول إلى شبه أنثى بأثداء وأرداف وعجز .. ويفقد قدرته الجنسية ويصاب بالعنة وقلة الباءة .

وثانيها : تؤثر الخمر تأثيراً سمياً مباشراً على الخصية .. والخصية هي مصنع هرمون الرجولة (التستسرون) كما أنها مصنع النطف (الحيوانات المنوية) ... ونتيجة لذلك يقل إفراز هرمون الرجولة كما أن الحيوانات المنوية يقل عددها ويكثر فيها الأشكال الغريبة التي لا تؤدي إلى التلقيح .. كما أن حركتها تقل فلكأنما هي ثملة سكرى بتأثير الكحول ..

وثالثها : إن عملية الانتصاب ترجع إلى تدفق الدماء عبر أوردة الأحليل ..

وكل ذلك بتحكم الجهاز العصبي الغير إرادي ومركزه في الفقرات العجزية .. ويسمى « الجهاز نظير التعاطفي » . (Parasympathatic Nervous System)

أما القذف والإنزال فهو نتيجة أوامر من الأعصاب الآتية من الجهاز العصبي الغير إرادي والمعروف باسم « الجهاز العصبي التعاطفي » (Sympathatic Nervous System) .

وللخمر تأثير مباشر على هذين الجهازين من الأعصاب الغير إرادية (أي التي لا تتحكم فيها إرادة الإنسان) .. وتقوم الخمر بإصابة هذه الأعصاب بالشلل فتفقد وظيفتها .

ويؤدي ذلك إلى عدم الانتصاب (العنة) .. كما يؤدي إلى عدم القدرة على الإنزال في كثير من الأحيان .

وهكذا تصيب الخمر الجهاز التناسلي من كل حدب وصوب ..يقل هرمون الذكورة ويزداد هرمون الأنوثة .. ويقل إفراز المني .. وتقل فيه الحيوانات المنوية عدداً وعدة .. وتكثر فيها الأشكال الغريبة كما تقل حركتها وفاعليتها ..

وبعد هذا كله يصاب الجهاز العصبي المسؤول عن الانتصاب والانتشار فيصاب المدمن بالعنة وقلة الباءة وفقدان المقدرة الجنسية ..

والنتيجة أن شارب الخمر الذي أقدم على شربها ليزيد من قدرته الجنسية انتهى به الأمر إلى فقدان تلك القدرة فقداناً كاملاً .

ولا علاج إلا بالتوقف التام عن شرب الخمور وخاصة في بداية الأمر .

وإذا أضاف المدمن إلى شرب الخمر تدخين السجائر أو استعمال التبغ بأي صورة من صور استعمالاته مضغاً أو سعوطاً أو تدخيناً فإن تعاون هاتين المادتين السامتين يسرع بالوصول إلى العنة وفقدان القدرة الجنسية ..

وقد ثبت بالبحوث الطبية الحديثة أن النيكوتين ومواد التبغ السامة الأخرى لها تأثير مباشر على إفراز هرمون الذكورة من الخصية كما أنها تؤثر على إنتاج الحيوانات المنوية حيث تقل عددها كما تكثر فيها الأشكال الغريبة التي لا تجدي في التلقيح .. كما أن حركتها ونشاطها تقل بتأثير هذه المواد ..

وبما أن الخمر تفعل الشيء ذاته .. فإن اجتماع هاتين المادتين ـ وكثيراً ما يجتمعا ـ يؤدي إلى فقدان القدرة الجنسية التي من أجلها يشرب كثير من الناس الخمر ويدخنون السجائر ! ! والغريب حقاً أن الخمر لها تأثيرات متضادة في جسم الإنسان بل وفي سلوكه ..

الخمر والهضم :

الخمر في أول الأمر تزيد من إفراز المواد المساعدة للهضم كما أنها تزيد أول الأمر من إفراز حامض كلور الماء (HCl) .. ولكنها لا تلبث إلا يسيراً حتى تقل الإفرازات الهاضمة ويصاب المدمن بفقدان الشهية والتهاب المعدة الضموري المزمن .. وبناء على هذا التأثير الأولي شربت الخمور منذ أقدم الأزمنة ولا تزال تشرب إلى يومنا هذا على أساس أنها فاتحة للشهية (Apéritif) ولا تكاد تخلو مائدة طعام في أوروبا وأمريكا من نوع من أنواع الخمور وخاصة الأنبذة .. وهو ما يستعمل بكثرة في فرنسا وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا ووسط أوروبا . (يراجع فصل الخمر والجهاز الهضمي لمزيد من التفصيل) .

الخمر والتدفئة :

وكذلك تفعل الخمر بالنسبة للتدفئة . وكثير من الناس يشربها على هذا الأساس وقد جاء وفد اليمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له إن بلادنا باردة وإننا نعالج عملاً شديداً .. ونتخذ شراباً فنقوى به على برد بلادنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم هل يسكر ؟ قالوا نعم . قال : فاجتنبوه . قالوا : إن الناس غير تاركيه . فقال عليه السلام : إن لم يتركوه فقاتلوهم .

وقد أوضحنا كيف أن الخمر توهم الإنسان بالدفء لأنها توسع الأوعية الدموية الموجودة في الجلد ويؤدي ذلك إلى الإحساس بالدفء بل والحرارة وفي نفس الوقت يفقد المرء حرارة جسمه إلى الجو البارد . ويؤدي ذلك إلى هلاكه .

الخمر والشجاعة والكرم :

وهناك وهم آخر وهو أن الخمر تدفع الإنسان إلى الشجاعة والكرم وقد كان العرب يشربونها على هذا الوهم حتى قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في جاهليته قبل إسلامه عنها :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً لا ينهنهنا اللقاء

وليس ذلك إلا لأنها تخدر المناطق المخية العليا حيث الفكر والروية وحيث العقل يعقل الشهوات الجامحة فيبدو لذلك المخمور وكأنه شجاع مقدام وهو ليس كذلك .. إذ سرعان ما ينقلب الأمر إلى ضده وتنقلب تلك الشجاعة إلى خور وجبن . وعلى كل حال فليست تلك الشجاعة بالشجاعة المحمودة ولا ذلك الكرم بالكرم المحمود .. فإذا كانت الشجاعة في غير موضعها سميت تهوراً وإذا كان الكرم في غير موضعه انقلب إلى إسراف وتبذير ..

واستمع إلى الإمامين الجليلين البخاري ومسلم وهما يحدثان عن علي كرّم الله وجهه وهو يقص لنا قصة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء وذلك قبل أن تحرم الخمر . قال رضي الله عنه :

« كانت لي شارف (ناقة) من نصيبي من المغنم يوم بدر .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفاً (ناقة) من الخمس يومئذ (والخمس هو نصيب آل البيت من المغنم بناء على قوله في سورة الأنفال وأعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

فلما أردت أن أبتني (أتزوج) بفاطمة واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع

(وهي قبيلة من اليهود كانت تسكن المدينة) يرتحل معي فنأتي بأذخر (نبات له ريح طيب) ... أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به في وليمة عرس .. فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائز والحبال .. وشارفاي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار أقبلت حين جمعت ما جمعت فإذا شارفاي قد جبت (قطعت) أسنمتهما وبقرت (طعنت) خواصرهما .. وأخذ من أكبادهما فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة . وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار غنته قينة وأصحابها فقالت في غنائها :

ألا يا حمز للشرف النواء ...

فوثب حمزة إلى سيف فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما فانطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فعرف صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت فقال : ما لك ؟ قلت : يا رسول الله : ما رأيت كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما . وها هو ذا في بيت معه شرب .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه فارتدى ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستأذن فأذن فإذا هم شرب فطفق صلى الله عليه وسلم يلوم حمزة فيما فعل فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصعد النظر إلى سرته ثم صعد النظر إلى وجهه ثم قال : وهل أنتم إلا عبيد لأبي ؟!

فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى وخرج وخرجنا معه وذلك قبل تحريم الخمر » .

وهذه القصة تكفي لترينا أي شجاعة يكسبها شارب الخمر حتى ليقول حمزة الذي يفدي نفسه في حب الله وحب رسوله . يقول لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ولعلي : وهل أنتم إلا عبيد لأبي .. وهو حمزة الذي ذهب في جاهليته إلى أبي جهل فشجه شجة منكرة لأنه علم أن أبا جهل اعتدى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأبي جهل أتشتمه وأنا على دينه .. ومنذ تلك اللحظة دخل في الإسلام انتصاراً لرسول الله وحباً له .. ولم يك من قبل قد دخل في دين الله .

أيعقل من حمزة أن يصعّد النظر إلى رسول الله ثم يقول له ولعلي « وهل أنتم إلا عبيد لأبي » لولا تلك الشجاعة الكاذبة الخرقاء التي أعطته إياها الخمر فتباً لها من شجاعة .. وتباً له من كرم جعله يبقر ناقتي على التي ليس له سواهما يومئذ .

وهذا كله يرينا إلى أي مدى وصل الإنسان بالوهم لأنه لا يرى في الغالب الأعم إلا ظواهر الأمور أما بواطنها فلا يعقلها إلا العالمون ..

وقد كان الناس يعتقدون أن في الخمر دواء وأن فيها غذاء وقوة للأبدان وأنها تزيد من قدرتهم على تحمل المشاق وعلى مكابدة الأعمال وعلى مواجهة البرد . ويظنون أن فيها منافع صحية فتهضم الطعام وتخرج الفضلات وتشحذ الذهن .. وتزيد من القدرة الجنسية وتدفع بهم إلى الشجاعة والكرم .. حتى أن الإمام ابن كثير يقول في تفسير الآية : « يسألونك عن الخمر والميسر . قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » أما إثمهما فهو في الدين .. وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيها نفع البدن وتهضيم الطعام وإخراج الفضلات وتشحذ بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها كما قال حسان ابن ثابت في جاهليته :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً لا ينهنهنا اللقاء

وكذا بيعها والانتفاع بثمنها .. وما كان يقمشه بعضهم من الميسر فينفقه على نفسه أو عياله .. ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين ولذا قال الله تعالى واثمهما أكبر من نفعهما » .

فإذا وصل الأمر أن يقول فيها إبن كثير هكذا فكيف بغيره ؟

ولقد انقشعت تلك الأوهام بظهور الأبحاث الطبية الحديثة .. وآخر تلك الأوهام انقشاعاً وزوالاً هو وهم أنها توسع الأوعية الدموية المغذية لعضلة القلب ..

فقد تبين بالأبحاث الدقيقة أن الخمر رغم أنها توسع الأوعية الدموية الموجودة تحت سطح الجلد إلا أنها لا توسع الأوعية الدموية المغذية للقلب .. بل على العكس من ذلك .. فإن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة الدهون (الأحماض الدهنية والكوليسترول) في الدم ويؤدي ذلك إلى ترسبها على جدر الأوعية الدموية وخاصة شرايين القلب والدماغ فيؤدي ذلك إلى تصلب الشرايين وإلى زيادة جلطات القلب .

كما أن الخمر سم ناقع لعضلة القلب .. وقد فصلنا في ذلك عندما تعرضنا للخمور وأمراض القلب والدورة الدموية ..

وليست الخمر علاجاً للقلب كما توهم الشيخ سيد سابق حيث صدّق ما قاله له الأطباء حينئذ فقال : « أو من أصابته أزمة قلبية وكاد يموت فعلم أو أخبره الطبيب بأنه لا يجد ما يدفع به الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر » وعندئذ يجوز له أن يشربها بناء على هذا الوهم .. وقد قال المصطفى صلوات الله عليه إنها داء وليست دواء .

وخلاصة القول أن كل ما ذكر عن منافعها إنما هو من قبيل المنافع الوقتية الآنية التي تعقبها الحسرات والآهات .. وأما منافعها التجارية فتعود على فئة من المجتمع بمكاسب ضخمة ولكنها تؤدي إلى خراب المجتمع بأكمله .

وقد ذكرنا في فصل آخر أن ما تخسره بريطانيا على الخمر يبلغ ثلاثة آلاف مليون جنيه استرليني سنوياً .. وما تخسره الولايات المتحدة يقرب من ثلاثين ألف مليون دولار في كل عام (حسب ما ذكره كتاب الكلية الملكية للأطباء) « مواضيع في العلاج » (Topics in Therapeutics) . وما تخسره فرنسا حسب تصريح وزير الاقتصاد روبير بابوك أكثر من سبعة بلايين دولار حسبما نقلته

صحيفة الشرق الأوسط عن وكالات الأنباء في عددها الصادر ١/٧/ ١٩٨٠

فمصائب الخمر الاجتماعية تفوق بدون شك أو ريب حتى مصائبها الصحية .. وقد ركّز القرآن على تلك الأخطار حيث قال تعالى :

« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . فهل أنتم منتهون ؟ »

وهكذا يتبين أن ما يقال عن منافع الخمر ليس إلا المنافع الظاهرة الوقتية الآنية وأما حقيقتها فهي المضار الإجتماعية والصحية والدينية . وما يعقبها من مضار وأخطار يعدل أضعاف أضعاف تلك اللذة التي يجدها شاربها أول الأمر فتعقبها الآهات والحسرات .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

نجاسة الخمر والكحول والكولونيا

كثيراً ما يرد هذا السؤال : هل الخمر نجسة العين أي أنها إذا أصابت ثوباً حرم فيه الصلاة . أم أن النجاسة معنوية !

وإذا قلنا بنجاسة الخمر فهل يعني ذلك بالتالي أن الكحول وما يستخدم فيه من الكولونيا والبارفان نجس أيضاً ؟

ولنبدأ بالخمر أولاً . فقد اختلف فيها الفقهاء .. وأغلب الفقهاء على أنها نجسة العين واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » وقالوا إن تسميتها رجساً يدل صراحة على كونها نجسة .

ولم يوافقهم على هذا الرأي ثلة من كبار العلماء والفقهاء منهم نبراس العلماء الشيخ ربيعة شيخ الإمام مالك رحمهما الله ومنهم الإمام الحسن البصري والليث وداود رحمهم الله ذكر ذلك الإمام النووي في المجموع . وقد قالوا إن نجاسة الخمر معنوية وأشاروا إلى قوله تعالى « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . » وقد اتفق العلماء سلفاً وخلفاً على عدم نجاسة المشرك العينية وإنما هي نجاسة معنوية .. وإذا لمس أو صافح مشرك مسلماً أو لمس ثوبه فلا يتنجس بذلك بدنه ولا ثوبه وكيف يتنجس وقد أباح الله تعالى نكاح المشركة الكتابية التي تدعو عيسى ربها ..

ولا يقتضي تحريم الخمر أن تكون نجسة العين وإلى هذا الرأي ذهب أيضاً الإمام الشوكاني ، قال في السيل الجرار : ليس في نجاسة المسكر دليل يصلح للتمسك به[1] .

وحتى إذا قلنا بنجاسة عين الخمر فهل يعني ذلك أن الكحول نجس ؟

من المتفق عليه لغة أن الخمر هي ما غلا واشتد من النيء أو عصير العنب .. وما عداها ينسحب عليه حكم الخمر باعتبار الإسكار .. يقول صاحب المنهاج (للشافعية) :

« وحقيقة الخمر المسكر من عصير العنب وإن لم يقذف بالزبد . وتحريم غيرها بنصوص دلك على ذلك » ولذا فإن علة تحريم تلك المواد المسكرة هو الإسكار وليس لذاتها .

وجميع ما هو مسكر أي يذهب العقل سواء كان من السوائل المائعات مثل الخمر وغيرها من المشروبات المسكرة أو من الجامدات مثل الحشيش والأفيون والخشخاش وحبوب الداتوره أو حبوب الهلوسة (L.S.D.) (وتتخذ أيضاً على هيئة حقن) أو من الغازات مثل أنواع البنج المختلفة كالإيثر (Ether) أو استخدام الحشيش على هيئة دخان يتنفسه متعاطيه .. فإن كل ذلك يندرج تحت المواد المخدرة والمذهبة للعقل وقد أدرجها الفقهاء على اختلاف العصور

---

(١) أنظر كتاب السيل الجرار على حدائق الأزهار جـ ١ ص ٣٥ لمزيد من التفصيل حيث أو رد الامام الشوكاني حجج نحن قال بنجاسة الخمر ورد عليها . وقال الأمير الصنعاني في كتابه سبل السلام شرح بلوغ المرام : والحق أن الأصل في الأعيان الطهارة . وأن التحريم لا يلازم النجاسة . فإن الحشيشة محرمة وهي طاهرة . وأما النجاسة فيلازمها التحريم فكل نجس محرم ولا عكس » . وذكر القرطبي في تفسيره أن الذين قالوا بعدم نجاسة الخمر هم ربيعة والليث بن سعد والمزني صاحب الشافعي وبعض المتأخرين ورغم أن الشافعية يقولون بنجاسة الخمر إلا أن الامام النووي في المجموع يقول : «ولا يظهر من الآية (إنما الخمر والميسر والانصاب رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) دلالة ظاهرة لأن الرجس عند أهل اللغة القذر ولا يلزم من ذلك النجاسة . وكذا الأمر بالاجتناب لا يلزم منه النجاسة » .. ثم قال «وأقرب ما يقال ما ذكره الغزالي أنه يحكم بنجاستها تغليظاً وزجراً عنها وقياساً على الكلب وما دلغ فيه والله أعلم » .

تحت حكم الخمر في الحرمة لقوله صلى الله عليه وسلم : كل شراب أسكر فهو حرام . **(أخرجه الستة : البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي ومالك)** .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : كل مسكر خمر وكل خمر حرام .
(أخرجه الستة)

ولقوله عليه الصلاة والسلام : كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام .

ولقوله عليه الصلاة والسلام : ما أسكر كثيره فقليله حرام .
(الترمذي وأبو داود)

ورغم دخول جميع هذه المواد المذهبة للعقل المسببة للإدمان في الحرمة إلا أن الفقهاء لم يتفقوا في حكم نجاستها ولا في حد متعاطيها .. فقد نص الإمام النووي في المجموع على أن متعاطي النباتات المذهبة للعقل والتي لا توجد بها لذة مطربة محرمة ولكنها ليس فيها حد على متعاطيها ..

كما اتفق الفقهاء على أن حكم الجامدات من هذه المواد في النجاسة أنها تعتبر طاهرة العين .. وأما المسكرات من المائعات أي السوائل فقد أدخلها الشافعية والحنابلة والمالكية في حكم الخمر في كل شيء بما فيه النجاسة .. وأما الأحناف فلم يحرموا من هذه المواد إلا ما أسكر وأما القليل الذي لا يسكر فلم يدخلوه في الحرمة وبالتالي لم يدخلوه في حكم النجاسة . ونص الإمام أبو حنيفة على طهارة النبيذ . ذكر ذلك الإمام النووي في المجموع .

وقد ذهب الأئمة أحمد ومالك وأبو حنيفة إلى طهارة بخار النجاسة أما الشافعية فقالوا بنجاسة ذلك البخار .. وبما أن الكحول سائل سرعان ما يتطاير ويتحول إلى غاز فإن هذا الغاز أو البخار يعتبر طاهراً ولو كان أصله نجساً عند أحمد ومالك وأبو حنيفة .

وإذا علمنا أن الكحول يتكون في كثير من المأكولات وجميع ما نخمره مثل الخمير والخبز والكعك والبسكويت .. بل إن الكحول يتكون داخل أمعائنا

بفعل البكتريا فإننا نتيقن بذلك أن الكحول غير نجس . وأن علة تحريم الكحول هي الإسكار فحسب .

وكذلك إذا علمنا أن الكحول المستخدم في الكولونيا وغيرها لا يستخرج من الخمر أبداً .. وإنما يصنع بطرق كيماوية منها تحويل غاز الإيثان إلى الكحول الإيثيلي أو الإيثانول كما يسمى علمياً .

وعلى ذلك فليس مصدر الكحول الخمر ومن يقول بنجاسة عين الخمر فإن الكحول المستخدم في هذه العطور والروائح ليس مستخرجاً من الخمر .. بل هو مصنوع بطريقة مغايرة ومن مواد ليست نجسة .

ويبدو على هذا أن استعمال الكحول في الكولونيا والبارفان وغيرها استعمال مادة طاهرة .

ولكن هذا لا ينفي مطلقاً حرمة شربها .. ولا خلاف مطلقاً في أن الكحول مسكر بل هو علة الإسكار في الخمور .. ولا يجوز شربه بأي حال من الأحوال ولكنا نقول إن كونه مسكراً شيء وكونه نجساً شيء آخر .. ولا تلازم بين الحكمين . والله أعلم . »

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس

المشروبات الغازيّة والكحول

لعل كثيراً من القراء لا يعلمون أن المشروبات الغازية مثل البيبسي كولا والكوكا كولا والسفن آب وغيرها قد أذيبت موادها الأولية بشيء من الكحول .. فما هو يا ترى حكم هذه المشروبات وهي تحتوي على الكحول ؟ والكحول هي روح الخمر (Spirit) أو سبيرتو كما يسميها العامة ..

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسكر كثيره فقليله حرام ؟ بلى لقد قال ذلك .. ولكن لو شرب إنسان ما كثيراً من هذه المشروبات مثل البيبسي كولا أو السفن آب فهل يسكر ؟ من المعلوم والمتفق عليه أنه لا يسكر ولو شرب فرقاً . فعلة التحريم وهي الإسكار مفقودة .. وعليه فإن حديث ما أسكر كثيره فقليله حرام أو حديث ما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام لا ينطبق مطلقاً على هذه المشروبات إذ لو شرب شخص ما هذه المشروبات بأي كمية كانت فإنه لا يسكر .

وعليه فإن هذه المشروبات لا يمكن أن تكون إلا حلالاً لأن علة التحريم مفقودة أصلاً .. وهي الإسكار .. ولأنه لا ينطبق عليها إسم الخمر لا لغة ولا شرعاً ولا حكماً . ولأنها لم تخالط مادة الخمر (وهي النيء من عصير العنب الذي علا واشتد وقذف بالزبد) .

ورغم كل هذا فإن أغلب الفقهاء متفقون على أن الخمر لو أضيفت إلى

سائل أو مادة استهلكت فيها الخمر استهلاكاً تاماً بحيث لم تعد تلك المادة مسكرة ولو شرب منها الكثير فإن تلك المادة تصبح حلالاً وما فيها من الخمر معفو عنه لأنه داخل في حكم المستهلك وقد استدل الفقهاء على ذلك بفعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما أوتي بجبن من الشام وأخبر بأنه يعقد بأنفحة نجسة فجوز صلى الله عليه وسلم أكله ولم ينه عنه[1] .

وعن ابن عمر : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك من عمل النصارى فدعا بسكين فسمى وقطع وأكل . **(أخرجه أبو داود ورزين)**

وأخرج أحمد والبزار عن ابن عباس : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في غزاه فقال : « أين صنعت هذه ؟ فقالوا بفارس ونحن نرى أنه تجعل فيها ميتة . فقال : اصنعوا فيها بالسكين واذكروا اسم الله وكلوا » .

وعليه فإن جميع هذه المشروبات الغازية مثل البيبسي كولا والسفن آب والكوكاكولا وغيرها .. هي من المشروبات الطيبة التي أباحها الله لنا رغم أن موادها الأولية قد أذيبت بشيء يسير من الكحول . والله أعلم

وفي كتاب الأطعمة من الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت تحت عنوان **الغازوزة** ما يلي :

هي شراب حلو فيه قليل من الزيوت العطرية مشبع بغاز ثاني أوكسيد الكربون تحت ضغط أعلى من الضغط الجوي وقد تضاف إليه مواد أخرى تكسبه لوناً أو طعماً خاصاً ..

---

(١) نص على ذلك كتاب الأطعمة الموسوعة الفقهية إصدار الكويت وذكره السيد مطهر الغرباني في فتواه عن الكحول والكولونيا والعطور . وذكر في التحفة لابن حجر الهيثمي على المنهاج «وجبن شامي اشتهر عمله بانفحة الخنزير . وقد جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبن من عندهم فأكل منها ولم يسأل عن ذلك » .

والزيوت العطرية الداخلة في صناعتها لا تمتزج بباقي موادها إلا إذا حلت بإضافة جزء من الغول (الكحول) إليها .. والغول مسكر بل هو روح المسكرات كلها فهو نجس عند الجمهور وبه يتنجس الزيت والغازوزة فيحرم شربها .

هذا ما يبدو ولأول وهلة . لكن إذا أمعنا النظر أمكننا أن نقول : إن إضافة الغول إنما هي للإصلاح فشأنها شأن إضافة الأنفحة النجسة إلى اللبن ليصير جبناً . وقد قالوا إن الأنفحة لا تنجّس اللبن بل يعفي عنها . هذا إذا قلنا إن الغول نجس فإن قلنا إنه طاهر كما قال الشوكاني وكما اختارته لجنة الفتوى في الأزهر فلا إشكال . والله أعلم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس

تحريم الخمر

هل الخمر محرمة ؟

سؤال فضلنا من قبل عدم الإجابة عليه لتفاهته ولأنه من المعلوم من الدين بالضرورة .. ولكنا نجدنا الآن مضطرون للإجابة عليه بعد أن وجدنا عدداً من الناس قد تسرب إلى أذهانهم تلك المقولة المدسوسة الظاهرة العوار الواضحة البطلان أنه لم يرد نص قطعي بتحريم الخمر مثلما ورد بتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ..

ونحن نقول لهم لقد ورد في القرآن الكريم ما هو أشد وأصرح من لفظ التحريم حيث قال تعالى : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ (١)

فقد قرنها المولى سبحانه وتعالى بالميسر وهو القمار وقرنها بالأنصاب وهي حجارة وأوثان كانوا يذبحون قرابينهم عندها .. وقرنها بالأزلام وهي قداح كانوا يستقسمون بها (٢) .. واعتبرها رجس من عمل الشيطان .. وأمر باجتنابها

---

(١) المائدة ٩٠-٩١ .

(٢) تفسير ابن كثير .

تماماً كما أمر باجتناب عبادة الأوثان وقول الزور « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .

وسماها رجساً وهو أشد الدنس .

وأوضح تعالى بعد ذلك بعضاً من مضارها الاجتماعية والدينية « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . فهل أنتم منتهون » .

وعندما سمع المسلمون هذه الآية قالوا انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا فقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ومالك عن أنس رضي الله عنه أنه قال :

« كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ (وهو من الزهو والتمر) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت فجرت في سكك المدينة فقال لي أبو طلحة أخرج فأهرقها فجرت في سكك المدينة » .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله يعرّض بالخمر ولعل الله سينزل فيها أمراً فمن كان عنده شيء فليبيعها ولينتفع بها فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حرّم الخمر فمن أدركته هذه الآية (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبعها ولا ينتفع بها فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها » .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قدم النبي المدينة وهم يشربونها (أي الخمر) ويأكلون الميسر فسألوه عنها فنزل يسألونك عن الخمر

والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس (الآية) . فقال الناس ما حرما علينا إنما قال فيهما إثم كبير ومنافع للناس[1] .

وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام فصلى رجل من المهاجرين بأصحابه وخلط في قراءته فنزلت آية أغلظ منها : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » . وكانوا يشربون حتى نزلت آية أغلظ منها : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . إلى قوله فهل أنتم منتهون فقالوا : انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا » .

وروى ابن جرير بسنده عن أبي بريدة عن أبيه قال :

« بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر حلة (أي حلالاً قبل تحريمها) إذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وقد نزل تحريم الخمر : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إلى قوله فهل أنتم منتهون فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله (فهل أنتم منتهون) قال وبعض القوم شربته في يده يشرب بعضاً وبقي بعض بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا في باطيتهم فقالوا : انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا » .

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في البقرة « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير » فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في النساء « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم

---

(١) ومع هذا فقد توقف كثير من أهل المدينة يومئذ عن شرب الخمور تأثماً وتحرجاً من هذا الإثم الكبير الذي يغلب ما فيهما من منافع عاجلة ومكاسب مالية . تفسير ابن كثير سورة المائدة آية ٩٠-٩١ .

سكـارى) فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى : أن لا يقربن الصلاة سكران .

فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ فهل أنتم منتهون ؟ قال عمر : انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا .

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال :

« بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي وجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت .

قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، إلى قوله فهل أنتم منتهون » .

وها أنت ترى كيف استجاب المؤمنون لهذه الآية بتلك الطاعة الفورية حتى أن أحدهم لترتجف يده وهي ممسكة بالكأس يقترب من فيه عند سماع الآية فيمجها كما يمج الحجام الدم ثم يهريق ما في الكؤوس والدنان ويكسر ما في القلال والجرار من خمر ..

تلك الاستجابة الفورية التي لم يحدث لها نظير في تاريخ الإنسانية الطويل مع الخمر [1] ..

---

(١) أنظر تفصيل ذلك في فصل « مشكلة الإدمان وكيف حلها الإسلام » ..

فإذا كانت الخمر قد اقترنت بالأوثان وعبادتها والذبح عليها .. وهي أشد الآثام والذنوب مطلقاً .. وهي الذنب الذي لا يغتفر إلا أن يتوب منه ويدخل في الإسلام « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » إذا كانت الخمر قد اقترنت بالنصب والأزلام وأسماها الله رجساً من عمل الشيطان .. ووصفها بنفس الوصف الذي وصف به الأوثان وقول الزور « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .

إذا كانت كذلك فلا شك أن الحرمة أشد وأعظم من لفظ « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » .

فلا يوجد في الإسلام شيء أشد من الشرك بالله وعبادة الأوثان ومع ذلك لا تجد في القرآن لفظة حرمت عليكم عبادة الأوثان وإنما تجد « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » .

وتجد « لا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » .

« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

ولا تجد حرم عليكم الزنا أو حرم عليكم قول الزور أو حرم عليكم الفواحش أو غيرها من الكبائر ..

وإنما تجد لا تقترب مجرد اقتراب فضلاً عن مزاولته .. وهو أشد أنواع التحريم والمنع .

والأحاديث النبوية بعد ذلك كثيرة ومستفيضة في تحريم الخمر وفي لعن شاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها ..

ولم أجد في شيء من الكبائر يشمل هذا العدد الضخم من الناس في عمل واحد فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عشرة .

عن أنس رضي الله عنه : «لعن رسول الله في الخمر عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها » .
(الترمذي)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

« كل شراب أسكر فهو حرام » .

وعنها أيضاً : « كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام » .
(أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابو داود والترمذي ومالك)

وأخرج الإمام أحمد قوله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة (النرد) والغبيراء (شراب مسكر من الذرة) وكل مسكر حرام » .

وعن جابر رضي الله عنه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .
(أخرجه الترمذي وابو داود)

وعن ابن عمر رضي الله عنه : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » .
(أخرجه الستة : البخاري ومسلم والنسائي وابو داود والترمذي ومالك)

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر فقال : أما بعد يا أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أنواع من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير . والخمر ما خامر العقل . **(أخرجه الستة إلا مالكاً)**

وأنت ترى بذلك أن الخمر قد حرمت أشد التحريم بالكتاب والسنة والأمة مجمعه على ذلك قديماً وحديثاً ولم يشذ عن ذلك أحد من أهل الملة .. فمن قال بأن الخمر حلال بعد أن يبلغه ما في الكتاب والسنة فهو كافر مرتد يستتاب ثلاثاً فإن لم يتب من قولته تلك ويرجع إلى الإسلام قتل كافراً مرتداً ولم يصلَّ عليه ولا يقبر في مقابر المسلمين وإن لم يقتله الإمام حداً وقتله أحد المؤمنين فدمه هدر .

وهناك فرق شاسع وبون هائل بين من يشرب الخمر وهو معتقد حرمتها معترف بذنبه وتقصيره وبين من استحلها حتى ولو لم يشربها فالأول لا يزال في دائرة الإسلام والإيمان ويرجى له التوبة وإن كان على خطر عظيم أما الثاني

فقد نزع نفسه من ربقة الإسلام والإيمان وهو كافر مرتد ما لم يتب فوراً عما يقول ولو كان هناك إمام ودولة مسلمة لوجب قتله مرتداً ما لم يبادر بالتوبة .. ولو قتله أحد المسلمين كان دمه هدراً ..

ولقد نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يقع اليوم فقال عليه الصلاة والسلام:

« لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه » .

(أخرجه أحمد وابن حاجة)

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » .

(ابن ماجة)

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » .

(أخرجه البخاري)

ورغم هذا كله فقد احتاط الفقهاء احتياطاً شديداً في مستحل الخمر التي تصنع من غير العنب لأن هناك خلافاً في تعريفها بين الفقهاء .. فما كان من عصير العنب النيء الذي غلا واشتد فهو مجمع عليه بأنه الخمر عيناً ولغة وشرعاً وأن مستحلها كافر مرتد ما لم يتب .. وأما ما كان من غيرها من الحبوب كالحنطة والشعير والذرة أو من العسل والتمر أو غيرها من الفواكه والسكريات والنشويات فقد اختلف الفقهاء في تسميته خمراً فالشافعية والمالكية والحنابلة يسمونها خمراً ولا يفرقون بين مسكر وآخر فكل ما أسكر هو خمر .. وأما الأحناف والظاهرية فالخمر عندهم مقتصرة على ما كان من العنب .. وأما ما عداها فهو من المسكرات المحرمة شرعاً ومن استحلها حكم بفسقه وعوقب على ذلك عقوبة تعزيزية رادعة . ومن شربها وسكر حد بحد الخمر وهي أربعين أو ثمانين جلدة على قولين في ذلك .

يقول كتاب المنهاج في شرح مغنى المحتاج وهو أحد مراجع الشافعية :

« وحقيقة الخمر المسكر من عصير العنب وإن لم يقذف بالزبد وتحريم غيرها بنصوص دلت على ذلك . ولكن لا يكفر مستحل قدر لا يسكر من غيره للخلاف فيه أي من حيث الجنس كحل قليلة على قول جماعة (وهم الأحناف والظاهرية) . أما المسكر بالفعل فهو حرام إجماعاً كما حكاه الحنفية فضلاً عن غيرهم بخلاف مستحله من عصير العنب الصرف الذي لم يطبخ ، ولو قطرة ، لأنه مجمع عليه » .

وخلاصة القول إن الخمر قد حرمت بأشد أنواع التحريم في القرآن الكريم والسنة المطهرة وبإجماع الأمة سلفاً وخلفاً .. وأن من قال بحلها فهو إما جاهل يعلم ويؤدب وإما ظاهر الكفر يستتاب فإن لم يتب قتل حداً .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السابع

الكحول وعلم الأدوية والسموم

أقرابازين الكحول (Alcohol Pharmacology)

الكحول سائل طيار ذو رائحة معروفة . ويستعمل في الطب كمطهر كما يستعمل في بعض الصناعات الكيميائية والمختبرات كمذيب للدهون ولبعض المواد الكيميائية .

ولكن التسمم منه يكاد يكون محصوراً في تناول الخمور التي تختلف نسبة الكحول فيها كالآتي :

البيرة	٢ – ٨ في المائة
الأنبذة الخفيفة	٥ – ١٠ في المائة
الأنبذة القوية	١٠ – ٢٠ في المائة
الويسكي، الروم، البراندي، العرقي	٤٠ – ٦٠ في المائة

إن كأساً من البيرة تحتوي على نصف لتر بها كمية من الكحول تساوي تلك الموجودة بكأس الويسكي (٣٠ سنتي)أو كأساً من الشمبانيا من التشيري (الشيري) .

كميات متساوية من الكحول في هذه الكؤوس

نوع الخمر :	كأس البيرة	كأس الويسكي	كأس من النبيذ العادي مثل الشمبانيا	كأس من النبيذ القوي مثل الشيري والبورت
الحجم :	لتر ونصف	٣٠ سنتي	١٥٠ سنتي	٨٠ سنتي
نسبة الكحول :	٣ ـ ٨ ٪	٥٠ ٪	١٠ ٪	٢٠ ٪

فكمية الكحول متساوية تقريباً في أي كأس من هذه الكؤوس كما ترى في الرسم فإن كأس البيرة كبيرة جداً وكأس الويسكي أو البراندي صغيرة جداً وكأس النبيذ القوية تساوي كأس النبيذ الخفيفة .

و بمجرد شرب ثلاث كاسات (Tarts) أي ما يعادل مائة سنتي من الويسكي أو لتر ونصف من البيرة يؤدي إلى ارتفاع نسبة الكحول في الدم في خلال ساعة ونصف إلى خمسين مليجراماً بالمائة ولن يتخلص الجسم من هذه الكمية قبل مضي

ثماني ساعات ويستطيع الجسم أن يمثل غذائياً من ١٠ إلى ١٥ سنتي من الكحول في الساعة .

ويدخل الكحول إلى الجسم بأي طريق خاضعاً لقوانين الانتشار الطبيعية فهو يمتص من الفم والمعدة والإثني عشر . وتتوقف سرعة امتصاصه على نوع المشروب وحالة المعدة عند الشراب . وهو أسرع ما يكون امتصاصاً عندما تكون المعدة خالية وتكون نسبة الكحول من ١٠ إلى ٢٠ في المائة . أما إذا ازدادت نسبة الكحول فتقل سرعة الامتصاص كما تقل سرعة الامتصاص إذا كانت المعدة مليئة بالطعام وخاصة الأطعمة الدهنية وأهم غذاء يؤخر الامتصاص ويعرقله هو الحليب (اللبن) ولذا نجد أن الحليب ـ اللبن ـ والخمر على طرفي نقيض في كل الخصائص . والعجيب حقاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار اللبن من جبريل عندما أسرى به ورفض أن يشرب من الخمر .

بعد شرب لترين ونصف من البيرة

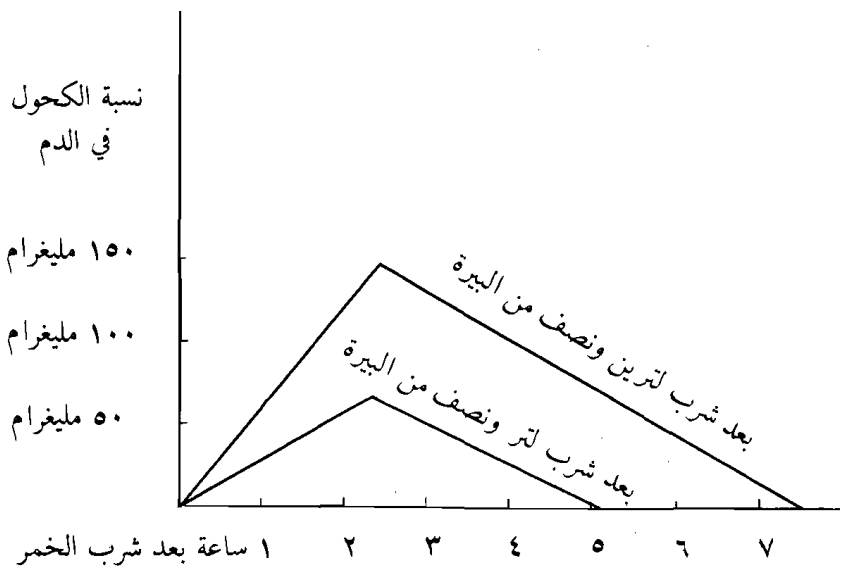

ويوزع الكحول بعد امتصاصه على أنسجة الجسم بنسبة واحدة تقريباً . ويتحول الكحول في الكبد إلى أستيلدهايد بواسطة أنزيم (خميرة) وهذا بدوره يتحول إلى حامض الخليك (الخل) .

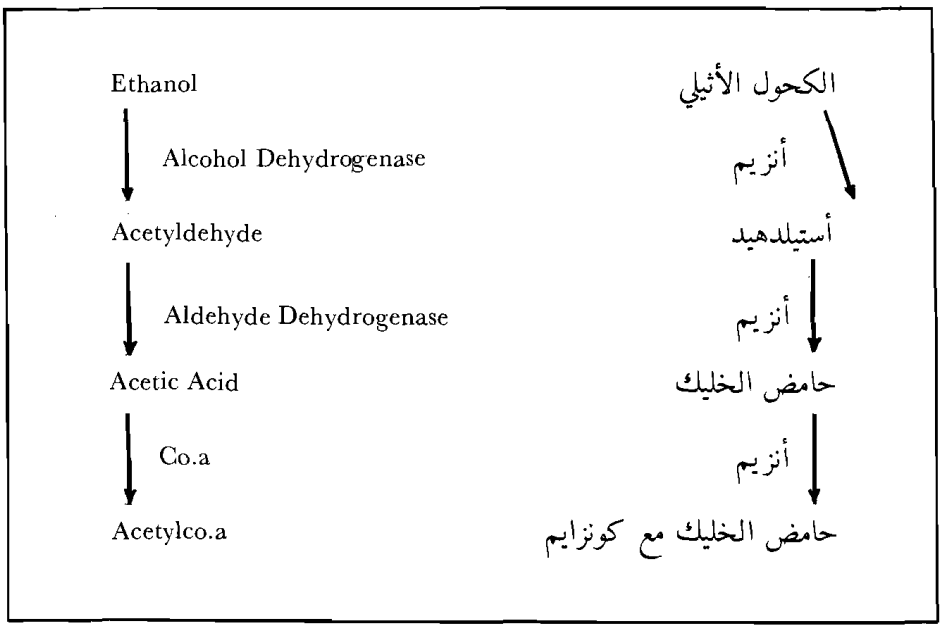

وبالتالي يتحول إلى ثاني أوكسيد كربون وطاقة .. إن كل جرام من الكحول يحتوي على سبع وحدات حرارية . وهذه تتطلب لأكسدتها كمية كبيرة من فيتامين ب ١ وكمية كبيرة من الدهنيات البروتينية .

كما أن حاجة الجسم لمادة الكولين التي تفرزها الكبد في الصفراء تزداد . وهي المادة الضرورية لهضم المواد الدهنية .

وينتج عن ذلك نقص في فيتامين ب ١ ونقص في البروتينات الدهنية . كما يضطرب هضم المواد الدهنية فترسب في الكبد .

وينتج عن نقص فيتامين ب ١ مرض البربري والتهاب الأعصاب الطرفي

وغيره من الأمراض التي سنعرض لها في حينها في باب الجهاز العصبي والجهاز الدوري .

وبوجود الكحول في الدم تقل دورة كريب الهامة جداً في أكسدة المواد السكرية والدهنية إلى طاقة وماء .

كما أن حامض البروفيك (Pyruvic Acid) يتحول إلى حامض اللبنيك (Lactic Acid) بدلاً من دخوله في دورة كريب ويزداد بذلك حامض اللبنيك في الدم وتزداد حموضة الدم كما ينتج عن ذلك آثار نقص الجلوكوز بالدم رغم وفرة المواد السكرية في الأصل . ولذا فإن شاربي الكحول من مرضى السكر كثيراً ما يصابون بنوبات إغماء شديدة قد تودي بحياتهم بسبب انخفاض مفاجئ في سكر الدم كما أن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة الدهون في الدم وفي الكبد . وذلك للأسباب الآتية :

١ – تؤثر الخمر على قدرة الكبد على تمثيل الدهون الممتصة من الأمعاء وتقل قدرة الكبد على تكوين مركب دهني بروتيني (Lipo Proteins) .

٢ – تأثير مباشر للكحول على ميكروسكوم الخلية الكبدية حيث يصنع المزيد من المواد الدهنية مثل التراجلسرين (ثلاثي الحلوين) (Triglycerides) بدلاً من الدهنيات الفسفورية (Phospholipids) .

٣ – ازدياد كمية الأحماض الدهنية الآتية من مخازن الدهن بالجسم .

وكل هذا يؤدي إلى ترسيب الدهنيات بالكبد . كما يؤدي إلى زيادة الدهنيات بالدم مما يؤدي إلى ترسيبها على جدر الأوعية الدموية ويؤدي ذلك إلى تصلب الشرايين مما سنعرض له في بابه بالتفصيل إن شاء الله .

وقد أوضحنا كيف أن الكحول الإثيلي يتحول إلى أستيلدهايد ومن ثم إلى حامض الخليك .

وقد اكتشفت مادة أنتابيوس (Antabuse) إذا أخذها الشخص وتعاطى الكحول الإثيلي فإن الأخير يتحول إلى أستيلدهايد (Acetaldehyde) ولا يتحول إلى حامض الخليك (Acetic Acid) وهذه المادة (Acetaldehyde)[1] شديدة السمية وتؤدي إلى القيء الشديد المتكرر وإلى صعوبة التنفس وإلى هبوط ضغط الدم مع سرعة ضربات القلب وقد استخدمت مع المدمنين حتى أن المدمن بعد تجربة قاسية من القيء العنيف والدوار يقلع عن شرب الخمر وتكون لديه كراهية شديدة للخمر . إلا أن هذه المادة شديدة الخطورة إذ لو أصر الشخص على شرب كمية كبيرة من الكحول رغم تناوله هذه الحبوب فإنه يقود نفسه إلى حتفه وهلاكه بيده .

ويمثل الجسم ٩٠ ٪ من الكحول المتعاطاة أما العشرة في المائة الباقية فتفرز وتعرف نسبة الكحول في الدم بطريقتين مع هواء الزفير ومع البول وبتحليل الدم مباشرة .

الأولى : التنفس بواسطة جهاز مقياس الشرب (Drinko Meter) ويحمل الجهاز عادة شرطي البوليس في البلاد المتقدمة ليعرف ما إذا كان السائق مخموراً أم لا وتعتمد فكرة الجهاز على أن الكحول يتوزع في أنسجة الجسم بنسبة واحدة ويخرج مع هواء الزفير وبمعاملة حسابية بسيطة تعرف كمية الكحول في هواء الزفير وبالتالي في الدم .

والطريقة الثانية : هي بواسطة تحليل الدم وهي أدق ولكن لا يمكن القيام بها إلا في مختبر كيميائي أو طبي وقد اكتشف جهاز جديد اليكتروني يقيس نسبة الكحول في الدم في دقيقة ونصف بدلاً من ٢٠ دقيقة بالطريقة القديمة ويبلغ ثمن الجهاز ٣٧٥٠ دولاراً .

---

(١) لقد اكتشف مؤخراً أن متعاطي الكحول يحمل في دمه كمية من مادة الاستيلدهايد الشديدة السمية . وتقوم هذه المادة بتحطيم الميتوكوندريا (المصورة الحية) في جميع خلايا الجسم وخاصة الكبد والدماغ كما أن لها تأثيراً مباشراً في تسبب الإدمان لتغييرها مواد موجودة بالدماغ تدعى الأحماض الأمينية العصبية (Neuramines).

تأثير الكحول
على الجهاز العصبي

أهم تأثير للكحول هو تخديره لخلايا المخ جميعاً ولكن أهم الخلايا التي تصاب هي خلايا القشرة (Cortex) [1] وهي الخلايا المتحكمة في الإرادة أو ما نعبر عنه بكلمة العقل . وكلمة العقل كما ذكرنا في اللغة العربية من عقل الناقة أي ربطها وشدها .

صورة من قاع الجمجمة للمخ الإنساني .

---

(١) لقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة أن شرب الخمور ولو بدون إدمان تسبب خللاً عقلياً ونقصاً في الذكاء والقدرات العقلية حتى في فترات الصحو الكامل .

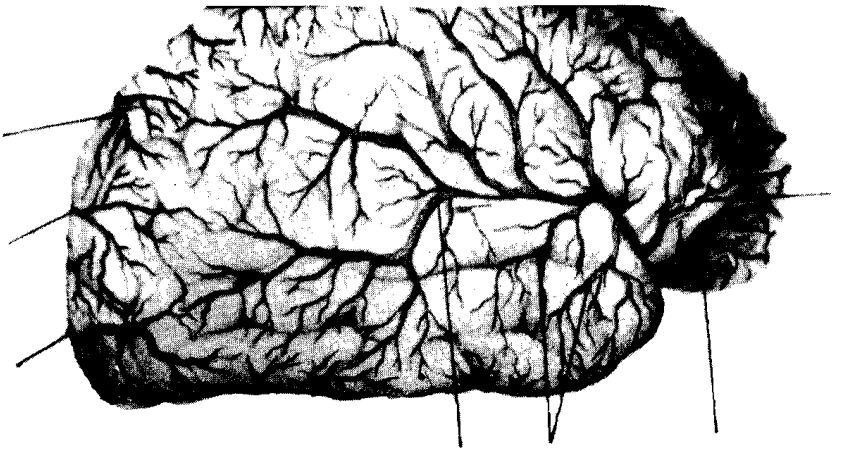

صورة للمخ حيث يتركز تأثير الكحول

والعقل هو مجموعة الموانع الأخلاقية التي تتكون لدى الإنسان فالطفل يتبول ويتغوط دونما أي مانع فإذا كبر قليلاً تكون لديه المانع بالتربية وهكذا فإنه لا يمارس الجنس كالحيوانات في قارعة الطريق إلا من ارتكس إلى مرحلة الحيوانات البهيمية التي تتبول وتتغوط كذلك في قارعة الطريق .

بل إن الحيوانات يمكن تربيتها وتأديبها حتى تمنع من إلقاء قاذوراتها في الشوارع العامة أو الصالونات وغرف الاستقبال . ويعرف الكلب أو الهرة أن له مكاناً خاصاً ليفرز قاذورات جسمه . فيذهب إليه .

ووظيفة الكحول هي إزاحة هذه الموانع وليس للكحول تأثير تنبيهي قط للخلايا وإنما هو تأثير تخديري وتثبيطي (Depressive Action) على الجهاز العصبي .

فإذا ذهبت الموانع انطلق الشخص دون تحكم فيكثر الكلام ويزداد الهياج ويفقد القدرة على الأعمال التي تحتاج إلى دقة كالطباعة أو سياقة السيارات وتختل الموازين الزمنية والمكانية . فلا يستطيع السائق المخمور أن يتحكم في السرعة وتفادي الحوادث . وتقديره للمسافة مضطرب كما أن تقديره للزمن كذلك . لذا تحرم جميع الدول سياقة السيارات تحت تأثير الخمر وتعاقب على ذلك عقوبات شديدة .

يقول البروفسور الدكتور لورانس رئيس قسم الطب العلاجي وأستاذ قسم الفارماكولوجي في جامعة لندن (University College, London) في كتابه القيم الأقرابازين الإكلينيكية (Clinical Pharmacology) .

يقول الدكتور لورانس : « أول ما يفقد من وظائف المخ بواسطة الكحول هو القدرات الدقيقة على الحكم والملاحظة والانتباه أي الخصائص التي حصل عليها الإنسان بالتربية والتعليم التي تشمل مجموع قوى العقل والحكمة في الإنسان . وعند تناول الكحول يجد الخطيب نفسه ينطلق في الحديث دون أن يفكر في العواقب كما أنه يفقد القدرة على التحكم في عواطفه . كما أن الكفاءة العقلية والبدنية تنخفض بتناول الكحول مهما كانت الكمية المتعاطاة قليلة » .

« وإن الفحوص التي تفوق الحصر قد أكدت هذه الحقيقة . وهي أن الكفاءة والمقدرة لدى الشخص المتعاطي تنخفض بمجرد شرب الكحول حتى ولو كان متعوداً عليها وحتى لو كانت الكمية ضئيلة . ونتائج الفحوص تدل على أن الكحول يقلل من دقة النظر ومن القدرة على السمع الجيد وعلى الشم والطعم كما أن توازن العضلات تفقد . وقدرة الشخص على تغيير موقفه وأفعاله الإنعكاسية تختل خللاً مشيناً . ويبدأ الدوار (Vertigo) والرأرأة[1] (Nystagmus) والتخلج[2] (Ataxia) كما أن انتباه الشخص وفهم الأمور والقدرة على اتخاذ القرارات السريعة تختل مهما كانت الكمية المتعاطاة ضئيلة » .

ولهذا فإن أي شخص مسؤول أو عامل فني أو سائق لسيارة أو طائرة أو مركبة يعرض نفسه والآخرين لأخطار جمة بل يعرضهم للموت المحقق عندما يقدم على شرب الخمر أثناء عمله أو قبله مباشرة .

والأدلة الآن متوافرة على أن شرب الكحول بأية كمية قليلة كانت أم

---

(١) الرأرأة : حركة غير إرادية لمقلة العين وخاصة عند الالتفات يمنة أو يسرة .

(٢) التخلج : اضطراب في المشي نتيجة لتأثير الخمور على أعصاب التوازن .

صورة حادث تصادم نتيجة الكحول نشرته مجلة التايمز الأمريكية .

كثيرة (وكلما زادت الكمية زاد التأثير) تؤثر في مهارة السائق وقدرته على تفادي الأخطار وفي الواقع إن الخطر الأعظم على الجمهور ليس من الأفراد القليلين الذين يتعاطون كميات ضخمة من الكحول . وإنما الخطر الأعظم هو من الكثيرين الذين يتعاطون كميات قليلة من الخمر ثم يقومون بسياقة سياراتهم . إذ أن هؤلاء نادراً ما يقعون تحت طائلة القانون . ويحسون بالثقة الكاذبة في أنفسهم فيقومون بسياقة سياراتهم وهم فاقدون لكثير من مهاراتهم وقدراتهم على التحكم .

ويقول الدكتور سيدني كاي في كتابه علم السموم أن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين في المائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة . ويقول آخر تقرير لهيئة الصحة العالمية والذي نشرته صحيفة الديلي ميل في ٨٠/٦/٢٦ أن ٨٦ بالمئة من حالات القتل و٥٠ بالمئة من حالات الاغتصاب وجرائم العنف تمت تحت تأثير الكحول .

وقد أقيمت في مدينة مانشستر بإنجلترا تجربة على أمهر سائقي الأوتوبيسات هناك وأعطي كل واحد منهم كمية قليلة من الخمر . ثم سمح لهم بسياقة الأوتوبيسات تحت الاختبار ورغم الثقة الزائدة التي كانت تبدو على السائقين إلا أن أخطاءهم كانت مرعبة وستؤدي إلى كوارث .

ولا يوجد شك في أن الكحول هي السبب الأول في حوادث السيارات والطائرات وما لا يقل عن خمسين في المائة من جميع حوادث السيارات . وللأسف فإن تقارير البوليس هي أقل من هذه النسبة[1] . وذلك لأن إثبات حالة السكر البين ليست يسيرة وخاصة إذا كانت الكمية المتعاطاة قليلة فلا تظهر آثارها كاملة ولا ترتفع نسبة الدم إلى الحد الذي يمنعه القانون . فالقوانين في أوروبا وأمريكا تعـاقب على شرب الخمور وقيادة السيارات إذا كانت النسبة مائة مليجراماً في كل مائة سنتي من الدم .

ويمكن تقسيم أطوار التسمم بالخمر إلى درجات ثلاث :

١ ـ السكر الخفيف :

وتظهر أعراضه بازدياد الألفة الاجتماعية والابتهاج مع احتقان الوجه وإحساس كاذب بالتنبيه دون ظهور أي خلل عقلي أو عضلي . وفي هذا الطور يقل الوازع الأخلاقي وتنطلق نوازع الأفكار الجنسية . ولذلك كثيراً ما ترتكب الجرائم الجنسية في هذا الطور . وتتراوح نسبة الكحول في الدم في هذا الدور ما بين خمسين ومائة مليجراماً في كل مائة سنتي من الدم .

٢ ـ السكر البين :

وتظهر أعراضه بكثرة الكلام واختلال السلوك . وعدم التحكم فيه . فقد يبول الرجل الوقور أمام الناس أو على الأقل يتفوه بكلام بذيء لا يتوقع صدوره

---

(١) وفي تقرير لهيئة الصحة العالمية حسب ما ذكره الدكتور بيتر برنت في الكتاب الذي أصدرته الكلية الملكية للأطباء بلندن «مواضيع في العلاج» ١٩٧٨ «أن خمسين بالمائة من جميع حوادث المرور في العالم أجمع ناتج عن شرب الخمور مباشرة . ويقول إنه إذا وصلت نسبة الكحول في الدم إلى مائتي ميليجرام فإن احتمال حصول حادثة للسائق المخمور تبلغ مائة ضعف ما هو عليه عند غير المخمور .

منه ويبدأ ظهور الاضطراب على الحركات الدقيقة كالكتابة والرسم والطباعة على الآلة الكاتبة وإن تأخر ظهوره على الحركات الجسمية كالمشي والكلام التي تبدأ في الاضطراب فيختلج المشي ويتلعثم الكلام ويثقل اللسان ويتشوش الذهن وتختلط المشاعر والأحاسيس . كما يقل الإحساس بالألم وتقل القدرة على الرؤية الواضحة كما تقل القدرة على السمع الجيد والشم والطعم . ويزداد احتقان الوجه والعينين . وتزغلل الرؤية فيرى الواحد إثنين (Diplopia) وتبدأ الرأرأة (Nystagmus) ويظهر التخلج في المشي (Ataxia) كما يتلعثم الكلام (Dysartheria) وتكون نسبة الكحول في الدم من ١٠٠ إلى ٢٠٠ مجم .

٣ ـ السكر الطافح :

ويبدأ هذا الدور بالخمول والنعاس وخمود الحركة وتبلد الإحساسات حتى ليصبح الجسم كأنه مشلول تماماً . ولا يستطيع المصاب القيام إلا بالقليل من

احتقان الأنف
وتورمها الذي يكثر
عند مدمني الخمور

الحركات . ويبدأ القيء ويتكرر مع الفواق (Hiccough) ثم تبدأ الغيبوبة وتنخفض درجة حرارة الجسم وفي هذه المرحلة تنشل كرويات الدم البيضاء وتقل مقاومة الجسم للأمراض كما أن مراكز التنفس في المخ تتأثر وتبدأ في مرحلة الشلل .

وكثيراً ما يصاب الشخص بالالتهابات الرئوية في هذه المرحلة .. وذلك للأسباب التالية :

١ – تدخل مواد القيء في الجوف إلى الرئتين نتيجة شلل الأفعال المنعكسة (Reflex Actions) في البلعوم والحنجرة فلا يغطي لسان المزمار أو الغلصمة (Epiglottis) على فتحة الحنجرة فتذهب المواد المتجمعة من القيء والإفرازات من الفم إلى الحنجرة إلى القصبة الهوائية فالرئتين .

٢ – شلل المراكز المخية المسؤولة عن التنفس .. ويكون التنفس سطحياً . ومع نزول الإفرازات ومواد القيء إلى الرئتين وشلل مراكز الكحة وطرد البلغم فتتجمع هذه المواد في الرئتين وتسبب التهابها .

٣ – قلة مقاومة الجسم أثناء هذه المرحلة .. حتى أن كرات الدم البيضاء المسؤولة عن مقاومة البكتيريا الغازية تنشل وتفقد قدرتها على الدفاع . وكذلك وسائل الدفاع الأخرى تكون غير قادرة على صد العدوان البكتيري والفطري فتهجم هذه الميكروبات على الجسم وترتع فيه دون أن تجد مقاومة تذكر ..

وسرعان ما تقضي على الشخص المذكور إلا إذا أسرع بعلاجه وبذل في ذلك جهداً ضخماً . ومع هذا فرغم الوسائل الطبية الحديثة إلا أن كثيراً من هذه الحالات تخفق رغم ما يبذله الطب .

وخاصة أن هذه الحالات تكون مصحوبة عادة بهبوط القلب نتيجة التسمم الكحولي فإذا ما خرج المريض من داء فإن عليه أن يواجه أدواء أخرى كثيرة

كل واحد منها يكفي لقتل إنسان كامل البنية صحيح الجسم . فكيف بمريض تعاورته الأمراض من كل حدب وصوب .. وفقد جسمه القدرة على المقاومة .

وتبلغ نسبة الكحول في الدم ٢٠٠ إلى ٣٠٠ مليجرام في المائة في هذه الحالة (المليجرام واحد على ألف من الجرام) .

والكمية القاتلة من الكحول هي مائتان سنتي أو ما يعادلها من الخمور أي أربعمائة سنتي من الويسكي أو العرقي مثلاً ولكن المدمن لا تقتله أضعاف هذه الكمية لتعود جسمه عليها .. وإن كان قتله بطيئاً ففي كل لحظة تموت خلايا وتهلك ويمشي حثيثاً نحو حتفه ونهايته المحتومة . (ملحوظة : إذا شربت هذه الكمية دفعة واحدة أو خلال ساعة على الأكثر .. أما إذا شربت خلال ساعات فلا تكون هذه الكمية قاتلة لأن الكبد يستطيع تمثيل ١٠ سنتي في الساعة) .

الكحول والجلد :

يسبب الكحول توسعاً في الأوعية الدموية للجلد نتيجة شلل مؤقت بالمركز الدموي الحركي في النخاع المستطيل .

كما أن هناك تأثيراً مباشراً للكحول بزيادة كمية الماء في الدم ولذا يحتقن وجه شارب الخمر وتحمر وجناته وتحتقن الملتحمة في عينيه . ويحس الشخص بالدفء بعد تناول الكحول . ويفقد الجسم حرارته . ولهذا السبب نفسه يصبح من الخطر على المرء أن يشرب الخمر ويتعرض للجو البارد . فرغم إحساسه بالدفء إلا أنه يفقد حرارة جسمه بسرعة في الجو البارد وينتهي بذلك إلى الغيبوبة فالموت المحقق .

وكثيرون من شاربي الخمور يتعرضون في «أعياد الميلاد ورأس السنة» نتيجة شربهم الخمور وخروجهم إلى الهواء الطلق حيث الجو البارد والثلوج فتهبط حرارة أجسامهم ويلاقون حتفهم من البرد وهم يحسون بالدفء .

تصور .. يموت الشخص من البرد دون أن يرتجف بل على العكس يموت وهو في منتهى الشعور بالدفء .

أما الشخص الذي لم يشرب الخمر فيرتجف والارتجاف والارتعاش هو عملية كيميائية معقدة لتحويل الجليكوجين (السكر المخزون) في العضلات إلى سكر جلوكوز وطاقة نتيجة مادة الأدرينالين . ثم تفرز مادة الأدرينالين فتنقبض الأوعية الدموية للجلد وتحفظ بذلك حرارة الجسم ويحس الإنسان بالبرد فيفر منه إلى حيث الدفء . وكل هذه وسائل لوقاية الجسم من فقدان حرارته . أما شارب الخمر فإنه يفقد كل هذه الوسائل الفسيولوجية التي منحه الله إياها .. ويفقد حرارة جسمه ويموت من البرد وهو ينعم بالدفء الكاذب . لذا عندما جاء وفد اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يسمح لهم بشرب الخمر لأن بلادهم باردة في الشتاء . والخمر تساعدهم على الدفء ، رفض ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى عليهم ذلك . وها هو العلم يثبت بعد ١٤٠٠ عام أن التدفئة بالخمر ليست إلا خرافة ووهماً مثل الخرافات والأساطير الأخرى المنسوجة حول الخمر والتي سنثبت زيفها بالأدلة العملية . وليست الخمر دواء وإنما هي داء . كما أخبر بذلك الرسول صلوات الله عليه . وقد حكي أن مجموعة من الشخصيات الروسية عرضت إسلامها على الخلافة العثمانية على شرط أن يسمح لهم علماء الشريعة بالخمور بحجة أن بلادهم قارسة البرد . ولكن علماء الإسلام في دار الخلافة رفضوا أن يبيحوا الخمر . وبقيت فتوى هؤلاء العلماء الأجلاء ليثبت الطب بعد قرون صدق ما ذهبوا إليه من أن الخمر لا تدفىء الجسم وإنما تسبب البرد والوفاة من الجو القارس . وإنما هو الدفء الكاذب الذي يعقبه فقدان حرارة الجسم فالموت .

الكحول وشرايين القلب :

ورغم أن الكحول تؤدي إلى تمدد الأوعية الدموية التي في الجلد وفي الجسم عامة إلا أنها لا توسع الأوعية التاجية (التي تغذي القلب) .

وللأسف فإن هذه الحقيقة لا تزال مجهولة حتى بالنسبة لبعض الأطباء الذين لم يطلعوا على منجزات الطب الحديثة . فقد كان الوهم السائد إلى عهد ليس ببعيد أن الكحول توسع الأوعية الدموية بما في ذلك الأوعية التاجية للقلب . ولذا كان الأطباء القدامى يصفونه لمرضى ضيق الشرايين التاجية على أمل أن يحسن ذلك من الدورة التاجية .

ولكن الطب الحديث أثبت أن ذلك الظن ليس إلا من قبيل الوهم . فالكحول لا توسع شرايين القلب التاجية بل على العكس تتسبب في تصلب الشرايين التاجية . فالكحول تسبب زيادة في دهنيات الدم من الكولسترول والتراجلسريد (Cholesterol and Triglycerides) وهذه تترسب على جدر الأوعية الدموية فتسبب تصلب الشرايين وضيقها .

وهذا بالتالي يؤدي إلى الذبحات الصدرية (Angina Pectoris) كما يؤدي إلى جلطة القلب (Coronary Thrombosis) كما أن تضخم عضلة القلب نتيجة الخمور يسبب زيادة في احتياجاتها من الدم وهذا بالتالي يسبب قصوراً نسبياً في الدورة التاجية كما أن هبوط القلب الناتج عن شرب الخمور يؤدي إلى انخفاض قدرة القلب على الضخ وبالتالي يقل الدم في الدورة التاجية .

وهكذا ترى أن الكحول تسبب نقصاً في الدورة التاجية للقلب من عدة طرق . ولا تسبب توسعاً في الشرايين التاجية كما كان الوهم سائداً وإنما هي داء وليست دواء . وداء عسير علاجه إلا بالتوقف الفوري عن شرب الخمور . وسنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل في باب الخمر والقلب إن شاء الله .

الخمر مدر للبول :

والكحول مدر للبول . لا جدال في ذلك . وهناك سببان لذلك . أولهما أن الكحول يمنع الغدة النخامية الخلفية (Posterior Pituitary) من إفراز الهرمون المضاد للإدرار ((Anti Diuretic Hormone (A.D.H.) وهذه الغدة يتحكم فيها المهاد وتحت المهاد من المخ (Thalamus and Hypothalamus) و بما أن الكحول يعطل المناطق المخية فإنه كذلك يعطل وظيفة هذه الغدة فيقل إفراز الهرمون المضاد للإدرار .

وثانيهما أن متعاطي الخمور وخاصة البيرة يشرب كميات كبيرة من السوائل فتقوم الكلي بطرد هذه الكميات الزائدة عن حاجة الجسم .

الخمر والحمل والولادة والرضاعة[1] :

وبالنسبة للمرضع والحامل فإن الخمور تقلل من إفراز مادة الأوكسيتوسين (Oxytocine) التي تفرزها الغدة النخامية الخلفية . وهذه المادة هامة لانقباض الرحم بعد الولادة حتى يعود إلى حجمه الطبيعي إذ يبلغ حجم رحم الأم قبيل الولادة أربعين ضعف حجمه الطبيعي بدون حمل . ولا بد من عودة الرحم إلى سابق عهده وإلا تعرض للإلتهابات الخطيرة والخمر تعوق ذلك .

كما أن لمادة الأوكسيتوسين (Oxytocine) خاصية إنزال اللبن من ثدي الأم . والخمر تمنع ذلك ويؤدي ذلك إلى نقص إدرار اللبن من ثدي الأم التي تشرب الخمر .

كما أن إصابة الأم بنقص التغذية وأمراضها نتيجة لشرب الخمور يضاعف

---

(١) ولا يقتصر تأثير الخمر على الحامل وإنما ينتقل ذلك إلى الجنين فيسبب تشوهات خلقية وأهمها : (١) توقف نمو الدماغ وصغر حجمه وظهور التخلف العقلي والعته والبلاهة وأحياناً الجنون (٢) توقف نمو الفكين مما يؤدي إلى صغر حجمهما وضمورهما (٣) توقف نمو العينين فتكثر بها العيوب الخلقية والعمى (٤) توقف نمو القلب وكثرة العيوب الخلقية فيه (٥) توقف النمو عامة (من كتاب مواضيع في العلاج ١٩٧٨) .

من أمراض الحمل والولادة كما تقل نسبة إدرار اللبن ويكون الرضيع مصاباً بأمراض نقص التغذية وتنزل الخمر في اللبن ويصاب الرضيع بأضرار الخمر وهو لا يزال في المهد .

الخمر والجهاز الهضمي :

إن الكحول بكميات قليلة تهيج الأغشية المخاطية لجدار المعدة وتزيد من إفراز حامض المعدة وهذا يؤدي إذا زاد عن حده إلى قرحة المعدة وقرحة الإثني عشر .

أما إذا شربت الكحول بكميات مركزة مثل الويسكي والبراندي أو بكميات كبيرة من أي نوع ولو كان خفيفاً مثل البيرة فإنها تؤدي إلى نقصان إفراز الحامض وإلى التهاب المعدة المزمن .

إن كأساً واحدة من الخمر تكفي لإحداث كارثة لمريض قرحة المعدة أو الإثني عشر إذ أنها ربما تسبب نزفاً أو انثقاباً ، مما يؤدي إلى الوفاة إذا لم ينقذ المريض بعملية مستعجلة .

وسنذكر بالتفصيل آثار الخمر على الجهاز الهضمي من الفم إلى المريء إلى المعدة فالإثني عشر فالأمعاء فالبنكرياس والكبد . وذلك في بابه إن شاء الله .

الكحول المثيلي أو كحول نشارة الخشب (Methyl Alcohol)

وهناك أنواع أخرى من الكحول كالكحول الميثيلي (كحول الخشب) ويوجد في الأنواع الرديئة من الخمور . والتي يتعاطاها المدمنون عندما لا يجدون في حوزتهم ما يكفي لشرب الخمور الباهظة أو يشربها المدمن عندما تتحطم كل القيم في ذهنه . كما تشرب سراً في البلاد التي تمنع فيها الخمور . وقد شربت بكثرة عندما قامت الولايات المتحدة بمنع شرب الخمور وتكونت عندئذ عصابات آل كابوني الشهيرة وعصابات بيع الخمر الرديئة . وقد رأينا نحن عدة

حالات تسمم من الكحول الميثيلي وكثيراً ما يصاب المريض بزغللة في الرؤية تنتهي سريعاً بالعمى الكامل .. كما أن كثيراً من هذه الحالات لم يمكن إنقاذها وكان سبب الوفاة في جميع الحالات التي لم يمكن إنقاذها هو هبوط القلب (Heart Failure) نتيجة تسمم عضلة القلب بالكحول الميثيلي .

يتحول الكحول الميثيلي في الدم إلى فورمالدهيد ثم إلى حامض النمليك (Formic Acid) وتزداد بذلك حموضة الدم . ويحتاج العلاج إلى بيكربونات الصوديوم .

كذلك توجد أنواع أخرى من الكحول وهي الكحول الأميلي والبروبيلي (Amyl and Propyl Alcohols) وهما أشد خطراً من الكحولين السابقين .

وتوجد في الخمور الرخيصة مثل الأبسنث (Absinth) مادة تسبب الصرع والتشنجات هي مادة الثوجون (Thujone) وما أكثر ما تسبب هذه السموم الناقعة من أدواء وبيلة . وهي كما قال الصادق المصدوق داء وليست دواء . وسيأتي معنا في الحلقات القادمة المزيد من التفصيل حول الخمر وكل جهاز من أجهزة الجسم وكيف تفعل به الخمر . (ملحوظة : يوجد الكحول الميثيلي في الكحول المصنوع من نشارة الخشب وذلك بإضافة الخميرة والماء إليه ويوجد هذا الكحول في مزيل الطلاء (البوية والورنيش) الطلاء) .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثامن

الخمر ومشكلة الإدمان وحلها في الإسلام

أبعاد المشكلة :

يقول الدكتور بيتر برنت في الكتاب الذي أصدرته الكلية الملكية للأطباء بلندن باسم : (Topics in Therapeutics Vol. IV 1978) « مواضيع في العلاج » الجزء الرابع ١٩٧٨ :

« لم يكتشف الإنسان شيئاً شبيهاً بالخمور في كونها باعثة على السرور (الوقتي) وفي نفس الوقت ليس لها نظير في تحطيم صحته وحياته .. ولا يوجد لها مثيل في كونها مادة للإدمان وسماً ناقعاً وشراً اجتماعياً خطيراً .

فبريطانيا تنفق في كل عام ثلاثة آلاف مليون جنيه على الخمور .. وتبلغ الاستثمارات المالية في صناعة الخمور ١,٧٠٠ مليون جنيه .

وقد صرح وزير الاقتصاد الفرنسي لوكالات الأنباء أن ما تنفقه فرنسا على الخمور يبلغ سبعة آلاف مليون دولار سنوياً (الشرق الأوسط ١٩٨٠/٧/١) .

أما الولايات المتحدة فتخسر ما يقرب من ثلاثين ألف مليون دولار في كل عام بسبب الخمور وإليك إحصاء عام ١٩٧١ :

١ ـ خسارة في الإنتاج بسبب شرب الخمور	١٤,٨٦٩ مليون دولار
٢ ـ خسارة بسبب تكاليف المعالجة للمخمورين	٨,٢٩٣ مليون دولار

٣ـ خسارة بسبب حوادث المرور الناتجة عن شرب الخمور ٤,٦٦٦ مليون دولار
٤ـ خسارة بسبب الجرائم الناتجة عن شرب الخمور ١,٤٦٦ مليون دولار

ولا يدخل في ذلك الخسائر التي لا تقدر بثمن من العذاب والشقاء النفسي وتدمير الأسر وتحطيم العائلات .. والفقر المدقع الذي يعيش فيه المدمنون وأسرهم .

ويبدو أن هناك زيادة مضطردة في استهلاك الخمور في بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة وفي كثير من مناطق العالم .

وإذا أخذنا بريطانيا مثلاً نجد ما يلي :

	١٩٦٥	١٩٧٥	
البيرة	٣٠,٣	٤٠,١	مليون برميل
المشروبات الروحية			
مثل الويسكي والجن	١٧.٥	٣١,٦	مليون جالون
الأنبذة	٣٥,٦	٧٧,٥	مليون جالون

من الجدول السابق يتضح أن نسبة الزيادة في استهلاك المشروبات الروحية مثل الويسكي في بريطانيا قد زادت بنسبة ٨١ بالمائة .. أما نسبة الزيادة في الأنبذة مثل الشيري والبورت والبوردو فتبلغ ١١٧ بالمائة .. وهي زيادة مريعة في مدى عشر سنوات .

وفي خلال هذه المدة زاد معدل ما ينفقه المرء في بريطانيا على الخمور بنسبة ٧٦ بالمائة (زيادة حقيقية وغير متعلقة بزيادة الأسعار) .

وفي الجدول التالي مقدار نصيب كل فرد من أفراد السكان في بعض البلاد الغربية من الخمور في العام باللترات .. ويدخل في ذلك الأطفال والنساء والشيوخ :

	الخمور المقطرة (مثل الويسكي)	الأنبذة مثل (الشيري)	البيرة (الجعة)
ألمانيا الغربية	٨,٥	٢٠٠	٢١٦٠
الولايات المتحدة الأمريكية	٨	٥٦	١٠٨٠
فرنسا	٦	١٠٨٠	٦٣٠
إيطاليا	٤	١١٨٠	١٨٠
إنجلترا	٢,٥	٣٤	١٥٧٥

ومن الجدول أعلاه يتضح أن الفرد في ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة يستهلك كميات كبيرة من الجعة (البيرة) بينما نجده في فرنسا وإيطاليا يستهلك كميات ضخمة من الأنبذة ويفضلها على المشروبات المقطرة والبيرة .

وإذا حسبت كمية الكحول المتناولة لكل فرد في المجتمع سنجد النسبة متقاربة رغم اختلاف أنواع الشراب . فالفرد في ألمانيا يستهلك ١٤٨ لتراً من الكحول المطلق (١٠٠ بالمائة) في العام بينما نجده في إنجلترا يستهلك ١١٠ لتراً وفي فرنسا ١٥٢ لتراً وفي إيطاليا ١٢٥ لتراً وفي الولايات المتحدة ٨١ لتراً ..

وهي نسبة عالية جداً .. والأطباء والعلماء والباحثون الاجتماعيون قلقون جداً من هذه الزيادة .

ففي اسكتلندا مثلاً ٩٢ بالمائة من الأولاد و٨٥ بالمائة من البنات قد جربوا شرب الخمور قبل سن الرابعة عشرة.. ونجد نسبة هائلة من البالغين (ما بين ١٧ إلى ٣٠ عاماً) يشربون الخمور بانتظام وتبلغ النسبة بين الرجال ٨٧ بالمائة وبين النساء ٦٠ بالمائة .

وفي الولايات المتحدة هناك ما يقرب من مائة مليون شخص يشربون الخمور منهم عشرة ملايين مدمن وفي بريطانيا يشرب الخمر ما لا يقل عن عشرة ملايين شخص منهم مليون مدمن .. ونفس النسبة وربما أكثر موجودة في فرنسا وإيطاليا

وأسبانيا . وتقول آخر الاحصائيات التي نشرت في ٨٠/٧/١ أن في فرنسا وحدها أربعة مليون ونصف المليون من المدمنين (صحيفة الشرق الأوسط) .

ويقرر الأطباء أن هناك علاقةً وارتباطاً بين استهلاك الكحول في مجتمع معين .. وبين ظهور حالات تليف الكبد .. وجرائم العنف وحوادث السيارات وكثرة من المشاكل الاجتماعية العويصة (من كتاب مواضيع في العلاج الجزء الرابع إصدار الكلية الملكية للأطباء ١٩٧٨) .

وفي الولايات المتحدة يعتبر تليف الكبد الناتج عن شرب الخمور السبب الرابع للوفيات وتعتبر الخمور السبب الرئيسي وراء سبعين بالمائة من جرائم العنف .. وفي تقرير لهيئة الصحة العالمية أن ٨٦ بالمائة من جميع جرائم القتل و٥٠ بالمائة من جرائم الاغتصاب والعنف تمت تحت تأثير الخمور (الديلي ميل ٨٠/٦/٢٦) .

ونصف المسجونين في بريطانيا على الأقل يعانون من مشاكل إدمان الخمور .

أما بالنسبة لحوادث المرور فإن هيئة الصحة العالمية تقدر أن خمسين بالمائة من جميع حوادث المرور في العالم أجمع ناتجة عن شرب الخمور مباشرة .. ولقد سجل البوليس في إنجلترا عام ١٩٧٦ ١٥,٠٠٠ حادثة تصادم نتيجة شرب كمية ضخمة من الخمور بحيث تصل فيها نسبة الكحول في الدم إلى ٢٠٠ ميليجرام فأكثر .. وهي نسبة السكر الطافح الذي لا يكاد يميز فيه المرء السماء من الأرض ولا الرجل من المرأة .

وعندما تصل الكحول إلى هذه النسبة في الدم (أي ٢٠٠ ميليجرام) فإن احتمال حدوث تصادم أو انقلاب يبلغ مائة ضعف ما هو عليه عند غير السكران .

ويواصل الدكتور برنت كلامه فيقول :

« إن واحداً من كل خمسة يدخلون المستشفيات في اسكتلندا قد أدخل بسبب شرب الخمور وإدمانها » .

وهذه نسبة هائلة تثقل كاهل الخدمات الصحية إذ أن عشرين بالمائة من جميع الحالات التي أدخلت إلى المستشفى كانت بسبب الخمور مباشرة وهي توضح أيضاً مدى تفاقم مشكلة الإدمان في ذلك المجتمع .

ويقول الدكتور برنت : « إن واحداً من كل أربعة مرضى من الرجال الموجودين في مستشفيات مدينة جلاسجو يعاني من إدمان الخمور » .

ولا توجد وسيلة ناجحة إلى الآن لمحاربة الإدمان هذه .

ويقول البروفسور البدري في كتابه القيم « الإسلام وإدمان الكحول » (Islam and Alcoholism) نقلاً عن كيسيل ووالتون :

« وفي فرنسا فإن ثلث الناخبين يعيشون بشكل ما على إنتاج أو بيع أو تسويق الخمور ... وبمعنى حرفي يعتمدون في حياتهم على الخمور . ولهذا فإننا نفهم لماذا أجاب أربعة أخماس الشعب الفرنسي بالإيجاب عندما سئلوا (هل الخمر مفيدة للصحة ؟) وأجاب الخمس الباقي بأنه لا يمكن الاستغناء عنها » .

وتقول الإحصائيات أن عدد مدمني الخمور قد زاد في الولايات المتحدة الأمريكية من أربعة ملايين في أوائل الستينات إلى ما يقرب من عشرة ملايين مدمن في أوائل السبعينات (المرجع الطبي سيسل لوب ١٩٧٢) .

وتقول الدوائر الطبية أن واحداً على الأقل من كل عشرة أشخاص جربوا شرب الخمور سيصبح مدمناً للخمر لا يستطيع عنها فكاكاً .. ولا توجد أي وسيلة حتى الآن لمعرفة مَنْ من هؤلاء العشرة سيصاب بالإدمان .

معنى الإدمان :

ومعنى الإدمان هو أن يتعود شخص ما على عقار معين بحيث تتعود خلايا جسمه على هذا العقار .. ولو سحب هذا العقار فجأة لأدى إلى ظهور تغييرات نفسية وجسدية ولذا يضطر متعاطي هذا العقار إلى البحث عنه بكل وسيلة ولو

أدى إلى تحطيم حياته كلها .. بحيث لا يصبح له هم ولا فكر إلا في كيفية الحصول عليه واستعماله ..

وبما أن مفعول المادة المسببة للإدمان يقل مع الزمن فإن ذلك يؤدي بالمتعاطي إلى زيادة الكمية المتناولة منه باضطراد حتى يحصل على نفس الأثر الذي كان يحصل عليه ..

فمدمن الخمر مثلاً يضطر إلى تعاطي كميات أكبر فالكأس تصبح كأسين وثلاثة .. كما أنه يضطر إلى تناولها في فترات زمنية متقاربة بدلاً من أن يشربها في فترات متباعدة .. فهو يضطر إلى أن يشربها مبكراً في الصباح وهو ما كانت العرب تسميه الصبوح ثم يضطر إلى شربها في المساء وهو ما كانت تدعوه العرب الغبوق .. وفيما بين الصباح والمساء .. يعب منها كؤوساً مترعة .. حتى أن بعض المدمنين يعاني من نوبة سحبها أثناء نومه فيقوم فزعاً ليعب منها كأساً أو كأسين .

وخلاصة القول أنه كلما شرب منها ليرتوي زاد ظمأه .. وكلما حاول إطفاء ذلك اللهب المستعر في جوفه زادت النار اشتعالاً .. حتى تلتهم نار الإدمان عقله وكبده وصحته .. وتدمر حياته وحياة أسرته .. وتصل بهم إلى مستنقع آسن يصعب الخروج منه .

أسباب الإدمان :

إن أسباب الإدمان غير معروفة على وجه الدقة حتى الآن .. ولكن هناك عوامل كثيرة متداخلة ومتفاعلة جميعاً لتسبب الإدمان ..

١ ـ وأول هذه العوامل هو وفرة الخمر وسهولة الحصول عليها :

فهي في متناول أي شخص في كثير من بلاد العالم وخاصة في أوروبا وأمريكا .. بل إنها موجودة في كثير من البلاد العربية والبلاد الإسلامية التي يحرم دين

سكانها الخمور مطلقاً . ومع ذلك فإن قوانين كثير من هذه البلاد تبيح شرب الخمور واستيرادها وبيعها والإعلان عنها .. بل إن الدولة ذاتها تقوم في كثير من الأحيان بإقامة مصانع الخمور والترويج لها وتعتبر ذلك أحد إنجازاتها الثورية (أقام عبد الناصر مصانع للبيرة في مصر وكذلك فعلت حكومة عدن) كما أن بعض الكتاب والصحفيين نذكر منهم أمينة السعيد قاموا ينادون بأن تقوم الدولة بتوزيع البيرة إلى أعماق الريف المصري الذي لم تصل إليه الخمور من قبل .. ويدّعون أن تلك هي الوسيلة الناجحة لمحاربة الحشيش .

ومعالجة مشكلة الحشيش لا تكون بإيجاد مشكلة الخمر .. وهذا مما يدل على الجهل المطبق بتأثير المادتين .. ولعل هؤلاء الكتاب لا يعرفون أن ذلك يفتح الباب على مصراعيه لإدمان المخمور بالإضافة إلى إدمان الحشيش .

ويقول الدكتور أوبري لويس أستاذ الأمراض النفسية في جامعة لندن في مرجع برايس الطبي (Price's Textbook of the Practice of Medicine) ، الطبعة العاشرة : إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتناوله على نطاق واسع في العالم كله .. ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله .. ولذا يتناوله بكثرة مضطربو الشخصية .. كما يؤدي هو إلى اضطراب الشخصية ومرضها .

إن جرعة كبيرة من الكحول قد تسبب التسمم وتؤدي إلى الهيجان أو الخمود . أما شاربو الخمر المزمنون فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون .

٢ ـ الاستثمارات الضخمة في صناعة الخمور :

وفي كثير من أنحاء العالم وخاصة الغربي منه فإن آلاف الملايين من الدولارات تستثمر في صناعة الخمور ففي بريطانيا وحدها تبلغ الاستثمارات في صناعة الخمور ما يقرب من أربعة آلاف مليون دولار .. وفي فرنسا فإن ثلث الناخبين يعتمدون في معيشتهم ودخلهم على إنتاج أو بيع أو تسويق الخمور .. والشيء ذاته يقال عن الولايات المتحدة وألمانيا وبقية دول أوروبا ..

٣ ـ الدعاية للخمور :

ولهذا فإن الإعلان والدعاية الضخمة الهائلة عن شرب الخمور واعتبارها مثالاً للرجولة بالنسبة للفتيان .. وللأنوثة بالنسبة للفتيات يؤدي ذلك كله إلى انتشار شربها ..

وإن من عاش هناك (في الغرب) فترة من الزمن للعمل أوالدراسة يدرك ، مدى تغلغل الخمور في تلك المجتمعات .. فإن حضور مؤتمر طبي أو محاضرة طبية مثلاً لا يبدو أنـه سيكون مرتبطاً بالخمر مطلقاً .. وخاصة أن الأطباء أكثر الناس إدراكاً لمخاطرها ..

ومع هذا فلا يكاد يخلو اجتماع أو مؤتمر طبي إلا ويتخلله شرب الخمور وكثيراً ما يكون الإعلان الموجه « وفي الاجتماع تقدم الأنبذة والجن مجاناً أو بثمن رمزي » .. ويكون ذلك أحد الحوافز المشجعة لحضور الاجتماع أو المحاضرة .

٤ ـ اضطراب الشخصية :

ويعتبر اضطراب الشخصية واستعداداتها المرضية أحد العوامل الهامة المسببة للإدمان .

وقد يكون ذلك الاضطراب ناتجاً عن عوامل وراثية أو بيئية .. وكما يقول الدكتور لنكولن ويلمز في كتابه (Alcoholism Explained) : « إن بذرة الإدمان تنمو بسرعة في تربة الإدمان العائلي » .

وأولاد المدمنين كثيراً ما يكونوا مدمنين .. حتى أن هناك تجارب قد أجريت تدعي أن أولاد المدمنين يصبحون في الغالب مدمنين حتى لو أنشئوا في بيئة بعيدة عن الإدمان وأنه بمجرد تعرضهم لشرب الخمور يتحولون من الشرب الاجتماعي (Social Drinking) إلى الإدمان .

ولا شك أن إدمان الخمور يزيد بعد النكبات والكوارث .. أو بعد الثورات العنيفة وخاصة منها الثورات البلشفية حيث تتحطم قيم المجتمع القديم قبل أن تحل محلها قيم جديدة .. ويؤدي ذلك إلى تفكك روابط الأسرة والمجتمع وتتحطم حياة الكثيرين .. وعندئذ لا يجدون ملجأ سوى الخمر وإدمانها ..

وبما أن أمراض الشخصية تزداد في مثل تلك الفترات العنيفة .. ويكثر فيها مرضى الشخصية والمنحرفون عقلياً وسلوكياً وفكرياً (Psychopaths) فإن حالات الإدمان تزداد .. وقد لوحظ ذلك في البلاد العربية التي خضعت لسيطرة الأحزاب الشيوعية فانتشرت حالات الإدمان حتى في أعضاء التنظيم ذاته .. إذ أن كثيراً من أعضاء التنظيم اليساري ذاته يواجهون صراعات نفسية وإيديولوجية عنيفة بين بقايا الأخلاق التي يسمونها رجعية وبين التحلل الأخلاقي الكامل المدعي تقدمية .

وليس من اليسير على البدوي الذي انخرط في سلك التنظيم أن يرى أخته أو زوجته أو ابنته مع رفيقه .. وحين يقال له إن مشاعر الغيرة هي من مخلفات الرجعية والبرجوازية والأخلاق الكمبرادورية .. وإن عليه أن يكون مثالاً للإلتزام الإيديولوجي الماركسي اللينيني فإنه إما أن يكفر بتلك المبادئ .. أو يتناسى أفكاره الرجعية ومخلفات البرجوازية والإقطاعية والعشائرية بالخمر ..

أما خامس هذه العوامل فهي المصاعب والمشاكل التي يواجهها المرء في حياته :

كالفشل في العمل أو الدراسة أو الزواج أو الحب .. أو إخفاق من أي نوع كان ... أو العيش في أوضاع لا يطيقها ولا يرضى عنها ولكنه مضطر للبقاء فيها .. فيجد حينئذ شارب الخمر سلواه وعزاءه وملاذه في الخمر فيهرع إليها .. ويجد أنها تنسيه مشاكله لساعات وتخفف عنه ما يكابده ويعانيه .. وما هي إلا

أيام وليال حتى تصبح الخمر هي مشكلته الكبرى وبلاءه الأعظم .. فيحاول الفكاك من أسرها ولكنه لا يجد منها مهرباً ولا محيصاً .. وكلما شرب منها ليرتوي تأجج السعير الذي بداخله حتى ينجرف إلى قاع الهاوية .

ولهذا ليس من الحكمة في شيء أن تقرب النار من مواد قابلة للاشتعال لأن ذلك قد يحدث حريقاً هائلاً يصعب إطفاؤه .. وهذا ما حدث بالفعل في أوروبا وأمريكا وبعض أقطار إفريقيا مثل جنوب إفريقيا حيث تدمن قبائل البانتو على « شراب الكافر » الذي صنعه لهم الرجل الأبيض لينتزع من أفواههم ما يعطيهم إياه من أجر لقاء عملهم المتواصل في حقوله ومناجمه ..

وبما أن الخمر تشرب في العادة لمجاراة الأصدقاء والخلان .. وفي الحفلات الاجتماعية أول الأمر .. وبما أن خاصيتها تسبب الإدمان فإن شاربها يتعرض لخطر الإدمان بمجرد مواجهته لمصاعب مالية أو اجتماعية أو نفسية أو عاطفية .. وسرعان ما يلجأ إليها كمتنفس لفشله وخيبته أو لمداواة جراحه النفسية والعاطفية ..

ليس هذا فحسب ولكن الأبحاث الطبية تقول إن واحداً من كل عشرة أشخاص يشربون الخمر سيدمن الخمر حتى ولو لم تكن لديه أي مشاكل اجتماعية أو مالية أو نفسية .. ولا توجد أي فحوص خاصة لمعرفة مَنْ من هؤلاء العشرة سيصاب بالإدمان إذا شرب الخمر .. حتى يمكن أن يحذر ويقال له أنت وحدك لا تشرب الخمر لأنك ستصاب بالإدمان إذا شربتها ..

لهذه الأسباب مجتمعة نرى أن أعداد المدمنين يزدادون في العالم أجمع ففي الولايات المتحدة عشرة ملايين من المدمنين وفي بريطانيا مليون وفي فرنسا بضعة ملايين والنسبة أعلى وأكبر في البلدان الشيوعية حيث تصل نسبة المدمنين للخمور إلى ٨ بالمائة من مجموع السكان أي أن في الإتحاد السوفيتي ما يقرب من ١٦ مليون مدمن خمر . وهؤلاء هم الذين استعبدتهم الخمور وساروا لا يستطيعون فكاكاً من ربقتها وأسرها .. ويعانون نتيجة لذلك من أمراض جسدية ونفسية ومصاعب اجتماعية ومالية.

مشكلة الخمور وإدمانها في البلاد العربية والإسلامية :

رغم أن الوازع الديني قد تعرض لتأثيرات الحضارة الغربية الوافدة على البلاد العربية والمسلمة .. ورغم أن أغلب هذه الأقطار قد حكمت حكماً استعمارياً مباشراً حتى أصبحت القوانين في معظم تلك البلاد تبيح شرب الخمور والإعلان عنها والإتجار بها .. رغم تحريم الإسلام للخمر تحريماً قاطعاً مانعاً .. وهو الدين الرسمي لتلك الدول ..

أقول رغم هذا كله فان نسبة المدمنين في هذه المجتمعات هي أقل نسبة للمدمنين في العالم .

ويقول المؤرخ العالمي أرنولد توينبي في كتابه « محاكمة الحضـــارة » (Civilization on Trial) « إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من ربقة الكحول عن طريق الاعتقاد الديني العميق .. والتي استطاعت بواسطته أن تحقق ما لم يمكن للبشرية أن تحققه في تاريخها الطويل .. ولقد استطاع الإسلام أن يحقق ما لم تستطع أن تحققه القوانين المفروضة بالقوة ومن خارج النفس ..

وها هنا نقول إن الإسلام يستطيع أن ينقذ الإنسانية من تأثيرات المجتمعات المدنية الغربية التي بثت شباكها في أنحاء العالم أجمع » ..

ونتيجة لعمق الشعور الديني في لا شعور أغلبية المسلمين في العالم أجمع فإن أكثرهم يمتنع طواعية عن شرب الخمور رغم أن الخمر متوفرة في كثير من البلاد الإسلامية وتقوم حكوماتها العلمانية بإباحة الخمور والاتجار بها بل وتقوم تلك الحكومات نفسها بإنشاء صناعة الخمور وتعتبرها أحد إنجازاتها الوطنية .

ومع هذا كله فإنك لا تزال تجد حتى اليوم أن أغلب من يشرب الخمر من المسلمين يساوره قلق داخلي وإحساس عميق بالذنب ..

ويذكر البروفسور البدري في كتابه القيم (Islam and Alcoholism) « الإسلام وإدمان الكحول » تجربته مع أحد المدمنين في السودان حين سأله : « هل تؤمن بالله .. فلم يكن من المدمن إلا أن ابتسم وأخرج مصحفاً من جيبه وأجاب : إنه لا يفارقني .. ولا أستطيع النوم حتى أتلو منه شيئاً .. أما إذا ركبت الطائرة فلا شيء يهدئ روعي واضطرابي مثل القرآن » ..

وقد أخبرني شخصياً أحد المدمنين أنه كان في أحد الحانات في لندن عندما دخل عليه صديق عزيز ورفيق في شرب الخمر .. وما هي إلا لحظات حتى ابتدأ صديقه المخمور يرتل سورة الرحمن بصوت خاشع رخيم .. وإذا بهما معاً يبكيان بحرقة وسط الحانة الصاخبة التي تلتفت إلى هذين الغريبين اللذين يبكيان دون سبب معلوم ..

وفي كثير من البلاد الإسلامية التي يباح فيها الخمر (للأسف) تجد المدمنون يتوقفون طواعية وتلقائياً عن شربها في شهر رمضان .. ويتوجهون للعبادة والتبتل .. فإذا انقضى شهر الصيام انطلق قائلهم يقول :

رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى لمشتاق

وفي المغرب تقفل جميع الحانات ويمتنع جميع من يشربون الخمر عن شربها .. وتتوقف المطاعم والفنادق عن تقديمها في شهر رمضان .. استجابة طوعية لجلال شهر الصيام ..

ولا شك في أن هذا السلوك خاطئ من منظور إسلامي .. فإن الذي حرم الخمر في رمضان قد حرمها في سائر العام .. ولكنها تدلنا على بقايا من الإيمان مندثرة في أعماق هؤلاء المدمنين تبحث عمن ينبشها ويوقظها من سباتها العميق ..

طبقة المدمنين في الغرب وفي البلاد العربية والإسلامية :

أثبتت الدراسات الميدانية في الغرب أن أغلب المدمنين هم من الطبقات الدنيا .. وممن يعانون من البطالة .. وكثير منهم يعاني من اضطراب الشخصية .. بل أن بعضهم يعاني من قصور عقلي وتخلف ذهني .

وعلى العكس من ذلك في البلاد العربية والإسلامية فإن أغلب المدمنين هم من المثقفين ثقافة غربية .. ومن السياسيين والحكام والأغنياء والمترفين أو ما يسمون بعلية القوم (Elite) وهذا عكس ما يحدث في الغرب تماماً ..

والسبب في ذلك أن غالبية الشعب بما فيهم الطبقات الدنيا من العمال والفلاحين لا يزالون متمسكين بدينهم وإن كان تدينهم بغير فهم جيد في أغلب الأحيان ..

فإن ذلك يعصمهم من مقارفة شرب الخمور باعتبارها من الكبائر بل أم الكبائر وأن شاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه من الملعونين الذين لعنهم الرسول الكريم .. وإن من شربها في الدنيا لا يشربها في الآخرة .. وأن من أدمنها فإنه سيشرب من طينه الخبال التي هي عصارة أهل النار ..

وبما أن كثيراً من علية القوم والطبقة المثقفة والحاكمة في البلاد العربية والإسلامية محصنون من مثل هذه الاعتقادات .. وأغلبهم قد تلقى ثقافته وتعليمه في معاهد الغرب أو على مناهجه .. ولا يتأثمون من شرب الخمور إلا نادراً فإن كثيراً منهم ينجرف إلى قاع الهاوية ويصبح من المدمنين .

وقد نشر مايلز كوبلاند في كتابه « لعبة الأمم » أنهم كانوا يشربون الويسكي مع

عبد الناصر عندما جاء الحاجب يعلن قدوم السفير البريطاني ليحتج على صفقة الأسلحة التشيكية .. كما نشر الضابط السوري نذير فنصه مذكراته باسم « ١٣٧ يوماً هزت سوريا » . ويقول فيها :

اكتمل الشمل في حضور الزعيم حسني الزعيم وأذكر من الضباط الذين حضروا هذا الاجتماع في منزلي في عين الكرش في دمشق سامي الحناوي ، إحسان شردم ، إبراهيم الحسيني ، محمد ناصر ، عبد الله رسلان ، وسواهم .. بدأ الجميع بالشرب حتى حسني الزعيم الذي لا يشرب لإصابته بالسكري شرب في تلك الليلة » .

والصحف والمجلات تنشر باستمرار صور رؤساء الدول الإسلامية والعربية وهم يتبادلون الأنخاب مع الدبلوماسيين الأجانب ..

والأدهى من ذلك أن كثيراً من الضباط والسياسيين الذين لا يشربون يلاقون عنتاً شديداً من رؤسائهم .. ويحاول هؤلاء إغراءهم وإرغامهم على الشراب حتى يكونوا جميعاً ممن يشربون .

العرب في لندن :

وقد نشرت جريدة المدينة في عددها الصادر في ١٤٠٠/٢/١٢ ما يلي :

« إن حوالي خمسين ألف عربي يحضرون إلى لندن للعلاج سنوياً على نفقات الحكومات أو على نفقاتهم الخاصة .. ومعظم أمراض العرب للأسف هي أمراض الكبد .. ويأتي بعدها مرض الكلي والقلب والجهاز الهضمي .. وقال أحد أطباء هارلي ستريت للمدينة :

« إن معظم أمراض الكبد عند المرضى العرب ناتجة عن الإكثار من الشراب

الكحولي مثل الويسكي .. فالعرب سواء المدمنون منهم أو غير المدمنين لا يشربون أي أنواع أخرى من المسكرات غير هذا المشروب الذي تصل نسبة الكحول فيه إلى ٨٠ ٪ [١] .

لعنة الويسكي :

« وهذه النسبة من الكحول كفيلة بتخريب الكبد وتدمير الجهاز الهضمي للإنسان .. وخلق العديد من الأمراض الأخرى من كلي وقلب وغيرها .. وخطر الويسكي مثله مثل خطر جميع المشروبات الكحولية الأخرى وإن كان أكثرها خطورة .

« وتأكيداً لأقوال هذا الطبيب يلاحظ أن معظم المرضى في المستشفيات البريطانية الخاصة هم من العرب وخصوصاً أقسام الكبد والجهاز الهضمي حتى أن أكبر مستشفى للكبد حالياً في لندن أنشأها عربي ومعظم نزلائه من العرب والخطورة كما يقول الطبيب الإنجليزي أن الكثير من أمراض الكبد عند العرب يصعب علاجها . والسبب أن المريض يأتي للعلاج بعد أن يستفحل المرض . ويتلف الكبد تماماً من كثرة الشراب المحرم » .

وتواصل المدينة حديثها فتقول تحت عنوان ملاهي الكبد ..

« وما دام الحديث عن الكبد والويسكي فلا بد أن نذكر أن الملاهي الليلية في لندن عقدت تحالفاً سرياً فيما يبدو مع أطباء الكبد ومستشفياته في لندن . فهذه الكباريهات لا تقدم لزبائنها من الباحثين عن المتعة غير البريئة غير صنف

---

(١) ملحوظة ما يسمى مائة في المائة من الويسكي ما يحتوي على خمسين في المائة من الكحول النقي .. وما يسمى ٨٠ بالمائة يحتوي في الواقع على ٤٠ بالمائة من الكحول .. وهي نسبة عالية جداً ..

الويسكي من المشروبات حتى أنه ممنوع على الزبون العربي طلب مشروبات أخرى خفيفة لا تحتوي على الكحول » .

« وبيت القصيد أن العرب رواد هذه الأماكن ومعظمهم مرضى قادمين للعلاج يعبون من الشراب المحرم بلا حدود لأن صاحب الملهى يريد بيع أكبر عدد من زجاجات الويسكي ولذلك يصب للزبون ضعف الكمية المقررة ويسكر المحروس وتقع الواقعة .

« وهكذا تزداد قوائم الانتظار طولاً أمام أطباء الكبد والجهاز الهضمي في مستشفيات لندن .. ويبدأ الاستغلال للعرب في أبشع صوره .. »

« أحد أطباء هارلي ستريت قال في حديث لصحيفة إنجليزية في الصيف الماضي إنه يعالج الكثير من المرضى الإنجليز مجاناً لأنه يحقق الكثير من الأرباح بسبب أن معظم مرضاه من العرب ! » . أ هـ مقال جريدة المدينة .

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر ١٤٠٠/٦/٢٦ الموافق ١٩٨٠/٥/١١ أن عدد السياح العرب إلى أوروبا بلغ في العام الماضي ١٩٧٩ ثلاثة ملايين شخص استقطبت لندن منهم أكثر من مليون وأغلب هؤلاء السياح من دول البترول الغنية .. وكثير منهم لا يتحرج من شرب الخمور وغشيان أماكن اللهو والفجور بل ان بعضهم لا يذهب إلى هناك إلا من أجل ذلك .

تجربة كاتب هذه السطور :

وعند وصولي من لندن متعاقداً للعمل في أحد المستشفيات بالبلاد العربية طلب مني معالجة شاب مدمن للخمر من أسرة ذات نفوذ ضخم والمفروض فيها إنها محافظة جداً وما أذهلني هو قول أمه التي كانت بجوار سريره :

« أنا ما أقول له لا تشرب .. خليه يشرب .. كلهم يشربون .. لكن قل له يشرب بالعقل » .

ومن له أدنى اتصال بما يسمى علية القوم في أي بلد عربي أو إسلامي سيجد أن عدداً ليس بالضئيل منهم يشرب الخمر .. وأن نسبة ليست بالقليلة من هؤلاء تدمن الخمر إدماناً وتعاني من أمراض جسمية ونفسية وعقلية خطيرة نتيجة لهذا الإدمان .. وقد اشتهر من حكام المسلمين المدمنين سوكارنو وأيوب خان وفاروق .. وغيرهم كثير لم يعلن عنهم بعد .

وهذا كله يؤكد ما لاحظه الأطباء والصحفيون والاجتماعيون الغربيون المهتمون بالبلاد العربية والإسلامية من أن أغلب من يشرب الخمر ويدمنها في هذه الأقطار هم من علية القوم على عكس ما هو عليه الحال في أوروبا وأمريكا .

علاج الإدمان

تجربة الغرب

في محاربة الإدمان :

إن مشكلة الإدمان عميقة الجذور بعيدة الغور .. وليس من السهل أن تقنع شخصاً يواجه مشكلة عنيفة ومرارة نفسية أن يقلع عن الخمر وهي في متناول يده ودون أن توجد له البديل .. إلى من يشكو ؟ إلى من يلجأ ؟ من يفك عنه أسره ؟ من يرفع عن كاهله وزره ؟

إذا لم يجدأحداً يحنو عليه ويرأف به ويرنو به إلى آفاق عليا ويستشرف ببصره إلى النور الألق الممتد عبر الظلم والظلمات .. إذا لم يجد هذا كله فلا مندوحة له من الوقوع في براثن الإدمان إن لم يكن بالخمر فبالأفيون والحشيش .. وبما أن الخمر أقربها تناولاً وأسهلها منالاً فهي أكثرها انتشاراً .

لهذا أقول إن المشكلة أعمق من أن ننظر إلى ظاهرها فقط .. ولا يكفي فيها بيان أضرار الخمر ومساوئها .. فالذي يشرب الخمر ويدخن السجائر لا يجهل في أغلب الأحيان أضرارها على الجملة إن فاته معرفة التفاصيل .. ولكنه يتناولها رغم معرفته هذه الأضرار .

تجربة الولايات المتحدة

في محاربة الخمر :

واضرب لذلك مثلاً حياً .. فقد قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتجربة رائدة في القرن العشرين .. فقد أقرالكونجرس بالإجماع تقريباً منع الخمر بقانون صدر في ١٦ يناير ١٩١٩ وينفذ من بداية يناير ١٩٢٠ وهو القانون المشهور باسم التعديل الثامن عشر .. ويحرم القانون صناعة الخمور سراً وجهراً وبيعها وتصديرها واستيرادها ونقلها وحيازتها وكل من يخالف ذلك يعاقب بالسجن أو الغرامة أو كليهما معاً ..

وقد وافق الكونجرس على هذا القانون بعد دراسة مستفيضة قدمها الأطباء وعلماء الاجتماع والسياسيون عن أضرار الخمر .. وسبق المنع حملة واسعة من

التوعية في جميع وسائل الإعلام وفي المدارس والمصانع .. وصار تدريس أضرار الخمر جزءاً من المواد المدرسية التي يدرسها الطلبة في الإبتدائي والثانوي والجامعة .. وأجري استفتاء عام قبل منعها فوافقت الأغلبية الساحقة على ذلك الإجراء ثم قام الكونجرس وأعقبه مجلس الشيوخ بالموافقة على ذلك الإجراء .

وبذلت جهود جبارة في التوعية حتى لقد سودت تسعة ملايين صفحة تبين أضرار الخمر الطبية والاجتماعية والأخلاقية . وبلغت تكاليف الحملة الإعلامية في ذلك العام فقط خمسة وستون مليون دولار (عام ١٩٢٠ قيمتها اليوم أكثر من ٦٥٠ مليون دولار) .

ولكن لم يكد يمضي على إغلاق الحانات ومصانع الخمر أيام قلائل إلا وابتدأت تنتشر آلاف الحانات السرية المدعاة (Blind Pigs) (الخنازير العمياء) .. وفي غضون أشهر قليلة زاد شاربو الخمر عما كانوا عليه قبل المنع .. فحاول القانون أن يفرض المنع بالقوة وقدم إلى المحاكمة ملايين الأشخاص .. وسجن في تلك الفترة (ما بين ١٩٢٠ و١٩٣٣) نصف مليون شخص لإدانتهم بشرب الخمور أو الاتجار بها أو حيازتها .

وقدم إلى القضاء في تلك الفترة مجرمون عتاة ارتكبوا جرائم مروعة بسبب الخمر .. وقد أدانت المحاكم الكثير منهم .. وحكمت على مائتين من عتاة المجرمين بالإعدام (وعقوبة الإعدام نادرة الحدوث في الولايات المتحدة) لجرائم متعلقة بالخمور كما قامت الحكومة بمصادرة أملاك الحانات ومصانع الخمر السرية وبلغ قيمة الأموال المصادرة عندئذ أربعمائة مليون دولار .. ومع هذا فقد انتشرت العصابات الإجرامية مثل آل كابوني الشهيرة وأفلت كثير منها من قبضة القانون .

ومما ذكرنا يبدو أن الحكومات المتعاقبة في الولايات المتحدة في فترة المنع وهي ما بين ١٩٢٠ إلى ١٩٣٣ كانت جادة في تطبيق القانون .. فقد بذلت

في ذلك جهوداً جبارة .. ولكن كل تلك الجهود المضنية باءت بالفشل .. وصار من المحتم على الحكومة الأمريكية والكونجرس الأمريكي أن يعيدا النظر في قرار المنع ذلك .. إذ وجدت الحكومة الأمريكية أن ملايين الأمريكيين قد أقبلوا على شرب الخمور السرية الرديئة وزاد الإقبال عليها وخاصة بين الشباب ..

وظهرت فئة جديدة في المجتمع وظيفتها إيصال الخمور إلى المدارس للطلبة وإلى مختلف المكاتب والفنادق والمتنزهات العامة وكانوا يدعون (Boot Leggers) ولم يكن يثنيهم عن مهمتهم تلك خوف القانون ولا بطش البوليس ولا شدة العقوبة فقد كانت المغريات كثيرة والربح سهلاً ووفيراً .. ومعظم الناس يتعاونون معهم ويخفون أمرهم عن القانون .. بل إن بعض رجال الشرطة أنفسهم قد اتهموا بالتعاون مع هؤلاء الخمارين .

واعترف رئيس سابق لقسم منع الخمور بأنه لم يتمكن من العثور إلا على عشرة في المائة من مصانع الخمر السرية .. وقد قدرت الكمية التي تشرب من الخمر في الولايات المتحدة في أعوام المنع بمائتي مليون جالون سنوياً ..

وانتشر استعمال الخمور الرديئة .. وكل الخمور رديئة .. إلا أنها تتفاوت في درجة الرداءة فالأبسنث الذي يحتوي على مادة التوجون(Thujone) يسبب الصرع أما خمر نشارة الخشب (Wood Spirit) فتحتوي على السم الزعاف الذي يسبب العمى وتسمم عضلة القلب وهو الكحول المثيلي .

وقد نشرت إحصاءات مرعبة عن الوفيات الناتجة عن شرب تلك الخمور الرديئة ففي عام ١٩٢٧ فقط هلك من استعمال تلك السموم الناقعة سبعة آلاف وخمسمائة شخص كما أصيب بأمراض وبيلة من جراء شربها أحدَ عشر ألف شخص في ذلك العام . وازدادت نسبة الجرائم كلها من هتك للأعراض وسرقة وقتل .. وتضاعف عدد المجرمين ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل المنع .. وصرح

الكولونيل موسى رئيس المجلس الوطني للجريمة (National Crime Council) في ذلك الوقت بقوله :

إن واحداً من كل ثلاثة أمريكيين يتعاطون الخمر .. وأن الجرائم قد زادت بنسبة ثلاثمائة بالمائة عما كانت عليه من قبل .

وكانت نتيجة هذه الإحصائيات والمعلومات المرعبة أن اجتمع الكونجرس وقرر في إبريل ١٩٣٣ إصدار قانون يبيح البيرة والسيدر فقط .. ثم لم تمض إلا بضعة أشهر حتى رفع الحظر بالكلية في ديسمبر ١٩٣٣ .. وأوكل الكونجرس الأمريكي إلى كل ولاية إصدار القوانين الخاصة بتنظيم صناعة الخمور وبيعها وتداولها .. واحتفظ الكونجرس بقانون يعاقب السائقين على شرب الخمر إذا بلغت نسبة الكحول في الدم مائة ميليجراماً فأكثر .

وبذلك عادت الولايات المتحدة الأمريكية إلى السماح بصناعة الخمور وبيعها والاتجار بها والإعلان عنها ..

ومن الواضح الجلي أن قرار إباحة الخمر لم يصدر لوضوح حقائق جديدة تلغي المعلومات والمفاهيم القديمة عن أضرارها .. بل على العكس من ذلك ازدادت الأبحاث الطبية التي توضح مضار الخمر ومساوئها .. ولكن المنع لم يؤد إلى النتيجة المطلوبة بل إلى عكسها فزاد شرب الخمور وزاد الإجرام .. وزادت نسبة الوفيات من الخمر الرديئة وزاد الإدمان .. فكان لا بد من إعادة النظر في القرار على هذا الأساس . وكما يقول صمويل ميلس في كتابه : « لنتعلم شيئاً عن الكحول » (Learning About Alcohol)

« إن قرار منع الخمر لم يلغ على أساس أن الخمر جيدة أو سيئة ، ضارة أو غير ضارة ، إن القرار قد ألغي على أساس واقعي هو أن المنع قد فشل » .

هذا المثل يوضح لنا بجلاء كيف أن معرفة أضرار الخمر أو أي مادة أخرى لا يكفي لمنع تداولها وتناولها .. بل على العكس قد يؤدي قرار المنع المبني على المعرفة وحدها إلى مضاعفات خطيرة كما حدث بالنسبة للولايات المتحدة .

إن هذه الواقعة تعطينا بعداً جديداً لمعالجة المشكلة .. لقد فشلت التجربة الأمريكية في منع الخمور وهي مدعمة بالعلم الحديث ووسائل الإعلام الجبارة .. ومنذ قرار رفع المنع وهي تجرب وسائل أخرى للحد من آثار الخمر الضارة .. ولم تعد تأمل في التوصل إلى المنع بعد ذلك الفشل الذريع .. ومع هذا فإن الإدمان في ازدياد وأمراض الخمر أكثر انتشاراً مما كانت عليه ..

واكتفت معظم الدول هناك بإقامة حملات إعلامية من حين لآخر توضح مضار الإدمان .. ولكن هذه الحملات تذهب أدراج الرياح إزاء ما تواجهه من حملات دعائية وإعلامية ضخمة لترويج الخمور ..

ومعظم الدول الغربية تمنع فتح الحانات والبارات إلا في ساعات معينة .. كما أن سياقة السيارات وغيرها من وسائل النقل مع شرب الخمور أمر معاقب عليه .. وقد بدأت مختلف الحكومات الغربية تنزل بمستوى الكحول في الدم المعاقب عليه من ١٥٠ ميليجرام إلى ١٠٠ ميليجرام ثم إلى ٥٠ ميليجرام .

وهناك العديد من الجمعيات الطبية والدينية التي تنشط في محاربة الخمور ومساعدة المدمنين على الإقلاع وأشهرها جمعية المدمن المجهول (Alcoholic Anonymous) ومقرها الأساسي في الولايات المتحدة ولها فروع في معظم أقطار أوروبا . ولقد لقيت بعض النجاح في مساعدة المدمنين على الإقلاع عن إدمانهم .. ولكنه نجاح محدود جداً بالنسبة لضخامة مشكلة الإدمان التي يواجهها الغرب بل تواجهها معظم أقطار العالم .

كيف حل الإسلام مشكلة الخمر :

لنترك الآن أمريكا وأوروبا في محاولاتهما اليائسة في محاربة الإدمان ولنلتفت إلى تجربة سبقتها بألف وأربعمائة عام ..

المجتمع الجاهلي : ولننظر إلى المجتمع الجاهلي الذي بلغ به الإسفاف الفكري والعقلي أن يصنع الفرد فيه تمثالاً من الحلوى فيعبده فإذا جاع قام فأكله .. وكانوا كما ذكر الإمام البخاري في صحيحه[1] يعبدون الحجر فإن وجدوا حجراً خيراً منه ألقوه وعبدوا الآخر .. وإن لم يجدوا حجراً جمعوا حثوة من التراب وحلبوا عليه ثم طافوا به .

وكان أحدهم إذا سافر فنزل في الطريق أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاث أسافي لقدرة وإذا ارتحل ترك الأسافي وترك ربه معهم[2]

وكان نتيجة لهذا الإسفاف الفكري والعقلي وتمسكهم بعبادة الأوثان أن شاعت فيهم الفاحشة وشرب الخمور والربا والزنا .. ووأد البنات .. مع الاعتزاز والفخر بالقبيلة والحرص على العصبية ..

وكان الربا منتشراً في الحجاز بين العرب واليهود على السواء ولم ينته ذلك إلا بعد دخول الإسلام إلى مكة ووقوف الرسول صلوات الله عليه يقول « ألا وأن ربا الجاهلية موضوع .. وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب » .

وكذلك كان الزنا منتشراً .. وكانوا يُكرهون إماءهم على البغاء .. يتكسبون

---

(١) الجامع الصحيح كتاب المغازي باب فتح مكة .

(٢) أبو الحسن الندوي في كتابه القيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» .

بذلك .. ومن أشهرهم في ذلك رأس الفساد في المدينة المنورة عبد الله بن أبي الذي كان يرسل إماءه ويكرههن على البغاء .. فنزل قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا .. ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم » .. سورة النور (٣٣) أي غفور لهن كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما .

وذكرت عائشة رضي الله عنها أنواع النكاح في الجاهلية كما رواها البخاري في كتاب النكاح قالت : « إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها . والنكاح الآخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه فإذا تبيّن حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم . وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها .. ولا يستطيع أن يمتنع ممن جاءها .. والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لها القافة ثم ألحقوا ولدهم بالذي يرون فالتاطه ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك » .

وكانت المرأة في الجاهلية متاعاً يورث كما يورث المتاع وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس « كان الرجل إذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت فيذهب بمالها وكان ما هو أشد من ذلك « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب .. ألا ساء ما يحكمون » .. ٥٩ النحل .

وكان أحدهم يحفر حفرة ويأخذ ابنته معه فتنفض عن لحيته التراب ثم يدفعها فجأة في الحفرة ويهيل عليها التراب وهي تصرخ ..

وكانت بعض الأمهات إذا جاءها المخاض حفرت حفرة فإن أنجبت بنتاً ألقتها فيها وردمت عليها التراب .. أو خنقتها حتى تجنبها المأساة بعد أن تكبر وتدرك .

وكان عصب حياتهم حياة القبلية المقيتة : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ويعيشون حياة السلب والنهب والإغارة ويعتبر ذلك علامة على الرجولة ويفتخرون بذلك .. فيقول شاعرهم :

وأحيـانـاً عـلي بكـر أخينـا إذا مـا لم نجد إلا أخـانـا

وكم من حروب طاحنة قامت بينهم لأسباب تافهة فحرب البسوس استمرت أعواماً طوالاً حتى ليقول المهلهل « قد فني الحيان وثكلت الأمهات ويتم الأولاد ولم يبق إلا دموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن » . وسببها أن كليباً رمى ضرع ناقة البسوس بسهم حتى اختلط دمها بلبنها فقام جساس بن مرة بقتل كليب فثارت الحرب بين الحيين بكر وتغلب حتى كاد الحيّان أن يفنيا .

وكذلك حرب داحس والغبراء قامت بسبب تافه وهو أن الفرس داحس سبقت الفرس الغبراء فاعترضها معترض ولطمها .. حتى يشغلها فتفوز الغبراء .. وهناك قامت الحرب بين صاحبي الفرسين وتبعتهما قبيلتاهما .. حتى كادا أن يفنيا ..

وكانت الأنفة والفخر الكاذب ديدنهم والشعر الجاهلي مليء بهذا الفخر .

لذلك كله كان المجتمع الجاهلي قلقاً مضطرباً وحياة الأسرة فيه مضطربة قلقة .. فالبنات مكروهات .. ورغم حبهم للبنين إلا أنه من النادر جداً أن تجد أحدهم يقبل طفله لأن ذلك من علامات الضعف عندهم ..

وليس للفرد من أمان إلا سيفه .. وهو معرض في أي وقت لغارة قبيلة

أخرى فإذا انهزم أخذوه وباعوه رقيقاً .. وأخذوا نساءه إماء وجواري .. حتى اشتهر بينهم حامي الذمار حياً وميتاً ..

نتيجة لهذه الحياة القلقة المضطربة المهددة بالأخطار في كل حين .. كان الإقبال على الخمر شديداً .. وتفنن العرب في صفاتها وأسمائها .. وأفرد لها الشعراء مكاناً بارزاً في شعرهم .. حتى بقيت تلك العادة بعد ظهور الإسلام بمئات السنين .. وحتى كان من لا يشربها من الشعراء المسلمين يصفها ويبدع في وصفها وأسمائها وصفاتها ليظهر فقط مقدرته الشعرية ..

وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائماً ويرفرف عليها علم يسمى غاية .. قال لبيد :

قد بت سامرها وغاية تاجر وافيت إذ رفعت وعز مدامها

وكان من شيوع تجارة الخمر أن أصبحت كلمة التجارة مرادفة لبيع الخمر.. وكلمة تاجر مرادفة لبائع الخمر..

وكانت كل العوامل المؤدية إلى الإدمان متوفرة :

فالخمر وفيرة والحصول عليها أمر ميسور ..

وشرب الخمر أحد صفات الرجولة وتقديمها مع الطعام يعتبر قمة الإكرام مع اعتقاد راسخ بأن الخمر دواء وغذاء ومقوية للبدن وباعثة للشجاعة والكرم .. حتى يقول الإمام ابن كثير في الخمر ما يلي عند تفسيره لقوله تعالى : « قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » .

أما إثمهما فهو في الدين .. وأما المنافع فدنيوية من حيث أن فيها نفع البدن وتهضيم الطعام وإخراج الفضلات وتشحيذ بعض الأذهان ولذة الشدة المطربة التي فيها كما قال حسان بن ثابت في جاهليته :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً لا ينهنهنا اللقاء

وكذا بيعها والانتفاع بها .. ولكن هذه المصالح لا توازي مضرته ومفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل والدين ولهذا قال الله تعالى « واثمهما أكبر من نفعهما » .

وفي حديث طارق بن سويد الحضري الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم :

« إن بأرضنا أعناباً نعصرها فنشرب منها ؟ قال لا ، فراجعته قلت : إنا نستشفي للمريض قال إن ذلك ليس بشفاء ولكنه داء » . وكذلك قول طارق الجعفي للرسول صلى الله عليه وسلم إنما أصنعها للدواء فقال له الرسول الكريم : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » .

وجاء ديلم الحميري مع وفد اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنّا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً وإنّا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وبرد بلادنا فقال الرسول الكريم : هل يسكر ؟ قال : نعم قال : فاجتنبوه . قال : إن الناس غير تاركيه قال فإن لم يتركوه فقاتلوهم .

مما تقدم يتبين بوضوح مدى نظرة المجتمع الجاهلي إلى الخمر واعتقاده فيها أنها غذاء ودواء .. وأنها تدفعه إلى الشجاعة والكرم .. مع وفرة الخمر ووجود العوامل الأخرى المؤدية للإدمان من القلق النفسي والاضطراب العاطفي وتفكك الأسرة وكثرة الزنا وشيوع الفاحشة .. وعدم الاستقرار .. والاعتماد على قوة السيف فقط في حماية النفس والذمار من الوقوع في براثن الأعداء وذل الاسترقاق .. ومباريات الشعر والخطابة في المجتمعات .. فقوة الصارم وبراعة البيان هي المؤهل الوحيد للبقاء في تلك المجتمعات .. ولا يعقل أن يتمتع الجميع بذلك فتكون النتيجة أن يفر إلى الخمر ويدمنها الكثير والكثير من أفراد المجتمع ..

وكما يقول الأستاذ الدكتور مالك البدري[1] :

« لذا تصبح الخمر لا يمكن الاستغناء عنها في تلك المجتمعات .. حيث أن الفرد يواجه مشاكل جمة ولا مهرب له منها إلا بالخمر ..

وكما يرى مجموعة من الأخصائيين النفسيين أن إدمان الخمر هو نتيجة الحرمان في الطفولة وعدم الأمان النفسي وتفكك الأسر والجروح العاطفية .. وبما أن المجتمع الجاهلي يمثل كل تلك الأسباب مجتمعة فإنه يؤدي إلى ظهور المدمنين بصورة ملفتة ..

وليس غريباً أن يظهر في المجتمع الجاهلي كثير من المدمنين .. بل إن المجتمع يعتبر إطعام الطعام وتقديم الخمور علامة على الكرم والشهامة التي يمجدها المجتمع ويتغنى بها الشعراء ويفتخرون. ولذا كان من الطبيعي لمن ينمو ويترعرع في هذه البيئة المشبعة بالخمور وفي نفس الوقت يتعرض للمخاطر الجمة الحقيقية والوهمية مع عدم الاستقرار النفسي والعائلي .. لذا كان من الطبيعي أن يبحث عن الأمان والكبرياء في الخمر .. » أ هـ .

لهذه الأسباب مجتمعة لا يبدو غريباً أن تنتشر الخمر انتشاراً مريعاً في المجتمع العربي الجاهلي .. وينتشر معها الإدمان وكافة الرذائل الخلقية والاجتماعية ولكن الغريب حقاً بل والمعجز هو كيف استطاع الإسلام أن يقلب قيم هذا المجتمع الوالغ في الرذيلة والبالغ الإسفاف الفكري والعقلي .. وكيف استطاع الإسلام أن يتغلب على مشكلة الخمر في أمة أمية جاهلة تكاد تعبد الخمر وتعتقد فيها أنها دواء وغذاء ودافع للشجاعة والكرم بينما تفشل جهود أمة شابة فتية أوتيت من كل شيء وسخر الله لها الكون بأسره حتى لتطير في الفضاء وتصل إلى القمر والمريخ .. والزهرة .. وتعرف الشيء الكثير عن الخمور وأضرارها .. وتعلم على اليقين أنها داء وداء خطير .. ثم تجمع هذه الأمة الفتية على منع الخمور .. أفلا يكون حرياً بها أن تفلح في ذلك ؟ بلى .. ولكنها بالتجربة المريرة تفشل أسوأ الفشل وتذوق مرارة الخيبة وتبوء بالخسران في معركتها مع الخمر ..

---

(١) في كتابه «الإسلام وإدمان الخمور» .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإسلام يحل المشكلة :

وهذه الأمة الجاهلة الأمية التي تكاد تعبد الخمر ينقلها الإسلام العظيم والتعاليم الربانية متدرجاً بها إلى الامتناع عن شرب الخمر البتة دون خوف من سلطان أو رقيب إلا سلطان الله ورقابته الدائمة .

ولهذا لم يأت الإسلام أولاً ليمنع الخمر ولكنه أولاً ثبت أركان العقيدة وغير أساس البناء الهش الذي يقوم عليه المجتمع الجاهلي وأرسى دعائم المجتمع الإسلامي بتثبيت شهادة أن لا إله الا الله ولا معبود بحق سواه .. ولا مشرع ولا حاكم في حياة الناس سواه .. فلما خرج حظ أنفسهم من أنفسهم وانقادت تلك النفوس الجامحة واستسلمت تلك الأرواح القلقة لحكم الله وارتضته في الصغير والكبير عندئذ نزلت التشريعات تباعاً تمنع الخمر والميسر وتمنع الربا والزنا ..

وكما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها[1] :

« إنما نزل أول ما نزل منه (أي القرآن) سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً . ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » . وما نزلت سورة البقرة والنساء (وفيهما كثير من التشريعات) إلا وأنا عنده » .

وكما يقول الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن :

« لم يبدأ المنهج الإسلامي في معالجة هذه التقاليد في أول الأمر لأنها إما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن .

تقوم على جذور اعتقادية فاسدة فعلاجها من فوق السطح قبل علاج جذورها الغائرة جهد ضائع حاشا للمنهج الرباني أن يفعله .. إنما بدأ الإسلام من عقدة النفس البشرية الأولى عقدة العقيدة .. بدأ باجتثاث التصور الجاهلي الاعتقادي جملة من جذوره وإقامة التصور الإسلامي الصحيح .. إقامته من أعماق القاعدة المرتكزة على الفطرة .. بين للناس فساد تصوراتهم عن الألوهية وهداهم إلى الإله الحق .. وحين عرفوا إلٰههم الحق بدأت نفوسهم تستمع إلى ما يحبه منهم هذا الإله الحق وما يكرهه .. وما كانوا قبل ذلك ليسمعوا أو يطيعوا أمراً ولا نهياً .. وما كانوا ليقلعوا عن مألوفاتهم الجاهلية مهما تكرر لهم النهي وبذلت لهم النصيحة .. إن عقدة الفطرة البشرية هي عقدة العقيدة وما لم تنعقد هذه العقدة أولاً فلن يثبت فيها شيء من خلق أو تهذيب أو إصلاح اجتماعي إن مفتاح الفطرة البشرية ها هنا .. وما لم تفتح بمفتاحها فستظل سراديبها مغلقة ودروبها ملتوية .. وكلما كشف منها زقاق انبهمت أزقة وكلما ضاء منها جانب أظلمت جوانب وكلما حلت منها عقدة تعقدت عقد . وكلما فتح منها درب سدت دروب ومسالك إلى ما لا نهاية ..

« لذلك لم يبدأ المنهج الإسلامي في علاج رذائل الجاهلية وانحرافاتها من هذه الرذائل إنما بدأ من العقيدة . بدأ من شهادة أن لا إله إلا الله .. وطالت فترة إنشاء لا إله إلا الله هذه في الزمن حتى بلغت ثلاثة عشر عاماً لم يكن فيها غاية إلا هذه الغاية :

تعريف الناس بإلٰههم الحق وتعبيدهم له وتطويعهم لسلطانه .. حتى إذا خلصت نفوسهم لله وأصبحوا لا يجدون لأنفسهم خيرة إلا ما اختاره الله عندئذ بدأت التكاليف بما فيها الشعائر التعبدية .. وعندئذ بدأت عملية تصفية رواسب الجاهلية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأخلاقية والسلوكية .. بدأت في الوقت الذي يأمر الله فيطيع العباد بلا جدال لأنهم لا يعلمون لهم خيره فيما يأمر الله به أو ينهي عنه أياً كان .

« ومع هذا فلم يكن تحريم الخمر وما يتصل بها من الميسر أمراً مفاجئاً

فلقد سبقت هذا التحريم القاطع مراحل وخطوات في علاج هذه التقاليد الاجتماعية المتغلغلة المتلبسة بعادات النفوس ومألوفاتها .. والمتلبسة كذلك ببعض الجوانب الاقتصادية وملابساتها » أ هـ .

لقد نزلت أول آية تشير إلى الخمر من بعيد .. قال تعالى في سورة النحل « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً » . فجعل الرزق الحسن مقابل السكر .. وابتدأ بعض الصحابة يتفكر في هذا الأمر ويسأل عن الخمر فأنزل الله تعالى في سورة البقرة « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » .

وتحرج أقوام من الصحابة من هذا الإثم الكبير وبدأ جماعة ممن يتجرون بها ويعيشون عليها يحولون تجارتهم وجهة أخرى .. ولبث أقوام آخرين يشربونها قالوا لم تحرم علينا .. وقد تحدثنا عن منافع الخمر الموهومة في أثناء الكتاب وأفردناها بفصل خاص باسم « هل للخمر منافع » فليراجعه القارئ الكريم .

وبقي السؤال يتردد في صدور جماعة من الصحابة عن الخمر فأنزل الله تعالى بعد أن صلى بعض الصحابة وهم سكارى فكثر غلطهم وقرأ « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد .. » فإذا به يقول ونحن نعبد ما تعبدون . عند ذلك أنزل الله تعالى « يا أيها الذين أمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (النساء) .

فكان منادي رسول الله إذا قامت الصلاة ينادي أن لا يقربن الصلاة سكران ..

وأدى ذلك إلى امتناع طائفة أخرى كبيرة عن شربها فكيف يقرب الصلاة وهو سكران والصلاة موزعة على اليوم كله من الفجر إلى الظهر إلى العصر إلى المغرب فالعشاء ..

فمن كان مدمناً لها بدأ يفطم هذه النفس عن الصبوح وهو أن يشربها مبكراً والغبوق وهو أن يشربها مساء .. ولم يبق له إلا أن يشربها بعد صلاة العشاء ..

وكان قوم منهم يستحون أن يأتوا إلى صلاة الفجر تفوح منهم رائحة الخمر الذي شربوه في الليلة السابقة .. كما كانوا يجدونها تمنعهم عن القيام لصلاة آخر الليل وصلاة الفجر فانفطمت بذلك أنفس عديدة عن شربها ..

وعندما توضع الصلاة في ميزان ويوضع أي شيء في الكفة الأخرى .. فإن كفة الصلاة لا شك هي الراجحة لدى أولئك الأتقياء الذين امتلأت قلوبهم وأنفسهم بذلك الإيمان الذي لم تعرف له البشرية مثيلاً ...

ومع ذلك بقي نفر في المدينة يشرب الخمر لأنها لم تحرم تحريماً قاطعاً .. يقول أبو هريرة رضي الله عنه فيما يرويه عنه الإمام أحمد :

« حرمت الخمر ثلاث مرات . قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » .. فقال الناس ما حرمها علينا إنما قال فيهما إثم كبير ومنافع للناس .. وكانوا يشربون حتى كان يوماً من الأيام فصلى أحدهم فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها .. « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فكان الناس يشربون .. ثم أنزلت آية أغلظ منها « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. »

قالوا : انتهينا ربنا .. وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على سرفهم كانوا يشربون ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان .. فأنزل الله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم » .

وفي خلال الفترة التي نزل فيها تعريض القرآن الكريم بالخمر عند قوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس .. وإثمهما

أكبر من نفعهما » وقوله « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .. امتنع كثير من الناس عن شربها .. كما امتنع آخرون عن الاتجار بها .. ونبه رسول الله أولئك المتغافلين إلى خطورة الوضع وخاصة بالنسبة لتجار الخمور ليحولوا تجارتهم إلى مواد أخرى قبل أن تحرم الخمر تحريماً باتاً .. فقال صلى الله عليه وسلم :

« إن الله يعرّض بالخمر ولعل الله سينزل فيها أمراً فمن كان عنده منها شيء فليبعها ولينتفع بها » قال الراوي وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه « فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبعها ولا ينتفع بها فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها » . (**أخرجه مسلم**) .

وبهذه الخطوات المتئدة جفف الإسلام ينابيع الخمر وفطم كثيراً من النفوس عن شربها .. وحول المدمنين تدريجياً إلى الشرب الاجتماعي .. ونبه التجار وبائعي الخمور إلى أهمية تحويل تجارتهم إلى أغراض أخرى .. واستفاد من كل حادثة تحدث في حياة الصحابة حتى يعمق فيهم بغضهم للخمر ..

فإذا سكر أحدهم وصلى وهو سكران ووصل به الأمر إلى أن يقول إنه يعبد ما يعبد الكافرون اتكأ على هذه الحادثة وأنزل الله فيها قرآناً يتلى من السماء ليعمّق في نفوسهم عظم الإثم الذي كانوا يقترفون بشربهم للخمر..

وإذا قام نفر من الصحابة يتعاركون بعد أن شربوا الخمر [1] فيقول الأنصار نحن أفضل ويقول المهاجرون نحن أفضل حتى ليغرز بعضهم في أنوف بعض

---

(١) أخرج مسلم والبيهقي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : «وضع رجل من الأنصار طعاماً فدعانا فشربنا الخمر قبل أن تحرم حتى انتشينا فتفاخرنا فقالت الأنصار : نحن أفضل وقالت قريش نحن أفضل فأخذ رجل من الأنصار لحى جزور فضرب به أنف سعد فغرزه وكانت أنف سعد مغروزة فنزلت إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه .. »

لحى بعير .. وهم الذين قال الله فيهم « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . وحتى تدمي وجوههم .. فإذا أفاقوا رأوا ماذا فعلت بهم الخمر .. عندئذ ينزل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة .. فهل أنتم منتهون » (المائدة ٩٠ ـ ٩٣) .

وعندئذ تكون الاستجابة الفورية لأمر الله وأمر رسوله .. فقال عمر رضي الله عنه وهو الذي كان يسأل عن الخمر « اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً » .

قال عمر عند سماعه الآية فهل أنتم منتهون « انتهينا ربنا .. انتهينا ربنا » .

وقال أنس رضي الله عنه : « حرمت الخمر ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر .. قال فأخرجنا الحباب إلى الطريق فصببنا ما فيها .. فمنا من كسر رجبه (الدن) ومنا من غسله بالماء والطين .. ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وريحها » .

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح وأبي دجانه ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر فسمعت منادياً ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت » قال : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا .. وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ :

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه .. » إلى قوله « فهل أنتم منتهون » .

وأخرج ابن جرير عن أبي بريدة عن أبيه قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن على رمله .. ونحن ثلاثة أو أربعة وعندنا باطية لنا ونحن نشرب الخمر حلاً .. إذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه إذ نزل تحريم الخمر .. « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان .. » الآية . فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله « فهل أنتم منتهون ؟ » قال : وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضها وبقي بعض في الإناء تحت شفته العليا .. كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا : انتهينا ربنا .

وأخرج الإمام أحمد عن نافع بن كيسان أن أباه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في زقاق يريد بها التجارة فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله جئتك بشراب طيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها قد حرمت وحرم ثمنها .. فانطلق كيسان إلى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم أهرقها .

ويقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بجمع ما بقي من أزقة الخمر فيشقها بنفسه بمدية (سكين) ثم يقول : « لعنت الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها » ..
(أخرجه الإمام أحمد) .

فيكون ذلك الضربة القاضية على ما تبقى من خمر في الدنان والجرار ويخرجها كل من سمع بذلك فيهرقها .. حتى أن أبا طلحة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أيتام في حجرة ورثوا خمراً فقال له الرسول أهرقها . قال : أفلا نجعلها خلاً ؟ قال : لا .. فأهرقها .

فإذا كانت الخمر لأيتام وهم الذين حرص الإسلام على أموالهم كل الحرص سفكها وأهرقها وأضاع ذلك المال .. لأنه مال حرام وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . عندئذ يعمق في نفوس المؤمنين إثم الخمر وشربها وبيعها وحملها بل وحضور مجلسها ..

حتى يقول الرسول الكريم كما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم :

« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشربها حين يشربها وهو مؤمن » .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة .. إن مات مات كافراً وإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال .. فسأله السائل وما طينة الخبال يا رسول الله ؛ فقال : صديد أهل النار » .

(أخرجه الإمام أحمد)

لذلك كله كانت الاستجابة عميقة وفورية وانتهى المسلمون من شرب الخمر وتخلص المجتمع الإسلامي بأسره من ربقة الخمر بعد أن كانت معبودة لدى جماهير العرب في الجاهلية ..

حتى ليأتي رجل من ثقيف أودوس بعد فتح مكة والإسلام لما يدخل بعد إلى شغاف قلوب تلك القبائل فيأتي الرجل براوية خمر يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول الرسول الكريم : أما علمت أن الله حرمها . فأقبل الرجل على غلامه فقال : إذهب فبعها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي حرم شربها حرم بيعها » فأمر بها ذلك الأعرابي فأفرغت في البطحاء ..

فإذا وصل الأمر إلى هذا الحد بمن دخل جديداً في الإسلام فكيف بمن أشربت قلوبهم حب الله وحب رسوله .. الذين ليس لهم خيره أمام ما اختاره الله لهم ..

ومنذ ذلك اليوم والمسلمون في أصقاع الأرض على حرمتها ولا يشربها فيهم إلا من هو شاعر بذنبه مقر بخطأه نادم على فعله إلا ما ندر .. ونظرة الناس إليه

نظرة ازدراء منذ ذلك العقد البعيد حتى الأجيال القريبة الماضية بل قل حتى جيلنا هذا مع ضعف الإيمان وقلة التربية ونفاذ الزاد ووعورة الطريق وظلام السبل .

فانظر إلى الفارق بين المجتمعين وإلى البون الشاسع بينهما : مجتمع العرب الأميين الذين كانوا يعبدون الخمر والمجتمع الأمريكي الفتي الذي أوتي حظاً كبيراً من العلوم الحديثة وعرف مضار الخمر وآثامها .. وانظر بعد ذلك كيف استطاع الإسلام بآيات قليلات أن يمنع شربها دون اللجوء إلى القوانين والشرطة ودون اللجوء إلى وسائل الإعلام الباهرة .. ودون اللجوء إلى الأطباء والأخصائيين والعلماء ليوضحوا مضار الخمر وآثامها .. وكل تلك الوسائل فعلتها أمريكا وقامت بحملتها الضخمة ومع هذا فشلت فشلاً ذريعاً مخجلاً .. ولم تستطع الأمة الأمريكية أن تفطم شهوة شرب الخمر لديها فما هو السر يا ترى ؟

إن السر يكمن في كلمة بسيطة تفعل أكثر مما يفعل السحر .. تلك هي كلمة الإيمان .. تلك الكلمة العجيبة المتصلة بنور الله فتنداح أمامها الغياهب كما تنداح الظلمات أمام أشعة الشمس .. تلك الكلمة التي حولت سحرة فرعون من ظلام الكفر وغياهب السحر إلى نور الإيمان والإسلام .. وجعلتهم وهم الذين كانوا يبحثون عن الأجر المادي الرخيص فيقولون لفرعون : « أإنا لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبون ؟ جعلتهم يتحولون إلى أولئك الأبطال الذين استرخصوا أرواحهم لله فيقولون لفرعون الطاغية الجبار عندما تهددهم وتوعدهم قائلاً : أآمنتم له قبل أن آذن لكم . إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل . ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى » . فكان الرد الثابت كالرواسي الشامخ كالطود « لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا . فأقضي ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا » . « لم يرهبهم الصلب ولا تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف حتى الموت .. لا لم يرهبهم ذلك وإنما دفعهم الإيمان العجيب الذي أضاء نفوسهم منذ هنيهات قليلة إلى ذلك البذل وإلى تلك التضحية وإلى ذلك الصمود والثبات العجيب الذي

سجله لهم رب العالمين في كتابه المجيد ليتلى في آفاق السماء والأرض أبد الآبدين » .

كل ذلك بفعل الإيمان .. انقلبت الموازين والقيم .. وانقلبت المفاهيم والمثل .. قبل هنيهات كانوا يطالبون بالأجر والمال والمركز فإذا هم بعد أن قذف الله في قلوبهم نور الإيمان وانزاحت عنهم ظلمات الكفر وغشاوة الجهل .. إذا هم تلك الصفوة المختارة التي تبذل كل شيء في سبيل إيمانها بربها وبعقيدتها ..

ذلك هو السر الرهيب الذي جعل الأمة الأمية الجاهلة تتحول إلى تلك الأمة الفذة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً ولا نظيراً .. تلك الأمة التي تؤمر فتطيع دون حاجة إلى رقيب فالرقيب في النفس والله حاضر شاهد تراه عين البصيرة وتتملا وجوده ولا يغيب عنها قط .. وتتمثل قول الرسول الكريم « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فتكون تلك الطاعة الفورية لأوامر الله ونواهيه .. بينما تفشل كل وسائل الإغراء والإيضاح والعلم لأمة مزهوة بعلمها مغرورة بقوتها وحصيلتها من العلوم الدنيوية وتفشل كل تلك الوسائل في منعها من معاقرة الخمر حتى بعد أن وافقت غالبيتها الساحقة على قرار المنع ذاك .

تلك هي ثمرة الإيمان .. ولا بد من غرس بذرة الإيمان أولاً حتى نقتطف الثمار ولن يجدينا إذا فقدنا الإيمان أن نوضح بالأرقام والعلوم والطب وكل وسائل الإعلام أضرار الخمر أو الزنا أو الربا .. لن يجدي ذلك مع فقد الإيمان .. والإيمان حتى بدون هذه الوسائل جميعها يجدي في شفائنا من جميع الأدواء والأسقام والعلل والمحن .. ومن ذلك الشقاء والتعاسة والنكد الذي تعيشه الإنسانية اليوم ولا حل آخر غير الإسلام .. ولا ملجأ من الله إلا إليه .. وإلا فهي حياة الضيق والكآبة والقلق والإدمان والانتحار .. وصدق الله العظيم حيث يقول : « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المعجزة تكرر في القرن العشرين

مع السود في أمريكا :

يشكل السود في الولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد عن ٣٢ مليون نسمة .. أسلم منهم حتى الآن ما يربو على مليونين ..

وفي الواقع كما ذكرت قصة « الجذور » الشهيرة والتي تحولت إلى مسلسلات تليفزيونية ناجحة اكتسحت العالم .. الواقع أن هؤلاء الأفارقة الذين اصطادتهم شباك البيض الوحشية واسترقتهم وأخذتهم إلى القارة الجديدة كي يحرثوها ويزرعوها لهم .. كانوا من المسلمين ولكنهم واجهوا الاضطهاد البشع والمعاملة الوحشية التي تأنف منها الوحوش في آجامها ومات الكثير منهم في تلك السفن التي كانت تهربهم من الساحل الإفريقي إلى القارة الجديدة كما قتل الآلاف منهم تحت سياط التعذيب .. وأجبروا على تغيير أسمائهم والتنكر لدينهم ومعتقداتهم .. وقد قتل منهم تحت سياط تعذيب الرجل الأبيض الذي ينادي دائماً بحقوق الإنسان خمسة وسبعون مليوناً .. ولم يبق أحد منهم يستطيع أن يعلن إسلامه حتى أمام لنكولن الذي يدّعون أنه حرر الرقيق .. وقد تم اختطاف مائة مليون إفريقي وتم شحنهم إلى أمريكا خلال قرن كامل من الزمان (القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي) وبقي منهم ٢٥ مليوناً عبيداً للرجل الأبيض يحرثون الأرض وينقبون له المناجم ..

ومع ذلك كله بقيت بقية تحتفظ باسلامها سراً وتتوارثه كتماناً .. أما الأغلبية فلم تجد إزاء القهر والبطش والطغيان من الرجل الأبيض الجلد الأسود

القلب .. الجنتلمان الذي يعرف كيف يتحدث عن حقوق الإنسان في الوقت الذي يغتالها فيه .. لم تجد الأغلبية إزاء هذه الأوضاع المهترئة وهذا الظلم والطغيان إلا أن تنغمس في الشراب وإدمان المخدرات .. والولوغ في مستنقع الجريمة الآسن ..

ويبقى حي هارلم بنيويورك إلى اليوم حيث يتجمع فيه السود شاهداً على المستوى الحقيقي لحضارة الرجل الأبيض القميئة .

ولقد أراد الله لأمة السود في أمريكا أن يهتدي كثير من أفرادها إلى الإسلام وأن تشرق قلوبهم بنوره فتنداح له غياهب الظلم والظلمات .

حتى في السجون ومع عتاة المجرمين ومدمني الخمور والهرويين ينشر الإسلام نوره ويحول تلك النفوس المريضة التائهة القلقة الضالة الوالغة في الإجرام والإدمان إلى نفوس مشرقة مطمئنة وإلى سلوك مهذب رفيع حتى أن المسؤولين عن هذه السجون من البيض أصيبوا بالدهشة لما يرونه من هذا الانقلاب الغريب في حياة هؤلاء المجرمين وأصبحوا نتيجة لذلك يفتحون أبواب السجون للدعاة إلى الله كي يحولوا هذه النفوس الساقطة المريضة إلى نفوس أشربت بنور الإيمان ..

ولقد نشرت ذلك العديد من الصحف والمجلات والكتب نذكر هنا ما نشرته مؤخراً مجلة لايف الأمريكية تحت عنوان « إيمان صارم وراء القضبان » :

« في الواحدة من بعد ظهر كل جمعة تنقل الكراسي من أماكنها وتوضع بجوار الحائط في منتدى السجناء السود .. وتبسط بقايا إحدى السجادات الشرقية على الأرض ثم تصطف حفنة من المسلمين السود المحكوم عليهم بالسجن ويركعون في اتجاه مكة لأداء شعيرة بدء اليوم المقدس عند المسلمين . وبعد ذلك يجلس المصلون لتناول طعام الغداء الذي طبخوه بأنفسهم .. فهؤلاء المسلمون الأتقياء

لا يتناولون المخدرات التي يمكن الحصول عليها بسهولة داخل السجن والتي يستعملها ما يقدر بنصف نزلاء السجن .. وهم لا ينغمسون في شرب (البرونو) وهو الشراب السائد في السجن رغم أنه غير قانوني ـ والمصنوع من عصير الفواكه والسكر والخميرة .. وشريعتهم تحرم الشذوذ الجنسي الذي هو من أسباب حوادث العنف والاضطرابات بين السجناء .. وقد أصبح السجناء المسلمون جماعة تحظى بالإحترام الكبير .. وذات تأثير مضطرد على النزلاء السود الآخرين في سجن « واللا واللا » بولاية واشنطن .. وهم يشكلون نسبة ٢٣ بالمائة من مجموع المسجونين » .

ويقول الكاتب الأمريكي الأسود جيمس بالدوين(James Baldwin) في كتابه « الجحيم في المرة القادمة » (The Fire Next Time) وهو يخاطب رفاقه السود « عودوا إلى دينكم الحقيقي .. انزعوا عنكم أغلال المستعبد الشيطان وارجعوا إلى أصولكم .. لا تشربوا الخمر التي صنعها لكم .. ولا تستخدموا المخدرات التي نشرها بين صفوفكم .. أحموا نساءكم من الزنا ومن شهواته البهيمية واجتنبوا ذلك الخنزير القذر ..

« إنني لا أزال أذكر رفقة الماضي في الأزقة يترنحون والكؤوس بأيديهم والدموع في مآقيهم وهم يبحثون عمن يغرز فيهم إبر المورفين والهروين .

نعم إنني أذكر ذلك . وأذكر ما قاله لي أخي ذات يوم : إذا لم يكن في هارلم هذا العدد الضخم من المدمنين ومن الكنائس لسالت الدماء في شوارع هذا الحي البائس .

والآن ـ وفجأة ـ سمع أولئك الناس الذين لم يتح لهم من قبل أن يتعرفوا على هذا الدين العظيم .. سمعوا به وتعرفوا عليه وأقبلوا بنفوس ضامئة وشربوا من حياضه فتغيروا .. نعم تغيروا تغيراً كاملاً مذهلاً ..

لقد استطاع الإسلام أن يفعل ما لم تستطع أن تفعله أجيال موظفي الضمان الاجتماعي ومئات القرارات والدراسات واللجان التي كلفت بإصلاح أحوال السود .. نعم لقد استطاع الإسلام وفي وقت قصير جداً أن يحول هؤلاء البائسين مدمني الخمور والأفيون والهرويين ممن فشل في علاجهم الأطباء النفسيون والمصلحون الاجتماعيون ونفضوا أيديهم عنهم معلنين أنهم لا علاج لهم فهم سايكوباث (Psychopaths) (أي مرضى نفسيون لا يجدي معهم العلاج) تحول هؤلاء إلى الطهارة والنقاء .. وتوقفوا فجأة عن الإجرام وعن شرب الخمور والإدمان ..

نعم لقد فشلت مئات المشاريع لإصلاح هؤلاء البؤساء .. حتى مشاريع الإسكان والملاعب والمدارس والكنائس .. جميعها فشلت في إنقاذهم من براثن الإجرام والإدمان ..

« وفجأة تحول نزلاء السجون ومدمنو حي هارلم إلى الطهارة والنقاوة .. وقذف في قلوبهم نور الإيمان .. ودخلوا في دين الله أفواجاً فتحولوا .. تحولوا فجأة من الدمار والعار إلى واحة الإيمان الوارفة الظلال الملتفة الأغصان .. وانداح ذلك الظلام الكثيف الذي أحاط بأولئك الرجال الذين وقعوا في مستنقع الرذيلة والإجرام والإدمان .. وتلك النسوة اللائي احترفن البغاء وتكسبن بالفجور ومشاركة الرجال في إدمان الخمور والأفيون .. ولم يبق بعد دخولهم في دين الله إلا النور الآلق يكسو وجوههم ويهدي أعمالهم ويحولهم إلى رجال أبرار ونساء أطهار » .

وها أنت ترى المعجزة تتكرر مرة أخرى وفي أمريكا ذاتها التي فشلت بعلومها وأطبائها وحكوماتها المتعاقبة أن تمنع الخمر..

نعم تتكرر المعجزة ومع من ؟ مع المدمنين والمجرمين العتاة الذين سقطوا في مستنقع الرذيلة الآسن .. وبعد أن أعلن الأطباء النفسيون والمصلحون الاجتماعيون

فشلهم الكامل في استنقاذهم .. كما فشل في ذلك من قبلهم رجال الكنيسة ومشاريع الإسكان .. والمدارس والملاعب ..

نعم ها هي المعجزة مرة أخرى تقع أمام أعيننا .. وفي القرن العشرين .. وفي نفس المكان الذي فشلت فيه تجربة الرجل الأبيض بكل ما أوتي من وسائل العلم الحديث ..

ولا يبقَ أمام الإنسانية إلا حل واحد لتخرج من براثن الإدمان ومشاكل التفرقة العنصرية والحروب والدمار .. ومن حياة الضيق والقرف والتفاهة والأفيون وإدمان الخمور والانتحار وهو العودة إلى طريق الله الرحب .. طريق الإسلام ..

وكما يقول المؤرخ العالمي أرنولد توينبي في كتابه(Civilization on Trial) « محاكمة الحضارة » :

« إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من ربقة الكحول عن طريق الاعتقاد الديني العميق .. والتي استطاعت بواسطته أن تحقق ما لم يمكن للبشرية أن تحققه في تاريخها الطويل حيث استطاع الإسلام أن يحقق ما لم تستطع أن تحققه القوانين المفروضة بالقوة ومن خارج النفس ..

إن الإسلام يستطيع أن ينقذ الإنسانية من تأثيرات المجتمعات المدنية الغربية التي تبث شباكها في أنحاء العالم أجمع » ..

وقد بدأ الرجل الأسود في أمريكا يتحرر من براثن الرجل الأبيض ومن شرابه المقيت وبقي على الرجل الأسود في القارة الإفريقية أن يتحرر هو كذلك من ربقة شراب الكافر(Kaffir's Drink)كما يسميه الأفارقة من قبائل البانتو في جنوب إفريقيا .. حيث أعطاهم الرجل الأبيض شرابه المخدر والمشهور في

الكتب الطبية بتسبيب تليف الكبد مع اعتلال عضلة القلب ومقابل هذا الشراب يأخذ منهم الدريهمات التي يعطيها لقاء عملهم المرهق في حقوله ومناجمه ..

وقريباً قريباً سيضيء نور الإسلام ظلمات الكفر والظلم .. وستنداح بنوره الآلق غياهب الظلم وظلمات الجهل وغشاوة الجاهلية وستنزاح شرور البغي والطغيان والقهر والاستذلال وسيذهب معها الإدمان . إدمان الخمور والمخدرات كما ستذهب معها شرور الزنا والربا ومختلف أنواع الآثام .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل التاسع

وظائف الجهاز العصبي

لا بد لنا من عرض موجز سريع للجهاز العصبي قبل أن نفصل في الأمراض التي تصيب الجهاز العصبي نتيجة شرب الخمور .. الجهاز العصبي هو أثمن ما خلق الله للإنسان . وهو عبارة عن الجهاز الذي يسيطر على أجهزة الجسم الأخرى لضبط وتكييف العمليات الحيوية المختلفة الضرورية للحياة بانتظام وتآلف تام . فيقوم كل عضو بما وضع له وخصص به في الوقت المناسب ، ويشمل هذا الجهاز العجيب مجموعتين أساسيتين .

الأولى : المجموعة المركزية

وهي تتألف من المخ الذي يرتفع به الإنسان إلى عالم الفكر والروية وبه مناط المسؤولية .. وبه مراكز الحركة والاحساس والسمع والابصار والنطق والكتابة والكلام .. كما أن به مراكز جمع المعلومات والفهم والادراك .. ولأهميته القصوى جعله الله محروساً بعظام من كل جهة هي عظام الجمجمة وعددها إثنان وعشرون عظماً متصلة اتصالاً وثيقاً محكماً بالتداريز بحيث تحرس المخ من كل جهة .. وليس بها سوى ثقوب صغيرة لخروج الأعصاب المخية من المخ إلى مقرها ومثواها في الوجه والجسم وثقوب صغيرة لدخول الأوعية الدموية لتغذية المخ . كما أن بها ثقباً كبيراً يدعى الثقب المؤخري العظيم في قاع الجمجمة حيث يتصل المخ

بالنخاع الشوكي الموجود بداخل القناة الفقرية والمحروس بالفقرات المبتدئة بالعنق والمنتهية بالعصعص في أسفل الظهر .

ولقد جعل الله للمخ والنخاع الشوكي طبقة أخرى حارسة بعد طبقة العظام الصلبة هي الأم الجافة : وهي من ألياف قوية ثم بعدها الأم العنكبوتية ثم الأم الحنون وهي قشرة رقيقة متصلة بالمخ والنخاع الشوكي . وبين الأم العنكبوتية والأم الحنون يجري سائل يفرز في بطينات المخ . ويجري في القنوات حتى يصل بين الأم العنكبوتية والأم الحنون .. ويكون ذلك السائل المخ ـ شوكي واقياً للمخ والنخاع الشوكي من الهزات والصدمات ويكون كالفراش الوثير لهما (للمخ والنخاع الشوكي) يقيهما شر الهزات المفاجئة والصدمات الطارئة والحركات العنيفة .

المجموعة الثانية : وتدعى الجهاز العصبي الفرعي

وتشمل الألياف العصبية وعقدها المختلفة وجميعها متفرعة إما من المخ أو من النخاع الشوكي . فالاعصاب المخية هي اثنا عشر عصباً على كل جانب أي (أربعة وعشرون عصباً في مجموعها) وهي أعصاب خارجة من المخ إلى الوجه والجسم وبيانها كالتالي :

(١) العصب المخي الأول : وهو العصب الشمي الخاص بحاسة الشم .

(٢) العصب المخي الثاني : وهو العصب البصري الخاص بحاسة الابصار .

(٣) العصب المخي الثالث : وهو محرك لمعظم عضلات مقلة العين .

(٤) العصب المخي الرابع : وهو محرك للعضلة المنحرفة العليا بمقلة العين .

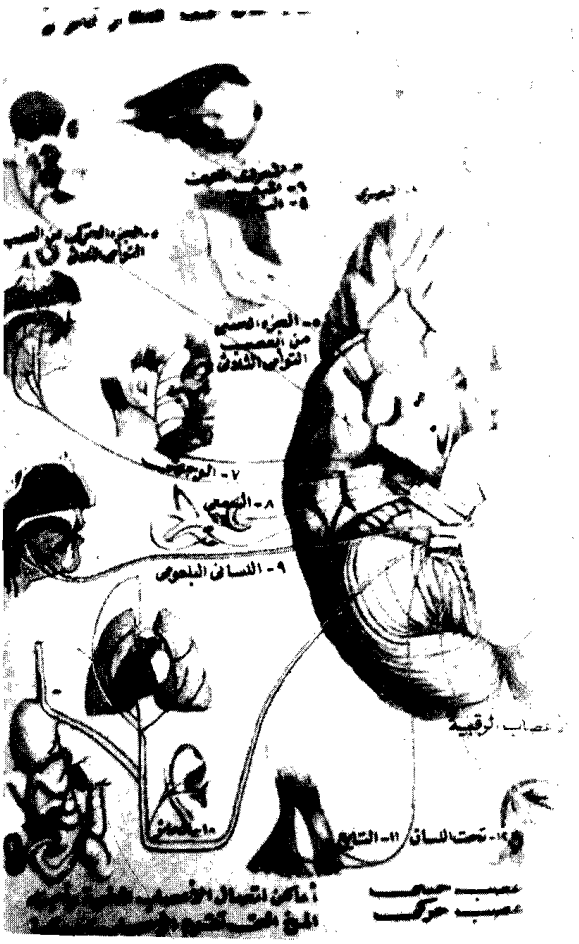

صورة للمخ بأجزائه
مع أعصاب المخ الإثني عشر

(٥) العصب المخي الخامس : ويعرف بالعصب ذي الرؤوس الثلاثة . وينقل الاحساس من الوجه والجبهة وفروة الرأس والأسنان ومحرك أيضاً لبعض عضلات المضغ .

(٦) العصب المخي السادس : محرك للعضلة المستقيمة الوحشية بمقلة العين .

(٧) العصب المخي السابع : ويعرف بالعصب الوجهي وهو المحرك لعضلات الوجه والشفاه كما يحمل أليافاً خاصة بحاسة التذوق للسان .

(٨) العصب المخي الثامن : وهو مكون من شقين سمعي وهو خاص بحاسة السمع واتزاني وهو خاص بحفظ اتزان الجسم أثناء المشي أو الالتفاف أو الصعود أو الهبوط .. ويتعاون في ذلك مع المخيخ .

(٩) العصب المخي التاسع : ويعرف بالعصب اللساني البلعومي ويحمل الأحاسيس من الجزء الخلفي للسان والبلعوم كما يغذي عضلات البلعوم .

(١٠) العصب المخي العاشر : ويعرف بالعصب الحائر أو العصب الرئوي ـ المعدي وهو يهدئ ضربات القلب ويبطئها بعد اسراعها . ويغذي القصبة الهوائية والشعب الهوائية ويسبب ضيقها إذا زاد التأثير عن حده .. كما أنه يغذي الرئتين والجهاز الهضمي من المريء فالمعدة فالامعاء ويزيد من حركة عضلات المريء والمعدة والأمعاء . والعصب العاشر يتبع المجموعة الذاتية أي اللاارادية (Autonomic Nervous System) التي سنتحدث عنها بايجاز شديد فيما بعد .

(١١) العصب المخي الحادي عشر : ويسمى العصب المساعد ويشترك مع العصب العاشر في عمله . ويغذي عضلات في العنق وفوق الكتف .

(١٢) العصب الثاني عشر : ويسمى «العصب تحت اللسان» وهو يغذي عضلات اللسان ولولاه لفقدنا القدرة على النطق والأكل .

وهذا القدر يكفي عن الأعصاب المخية ، أما الأعصاب النخاعية الشوكية (Spinal Nerves) فهي واحد وثلاثون عصباً من كل جانب (أي اثنان وستون عصباً للجسم الانساني) . وتخرج هذه الأعصاب من النخاغ الشوكي وتسير عبر خروم صغيرة بين الفقرات ثم توزع على الجسم الإنساني بأكمله ما عدا مناطق توزيع الأعصاب المخية التي ذكرناها آنفاً .. وتعرف الأعصاب الثمانية الأولى بالأعصاب الشوكية العنقية لأنها تمر بين الفقار العنقية وتعرف الأعصاب التي تمر

بين الفقار الظهرية بالأعصاب الظهرية (Dorsal Nerves) وعددها اثنا عشر في كل جانب تليها خمسة أعصاب قطنية (Lumbar Nerves) لأنها تخرج بين الفقار القطنية (Lumbar Vertebrae) ثم تليها الأعصاب العجزية وعددها خمسة من كل ناحية (Sacral Nerves) وآخرها العصب العصعصي (Coccygeal Nerve) لأنه يخرج من العصعص .

وكل عصب شوكي يحمل الأحاسيس من الجلد كالألم والبرودة والحرارة واللمس أو ما تحت الجلد من الاحساس بالوزن وينقل هذه الأحاسيس إلى النخاع الشوكي ومن ثم في مسارات عجيبة رائعة إلى المخ . كما ينقل العصب الشوكي أوامر من النخاع الشوكي تلقاها من المخ إلى العضلات بالانقباض فتنقبض و بالانبساط فتنبسط . وبذلك نتمكن من الحركة .. ولولا ذلك لما استطعنا أن نحرك أنملة من أناملنا ولا اصبعاً من أصابعنا ولما استطعنا مشياً ولا وقوفاً ولما استطعنا حراكاً ولا جيئة ولا ذهاباً .. ولما استطاع الفرد فينا أن يرفع إلى شفتيه كأس ماء .. وما هو ببالغه .. فسبحان البديع الصنع الذي أتقن صنع كل شيء خلقه وقدره تقديراً .

وليس الأمر متروكاً لأي عصب يغذي أية عضلة ولا لكل عصب ينقل الأحاسيس من أي جهة شاء .. وانما هي خرائط دقيقة ونظام باهر رائع ، فالأعصاب العنقية مختصة بالعنق والكتف والعضد والذراع والساعد واليد والأنامل . ويتخصص كل عصب في نقل الأحاسيس من مكان معين لا يحيد عنه كما يتخصص كل عصب في أمر مجموعة معينة من العضلات بالانقباض أو الانبساط حتى يتم تحريك الذراع أو الساعد أو اليد أو الأنامل .. والمتأمل في ذلك ينبهر من دقة النظام ودقة التنفيذ ودقة التناسق بين هذه الأعصاب بعضها وبعض و بين هذه الأعصاب والعضلات وبين هذه الأعصاب والنخاع الشوكي وبينها وبين المخ .. إذا أراد الواحد منا أن يتناول قلماً ويكتب فالأمر سهل هين بالنسبة له .. وما درى أن ذلك يشمل ملايين العمليات الدقيقة الرهيبة البديعة الصنع .. الرائعة النظم والتنسيق . ويحتاج ذلك إلى أوامر من مناطق الارادة بالمخ إلى مناطق الحركة فترسل الاشارات بسرعة رهيبة إلى الأعصاب التي تنقل الأوامر من المخ إلى النخاع

الشوكي فينفذ النخاع الشوكي الأوامر بدقة متناهية فتنبسط عضلات وتنقبض أخرى في حركات بديعة متناسقة وتأتي الأوامر المساعدة من المخيخ تحفظ الاتزان وكذلك تأتي الأوامر من النويات الغائرة في داخل المخ .. وتتجاوب الأصداء بحركة رشيقة هي حركة القلم بالكتابة أو حركة اليد والأنامل تمتد إلى الكأس فترفعه إلى الشفاه فترشف رشفة أو رشفتين ولو تتبعنا أمر هذه الرشفة لهالنا ما نرى : تتحرك عضلات الوجه والشفاه بأوامر محمولة على العصب الوجهي (العصب المخي السابع) كما تتحرك لذلك عضلات اللسان التي يغذيها العصب المخي الثاني عشر كما تتحرك عضلات البلعوم التي يغذيها العصب الحادي عشر ولا تصل إلى المعدة إلا بعد عمليات هائلة دقيقة بديعة يغذيها العصب العاشر . إنها تنبئنا عن الخالق المدبر البديع الصنع الذي أتقن كل شيء خلقه وقدره تقديراً . وجعله في غاية الحكمة والخبرة والعلم والقدرة ليدلنا على الحكيم الخبير والعليم القدير .. سبحانه ما أعلى شأنه وما أعظم صفاته وما أكثر نعمه وما أقل شكرنا وما أكثر جحودنا وعصياننا .

ولا نزيد تفصيلاً وانما هي لمحة تكفي من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ننتقل بعد هذا إلى لمحة سريعة عن الجهاز العصبي الذاتي (اللاارادي) (Autonomic Nervous System) وهذه المجموعة من الأعصاب بجانب الأعصاب المخية والأعصاب الشوكية تشكل الجهاز العصبي الطرفي (Peripheral Nervous System) وقد تحدثنا عن الأعصاب المخية والأعصاب الشوكية وبقي أن نتحدث عن الأعصاب الذاتية أو اللاارادية .

والأعصاب الذاتية هي مجموعة من الأعصاب تسير مع بعض الأعصاب المخية أو تكون منفصلة عنها وخارجة من النخاع الشوكي . وتنقسم نتيجة عملها إلى مجموعتين :

١ ـ المجموعة التعاطفية (السمبثاوية) (Sympathatic Nervous System)

٢ ـ المجموعة نظير التعاطفية (Para Sympathatic Nervous System)

وعمل كل مجموعة منهما على النقيض من الآخر .. فالمجموعة التعاطفية تهيء الجسم لحالات الاستعداد للعراك أو الفرار (Fight Flight) فإذا رأيت ثعباناً مثلاً فإن رؤية الثعبان بعد أن تسجل في المخ وتترجم إلى معنى مرعب تؤدي إلى التأثير على مناطق بالمخ مختصة بمواجهة هذه الأزمات الخطيرة .. وبسرعة متناهية ترسل أوامرها إلى النخاع الشوكي حيث توجد مراكز سفلية للمجموعة التعاطفية (Sympathatic System) فترسل الأوامر بسرعة البرق الخاطف إلى الأعصاب التعاطفية (Sympathatic Nerves) فتعمل الآتي :

١ ـ تتسع حدقة العين وتجحظ العين قليلاً «فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت» .

٢ ـ تزيد من سرعة نبضات القلب فيزداد وجيبه ويكاد ينخلع المرء هلعاً وضربات قلبه تدق صدره دقاً سريعاً قوياً ..

٣ ـ يزداد التنفس عمقاً لأخذ كمية كبيرة من الأوكسيجين وتتوسع الشعب الهوائية .

٤ ـ تزداد سرعة الدورة الدموية وتدفع بالدم من القلب إلى العضلات ويدفع الدم المخزون في الطحال والكبد .. بينما تنقبض الأوعية الدموية للاحشاء أي للجهاز الهضمي حتى تقلل من الدم الذاهب إليها فليس الوقت وقت أكل وهضم .. وإنما الوقت وقت عراك أو فرار .. وكل عضلة محتاجة الآن لمزيد من الدم ومزيد من الأوكسيجين . فلا بد أن يوفر لها ذلك أولاً ..

٥ ـ يزداد إفراز الأدرينالين وهو مادة هامة لتحويل السكر المخزون بالكبد والعضلات وإطلاقه إلى سكر للوقود .. فالجسم محتاج الآن أشد الحاجة لهذا

الوقود فهو مقبل على معركة طارئة ولا بد من توفير الغذاء والهواء والدم بأقصى سرعة ممكنة وعلى أعلى مستوى حتى يتمكن الجسم من الدفاع أو الفرار إذا لزم الأمر وباءت المعركة بالخسران .

٦ ـ انقباض عضلات جذور الشعر فيقف الشعر .. ولا شك أن كل واحد منا قد رأى هذا المنظر بنفسه وربما جربه مراراً بذاته .. ألم تنظر إلى امرئ غاضب ، أو مرعوب كيف تتسع حدقة عينه وتجحظ ؟ ثم كيف تحمر حدقته وتنتفخ أوداجه وتسرع نبضاته ويزداد وجيب قلبه ويرتفع ضغط دمه .. ويقف شعر جلده ويزداد إفراز العرق منه ويزداد تنفسه عمقاً .. حتى يلهث ؟

لا شك أن كل واحد منا جرب بنفسه مراراً ورآه في غيره مرات .. ولكن غير الدارس لا يسأل نفسه عن هذه التغييرات ولا يعبأ بها .. وكم من آيات بينات تمر بين أيدينا وأمام أعيننا ونحن عنها غافلون ؟ وسبحان الله القدير البديع الصنع الحكيم الخبير العليم الذي أحسن كل شيء خلقه .. فقد هيأ للإنسان بل وللحيوان جهازاً عجيباً يعمل بسرعة فائقة رهيبة عند اشتداد الخوف أو عند اليأس .. فإذا ما التقى سبع بغزال فإن الأول يستعد للأكل والقتل بينما يستعد الثاني للفـرار وكلاهما مقدر بالجهاز العاطفي الذي أوجزنا شيئاً يسيراً من وصفه . ولا بد لهذا وذاك من ازدياد الدورة الدموية إلى العضلات وازدياد وجيب القلب وخفقاته . كما أن كليهما محتاج ليوسع حدقة عينه : الأول ليرى الفريسة ، والثاني ليرى السبيل إلى الفرار من براثن الوحش الكاسر . كما أن كليهما محتاج لزيادة الأوكسيجين فيزداد التنفس عمقاً وتزداد الدورة الدموية حتى تحمل الأوكسيجين إلى العضلات .. والأوكسيجين مادة الأشتعال الأولى فتشكل السكر الموجود وتحرقه وتحوله إلى طاقة دافقة : هذه للبطش وتلك للركض والفرار .. وكلاهما محتاج لأن يدفع السكر من مخازنه في الكبد والعضلات وان تدفع بمادة الأدرينالين من الغدة الكظرية حتى يدفع بالسكر المخزون إلى العضلات جاهزاً لأن يشعل ويحرق ويتحول إلى طاقة بواسطة الأوكسيجين عبر عمليات كيماوية معقدة

أشد التعقيد .. حتى لا تتحول إلى نار محرقة للجسم .. وانما تأتي عبر أربعين عملية كيماوية متتابعة تعطينا الطاقة على هيئة مادة الـ (A.T.P.) (ثالث فوسفات الأدينوزين) المعقولة بعقال شديد الأيد والقوة .

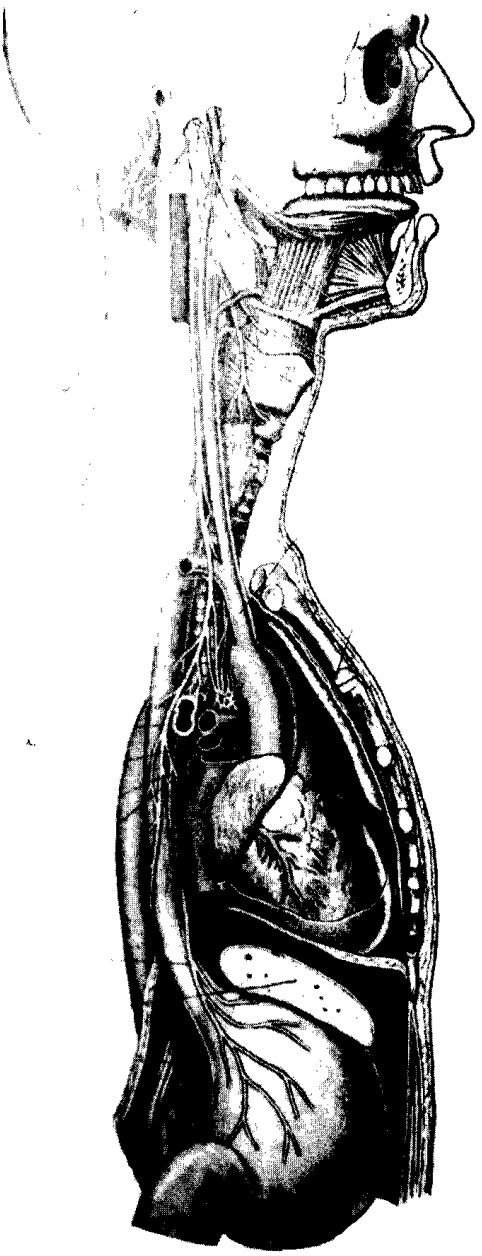

صورة للعصب المخي التاسع والعاشر
(العصب الحائر)

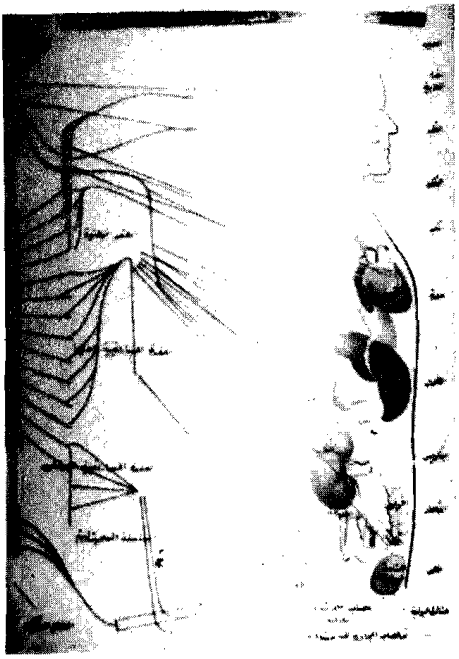

صورة للجهاز العصبي
التعاطفي ونظير التعاطفي

والآن لننظر وقد انتهت حالة الخوف أو القتال وإذا النبض يبطئ وإذا دقات القلب تخفت وإذا الحدقة المبهورة المفتوحة تضيق وإذا الجفن العلوي ينخفض وينكسر بدلاً من ذلك الجحوظ وإذا التنفس يقل في عمقه ويصبح التنفس سطحياً أو يكاد وإذا الدم في العضلات يقل بينما يزداد الدم الذاهب إلى الأحشاء فقد فاز الأسد بفريسته وها هو الوقت يحين للأكل فلا بد من إفراز اللعاب وزيادة إفراز المعدة والمواد الهاضمة الأخرى من الأمعاء والبنكرياس والكبد وحويصلة الصفراء .. وها هي المعدة والمريء والأمعاء تنقبض لتهضم الطعام فهي في شغل شاغل حركة دائرية وحركة طولية وحركة دودية .. حركات ثلاث في آن واحد والكل يذهب ويجيء ويفتت ويهضم .. ثم ها هو الأكل وقد انتهى فقد آن الأوان لاخراج الفضلات وافراز البول فترتخي العضلات الحارسة القابضة (Sphineters) بالمثانة والشرج وتسمح لتلك الفضلات بالخروج .. ولم تكن لتسمح بذلك في وقت الصراع ووقت القتال أو وقت الفرار .. ترى من علم هذا الحيوان

أن يفعل ذلك ؟ ومن أنبأه أن الوقت ليس مهيأ أثناء القتال ليحوّل الدم إلى الأحشاء .. ومن أنبأه أن الوقت لم يحن بعد لارخاء العضلات القابضة العاصرة في أسفل المثانة والشرج ؟ لم يخبره أحد سوى فطرة الله التي فطر الكون عليها .. إذا جاء الخوف أو البأس أو الغضب فهو وقت الجهاز التعاطفي(Sympathatic) يصدر أوامره للاستعداد للقتال أو الفرار (Fight-Flight) فإذا ذهب الخوف جاء وقت الاسترخاء والأكل والنوم والمجامعة والتناسل بل ولبعض الناس لكثرة الكلام : «فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد آشحة على الخير» أما إذا جاء الخوف فهي العيون التي تدور في محاجرها : «فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت» .

وهكذا الإنسان يتعاوره هذان الجهازان التعاطفي (السمبثاوي) للقتل أو الفرار والنظير التعاطفي(Parasympathatic) للأكل والنوم والاخراج والتناسل .

ولنتحدث الآن عن المجموعة المركزية من الجهاز العصبي (Central Nervous System) فنتحدث عن أعجوبة الأعاجيب : المخ الإنساني ... ثم بعد ذلك بايجاز عن النخاع الشوكي .. وصدق الله العظيم : «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» .

الجهاز العصبي المركزي (Central Nervous System)

تحدثنا عن الجهاز العصبي اجمالاً وعن الجهاز العصبي الطرفي (Peripheral Nervous System) ببعض التفاصيل . والآن لنأخذ فكرة سريعة عن الجهاز العصبي المركزي .

ينقسم الجهاز العصبي المركزي إلى قسمين :

١ ـ المخ (Brain)

٢ ـ النخاع الشوكي (Spinal Cord)

ويقع المخ في الجمجمة بينما يقع النخاع الشوكي في القناة الفقرية (Vertebral Canal) أو ما يعرف أحياناً بالقناة الشوكية (Spinal Canal) ويعتبر الثقب المؤخري العظيم في أسفل الجمجمة الحد الفاصل بينهما .

المخ (Brain)

وهو أثمن ما وهب الله للإنسان ولذا فحراسته شديدة بعظام الجمجمة البالغ تعدادها اثنين وعشرين عظماً وبالأم الجافة ، فالأم العنكبوتية فالأم الحنون . وبين الأم العنكبوتية والأم الحنون يجري ذلك السائل الشفاف المسمى السائل المخ ـ شوكي (Cerebro Spinal Fluid) الذي تفرزه الأوعية الدموية بجدار بطينات المخ (Ventricles of the Brain) والذي يكون كالفراش الوثير للمخ والنخاع الشوكي لوقايتهما من شر الصدمات والهزات التي تصيب الجسم الإنساني في حياته اليومية .

ووزن المخ ثلاثة أرطال في المتوسط (كيلو وربع أو أكثر قليلاً) وينقسم المخ إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ المخ المقدمي (Fore Brain)
ويشمل فصي المخ (Cerebral Hemispheres)

٢ ـ المخ المتوسط (Mid Brain)
ويشمل فخذي المخ والأربعة الأجسام التوأمية .

٣ ـ المخ المؤخري
ويشمل قنطرة فارول (Pons) والنخاع المستطيل (Medulla oblongata) والمخيخ (Cerebellum) .

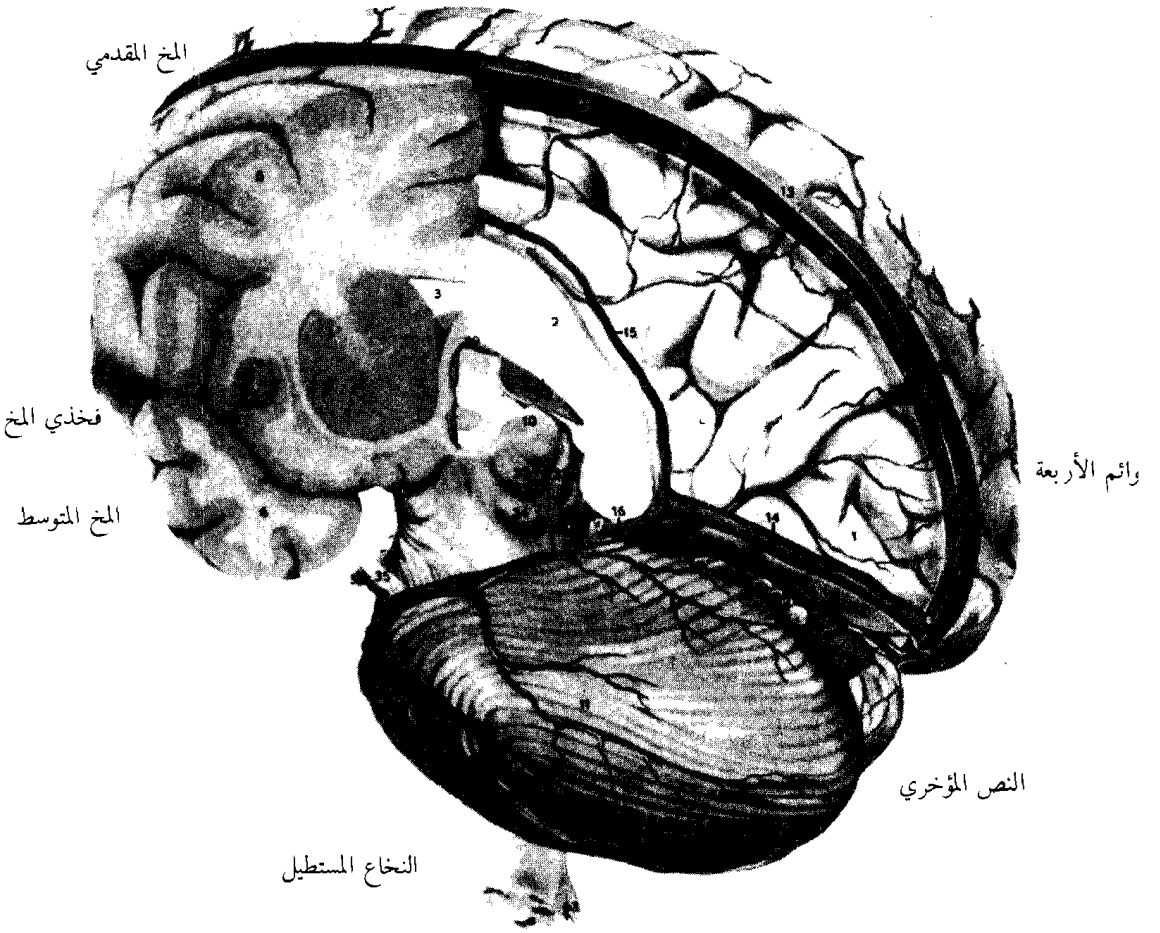

صورة لأجزاء المخ

ويتركب المخ من طبقة رمادية سنجابية تسمى القشرة(Cortex)وتشمل ملايين الخلايا العصبية مع شجيراتها ووحدات نسيجها العصبي . وطبقة داخلية بيضاء تسمى النخاع(Medulla)وتحتوي على بلايين الألياف العصبية ، فمنها الأعصاب التي تنقل الأحاسيس المختلفة من خارج الجسم : من سمع وبصر وشم ولمس وذوق .. وحرارة وبرودة وألم .. ومنها ما يحمل الأوامر من المخ إلى النخاع الشوكي ومنه إلى العضلات للانقباض أو الانبساط ومنها ما يحمل الاشارات المخية إلى الجهاز اللاارادي (الذاتي) ومنها ما يحمل الاشارات من منطقة المخ إلى منطقة أخرى

حتى يتم الربط والتنسيق في هذه الأعمال التي لا تتوقف ومنها ما يحمل المعلومات ومنها ما يحمل الأوامر إلى مناطق اليقظة أو مناطق النوم .. ويتخلل هذه المجامع الهائلة من الأعصاب مجموعات من الخلايا العصبية المعروفة «بالأنواء» وتختص خلايا كل نواة باستقبال اشارات خاصة بها تأتيها من مناطق خاصة أو بارسال إجابات وتنبيهات معينة إلى مراكز اختصاصها كما تتصل بالأنواء الأخرى .

وكل ذلك لسهولة الاتصالات وتنظيم التعاون وتوثيق عرى الائتلاف بين الأنواء والمراكز المختلفة بالمخ التي تتطلب حركاتها وتنبيهاتها تعاوناً وائتلافاً مشتركاً للقيام بالحاجات الضرورية للحياة .

المخ المقدمي (Fore Brain)

ويشمل فصي المخ (Cerebral Hemispheres) وبكل فص مراكز هامة عديدة . وهو مهد الفطنة والذكاء والعبقرية في الإنسان الذي يمتاز بواسطته على باقي المخلوقات .. وهو المسيطر والمهيمن على الجسم الإنساني بأكمله .. فهو المسيطر على الجهاز الارادي والعضلات الارادية كما ترفع إليه جميع الأحاسيس من سمع وبصر .. من ذوق وشم .. ومن لمس وإليه تنتهي جميع الأعصاب التي تحمل الأحاسيس من أخمص القدم إلى قمة الرأس .. وهو الذي يسيطر على الجهاز اللاارادي وبه مراكز السمع والبصر والنطق والكلام والكتابة .. بل به مراكز اليقظة والنوم .. وبتقدم الطب أصبحت هذه المراكز معلومة ومعروقة .. فإذا أصيبت هذه المنطقة بمرض أو حادث نتج عنها خلل في تلك الوظيفة فلو أصيبت منطقة الإبصار التي تقع في مؤخرة المخ مثلاً نتج عن ذلك العمى مع أن العينين وأعصابهما سليمة .. كذلك لو أصيبت منطقة الكلام وهي تقع عادة في الجهة الصدغية الأمامية من الفص الأيسر للمخ . نتج عن ذلك فقدان القدرة على النطق حتى تبرأ تلك المنطقة من علتها . وكذلك لو أصيبت المنطقة المحركة لعضلات الجسم في ناحية ما لنتج عنها شلل نصفي تام للجهة المقابلة . إذ أن الفص

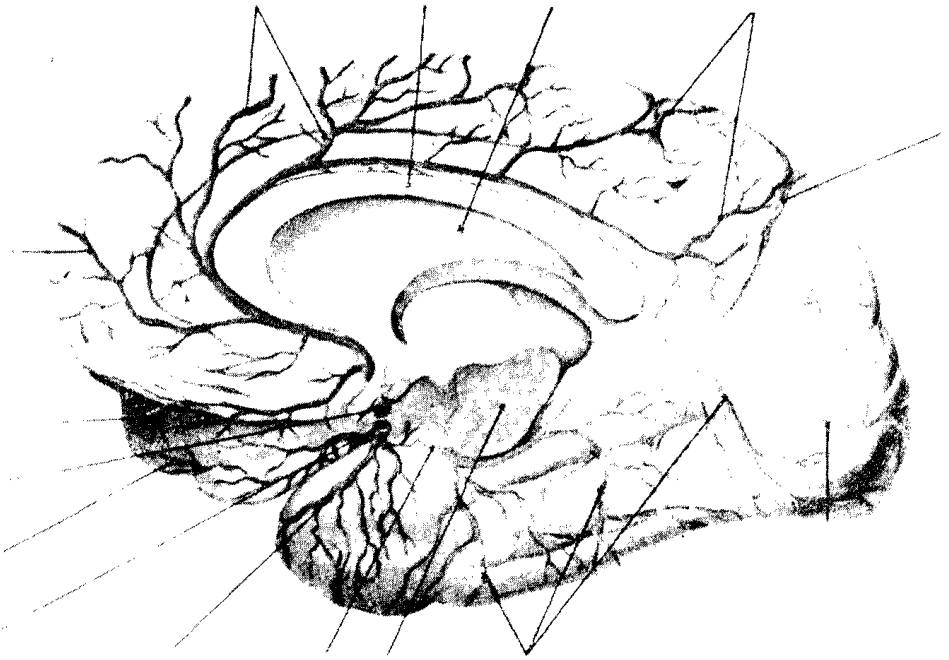

صورة لأجزاء المخ

الأيسر من المخ يسيطر على النصف الأيمن من الجسم والفص الأيمن من المخ يسيطر على النصف الأيسر من الجسم .. وهكذا يفقد المرء أحياناً القدرة على القراءة رغم أنه يستطيع رؤية الأشياء بل والحروف ولكنه لا يستطيع أن يفقه معنى الحروف بل لربما استطاع الكتابة دون أن يستطيع القراءة وهذا أغرب .. ولكن إذا عرفنا أن منطقة القراءة غير منطقة الكتابة وأنه من الممكن أن تصاب إحداهما فقط دون إصابة الأخرى لزال العجب .

ويوجد في نسيج فصي المخ «أنواء» كثيرة وكل نواة تحتوي على ملايين الخلايا العصبية .. وتختص كل نواة منها بالسيطرة على مجموعة من أنسجة الجسم .. فالمهاد البصري (Optic Thalamus) مثلاً مركز هام لتلقي أحاسيس الجسم قبل أن يرفعها إلى قشرة المخ والنويات القاعدية مركز لتنظيم وتنسيق نغمات العضلات فلا تنقبض حتى لا يمكن بسطها كما يحصل في مرض «باركنسون» (Parkinsonism) أو الرعشة المستمرة كما في مرض الشلل الرعاش .

ويربط فصي المخ بعضهما ببعض جملة ألياف مستعرضة أهمها الجسم المندمل (Corpus Callosum) .

المخ المتوسط (Mid Brain)

ويشمل المخ المتوسط (١) فخذي المخ (Crus Cerebri) وهو مجموعة الألياف الصاعدة إلى المخ من القنطرة والمخيخ والهابطة من المخ إلى القنطرة والنخاع المستطيل والمخيخ . وبه نويات هامة منها أنواء العصب المخي الثالث والعصب المخي الرابع ، كما بها النواة الحمراء (Red N.) والنواة السوداء (Substantianigra) .

وكلاهما مسؤول عن نغمات العضلات بالجسم وتناسقها كما أنهما مسؤولان عن توازن أجزاء الجسم فيما بين عضلاته وأنسجته .. وفيما بين الجسم والمكان الذي هو فيه كما يشمل المخ المتوسط (٢) الأجسام التوأمية الأربعة .. فأما الجسمان العلويان فخاصان بمركزين ثانويين للابصار . وأما الجسمان السفليان فخاصان بمركزين ثانويين للسمع .

المخ المؤخري (Hind Brain)

ويتكون من :

١ ـ القنطرة .

٢ ـ النخاع المستطيل .

٣ ـ المخيخ .

والقنطرة : كما يدل اسمها معبر للألياف العصبية من المخ المتوسط إلى النخاع المستطيل والمخيخ وبها مجموعة من الأنواء التي يخرج منها الأعصاب المخية الخامس والسادس والسابع والثامن ..

وبها ألياف هامة تربط نصفي القنطرة .. كما أن بها مركزاً إذا أصيب ارتفعت حرارة الجسم إلى درجة عالية كما يصاب المرء بالاغماء وتكون عندئذ حدقة العين ضيقة .

النخاع المستطيل :

هو حلقة الاتصال بين النخاع الشوكي من جهة والقنطرة وفصي المخيخ والمخ من جهة أخرى والنخاع المستطيل من أهم أجزاء المخ إذ به كثير من المراكز الحيوية كالتنفس والجهاز الدوري والقلب ومراكز للتبول والتبرز والولادة .. ولذا فان هذا النخاع يسيطر على مراكز الحياة . وبه مجموعة الأنواء التي تخرج منها الأعصاب المخية : التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر .

المخيخ :

ويتصل المخيخ بالنخاع المستطيل والقنطرة والمخ المتوسط وبواسطتها يتصل بالمخ والنخاع الشوكي .. وينحصر عمل المخيخ في : السيطرة على العضلات فيجعلها تحتفظ بنغمتها (Tone of the Muscles) أي تقلصها العادي الضروري كما يحفظ الاتزان عند الوقوف والمشي . فإذا اضطرب اتزان مقلة العين حصلت الرأرأة (Mystagmus) وإذا اضطرب اتزان عضلات المشي حصل التخلج (Ataxia) كما يقوم المخيخ باشعار الإنسان بمواضع جسمه المختلفة ومواضع أجزائه منه .. ولولاه لما انتظمت حركات الكلام ولأصبح الكلام على نغمة ووتيرة واحدة أو لأصبح الكلام متقطعاً ولأصبنا بصعوبة الكلام .

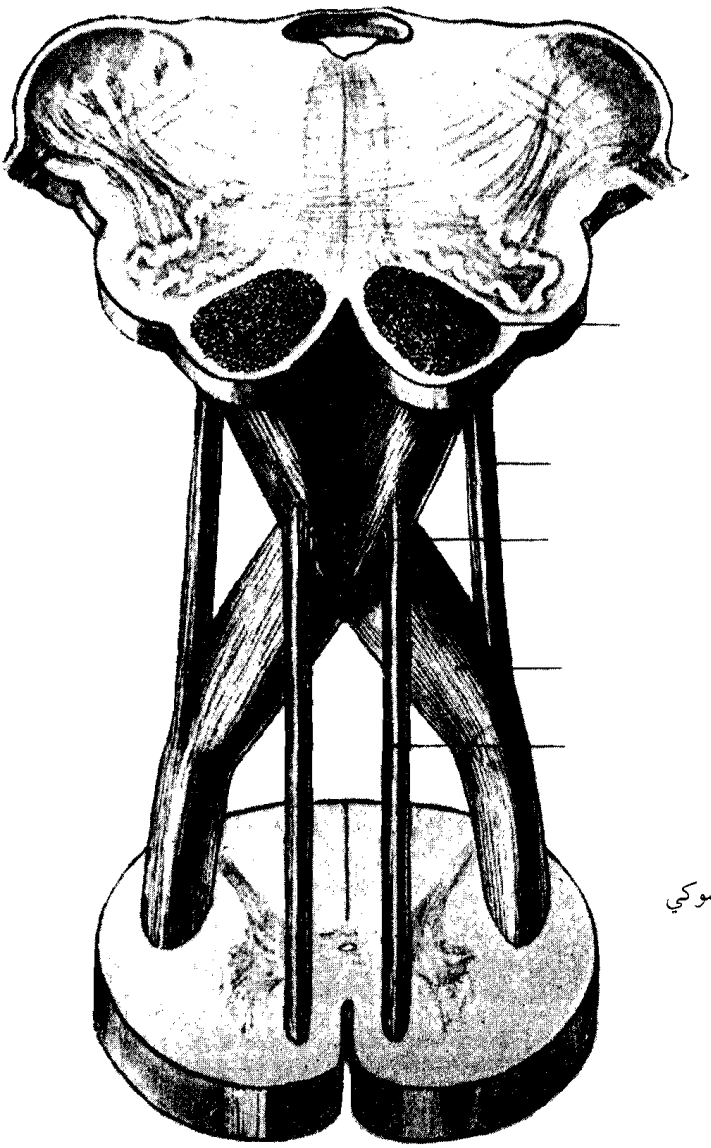

مقطع في النخاع المستطيل والنخاع الشوكي والمسار الهرمي
بينهما الذي ينقل أوامر الحركة من المخ إلى النخاع الشوكي

الفصل العاشر

الخمر والجهاز العصبي

إن أهم جهاز يقع تحت تأثيرات الخمر الضارة هو الجهاز العصبي والخمر تنتشر في الدم ومنه إلى كل الأنسجة . ولكن لها تأثير خاص على الجهاز العصبي المكون من مواد دهنية بروتينية ودهنية فوسفورية إذ للكحول خاصية الاتحاد مع المواد الدهنية بل إذابتها .

وتأثير الكحول على خلايا الجهاز العصبي هو تخديري وتثبيطي كما أسلفنا القول من قبل . وأول ما تتأثر هي خلايا القشرة من المخ أي الخلايا المسؤولة عن التفكير والارادة والحكمة والعلم .

والكحول من المواد التي تسبب الادمان . ونقصد بالادمان التعود النفسي والجسدي على عقار معين بحيث يؤدي سحب هذا العقار إلى ضرر نفسي وجسماني كما أن مفعول المادة المسببة للادمان يقل مع الزمن مما يؤدي بالمتعاطي إلى زيادة الكمية المتناولة باضطراد حتى يحصل على نفس الأثر الذي كان يحصل عليه . فمدمن الخمر يضطر إلى تعاطي كميات أكبر فالكأس تصبح كأسين وثلاثة . كما يضطر المدمن إلى تناول الكحول في فترات زمنية متقاربة فهو يضطر إلى الصبوح وهو أن يشرب الخمر مبكراً في الصباح ثم يضطر إلى تناول كمية أخرى أثناء العمل . ويسارع بعد الغداء إلى جرعة أو كأس كما أنه لا يطيق عنها صبراً في

المساء وهو الغبوق .. وتزداد الكمية تباعاً حتى لتحدث له نوبة سحبها أثناء نومه فيضطر إلى القيام من نومه ليعبّ كأساً أو كأسين .

وقد ارتفعت نسبة الادمان في الولايات المتحدة وأوروبا ارتفاعاً شديداً في العشر سنوات الماضية ففي الولايات المتحدة ارتفع عدد المدمنين من أربعة ملايين مدمن في أوائل الستينات إلى عشرة ملايين مدمن في أوائل السبعينات ـ أنظر المرجع الطبي لسيسل ولوب طبعة ١٩٧٢ .

(Cecil and Loeb
Text Book of Medicine 1972)

أما في بريطانيا فقد ارتفع عدد المدمنين من نصف مليون في أوائل الستينات إلى مليون في أوائل السبعينات .. كما ترتفع النسبة في أقطار أوروبا إلى ٨ في المائة من مجموع السكان وهي نسبة مرتفعة جداً فإذا كان مجموع السكان مائة مليون مثلاً فإن هنالك ثمانية ملايين مدمن خمر .. لا يطيق البعد عنها ولا يملك لنفسه أمراً ولا نهياً . وهو منقاد بقوى خفية تدفعه دفعاً إلى الشراب بشراهة دون أن يستطيع أن يكبح جماح نفسه ولو أدى به ذلك إلى الهلاك . وأمريكا وأوروبا منزعجة أشد الانزعاج لارتفاع نسبة الإدمان عاماً بعد عام .

كما ان المقبلين على الادمان على أكثر من عقار يزدادون باضطراد .. فمدمن الخمر يمكن أن يكون مدمناً على الأفيون والحشيش أو على عقار الهلوسة (L. S. D.).

وخلاصة الأمر أن موجة الادمان تزداد يوماً بعد يوم ويصحبها في نفس الوقت ارتفاع مفاجئ للأمراض التناسلية . فالسيلان (Gonorrhea) وصل الآن إلى أرقام خيالية وقد أصبح علاجه عسيراً بعد أن كان من أسهل الأمراض علاجاً . وذلك لتخلق بكتريا مضادة للمضادات الحيوية المعروفة . كما أن الزهري ابتدأ في الظهور مرة أخرى بعد أن كاد يندثر منذ ثلاثين عاماً .

(وقد تحدثنا في الفصل الثامن) عن الإدمان وأسبابه وكيفية علاجه .. وإنما ذكرناه هنا .. لارتباطه بالجهاز العصبي وبالمخ على وجه الخصوص . فالادمان لا يحصل إلا نتيجة الخمر على الجهاز العصبي وتأثيرها على مكونات الخلية العصبية : ابتداء من النواة التي هي مركز الخلية وانتهاء بالجسيمات الصغيرة الموجودة في بروتوبلازم ـ جبلة ـ الخلية .. ومنها الجسيم المدعو (Lysosome) أي الجسم المذيب وهو جسيم صغير جداً لا يبلغ الميكرون [والميكرون واحد على ألف من المليمتر أي واحد على مليون من المتر] . ووظيفته طرد المواد الغريبة وكنسها . ومنها الميتوكوندريا (Mitochondria) وهي جسيم صغير جداً ومسؤول عن تنفس الخلية وتحول السكر (الجلوكوز) إلى طاقة وماء عبر أربعين عملية كيماوية معقدة أشد التعقيد .. والميتوكوندريا تقاس بجزء من الميكرون ومنها الريبوزوم (Ribosome) وهو جسيم صغير ووظيفته هي صنع البروتينات الضرورية لاستمرار بقاء الخلية .

والخمر تؤثر على النواة وعلى هذه الجسيمات الهامة .. وتشاهد ـ تغييرات مرضية في النواة وفي الميتوكوندريا وفي الريبوزوم وفي الجسيم المذيب ـ لايزوزوم ـ

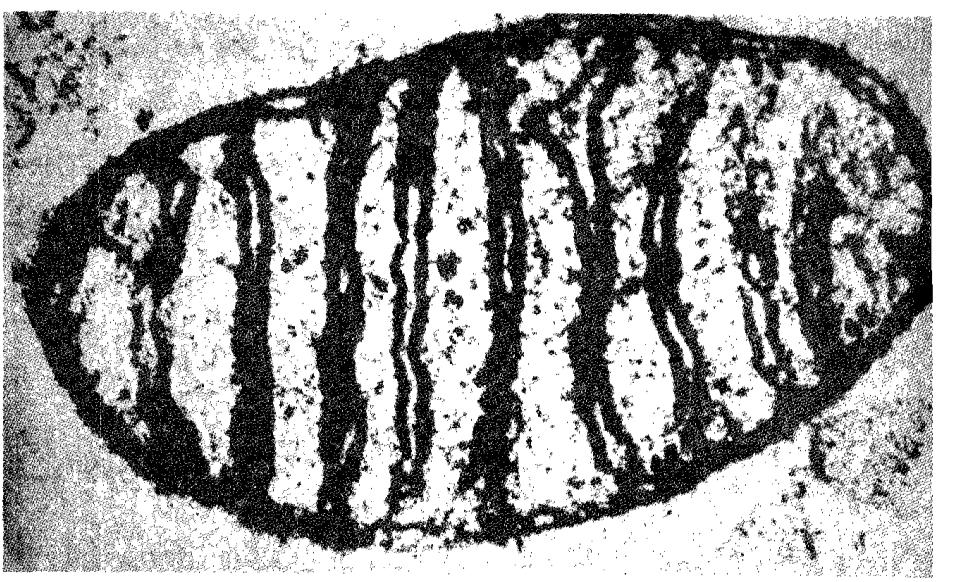

صورة لميتوكوندريا سليمة (قارنها بالصورة التالية)

ميتوكوندريا مدمن خمر
صورة ميتوكوندريا من خلية إنسان أدمن الخمر وبها يظهر أن الميتوكوندريا فقدت كثيراً من خصائصها وظهرت بها علامات المرض المؤدي إلى هلاكها . (الصورة مكبرة خمسة عشر ألف مرة بالمجهر الألكتروني)

نتيجة شرب الخمور .. وهذه التغييرات أمكن مشاهدتها بواسطة المجهر الاليكتروني .. ولم يكن قبل ذلك متيسراً لتناهيها في الصغر ـ أنظر صورة الخلية التوضيحية وصورة انفجار الجسم المذيب ثم أنظر صورة ميتوكوندريا أصيبت نتيجة شرب الخمر ـ وإذا أمعنا النظر في تأثيرات الكحول ـ الخمور ـ على الجهاز العصبي وجدناها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

ناتج عن آثار الكحول السمية المباشرة على الجهاز العصبي (Direct Toxic Effect) وتسبب ضموراً وحرضاً لخلايا المخ والقنطرة والمخيخ والعضلات .

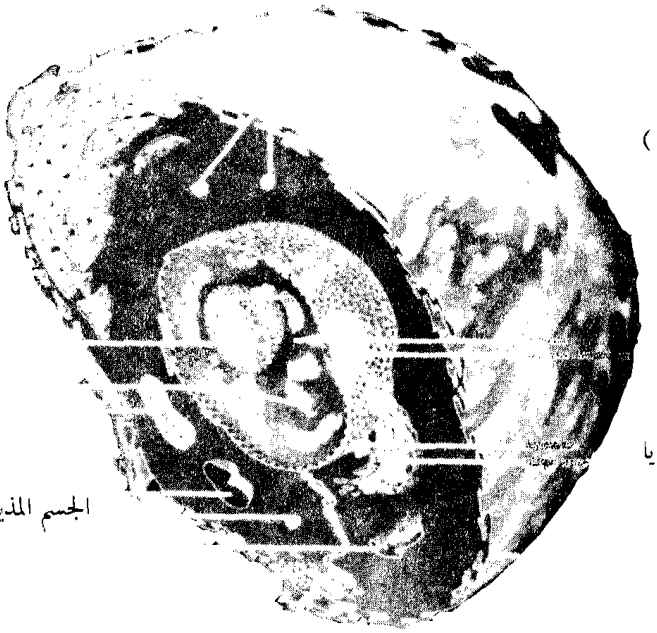

القسم الثاني :

وهذه تنتج عن التعود والادمان على الكحول وتسبب الهذيان الارتعاشي (Delerium Tremons) والصرع (Convulsions) والهلوسة (Hallucinations)

القسم الثالث :

وتنتج هذه الأمراض نتيجة نقص مجموعة فيتامين «ب» المركب وهي فيتامين ب١ ـ الثيامين (Thiamine) و ب ٦ ـ البيردوكسين (Pyridoxine) والنياسين (Niacine)

وهذا النقص ناتج عن شرب الخمور التي تؤدي إلى سوء التغذية المصاحبة للادمان وذلك لالتهاب جدار المعدة والأمعاء مع تكرر القيء وفقدان الشهية

صورة توضيحية لانفجار الجسم المذيب (لايزوزم)

وسوء الامتصاص من الأمعاء كما أن ـ مدمن الخمر لا يهتم بشراء الطعام الجيد لانشغاله بشرب الخمور وأحياناً كثيرة لفقده عمله ومصدر دخله نتيجة شربها .

وكذلك فإن الكحول مادة ذات سعر حراري عالي وتتطلب لأكسدتها فيتامين ب بكميات كبيرة .

والآن لنأخذ في شيء من التفصيل ونبدأ بالقسم الأول وهو ناتج عن الآثار السمية المباشرة للكحول على المخ .

أ ـ ضمور الخلايا (Cortical Atrophy)[1]

نجد أن خلايا القشرة من المخ (Cortex) التي تتحكم في التفكير والارادة ضامرة ومتآكلة .. ولعل كثيراً من آثار الكحول على الجهاز العصبي من هذا الخلل العضوي .

وتبدأ التغيرات في شخصية المدمن وأخلاقه فيصبح المدمن مهملاً أنانياً سريع الغضب متقلب المزاج . ويهمل عمله وأهله ونفسه وقد يمكث أياماً دون أن يأكل كما تبقى هيئته رثة ومزرية .

وتتراوح حالته النفسية من الفرح إلى الهياج إلى البكاء دون أي سبب ظاهر فتراه تارة يقهقه فتظنه سعيداً ولأتفه كلمة يثور ويخور ويقلب ألحانه على أم رأسها .. وفجأة يبكي ويعتذر .. وتصبح حالته الزوجية جحيماً لا يطاق فهو مهمل لبيته وزوجته وأطفاله .. وهو سريع الغضب يثور لأتفه سبب .. ويحطم كل شيء أمامه .. ويهين زوجته وأطفاله ويضربهم وتتولد لديه الاعتقادات الزائفة (Delusions) .. وتزداد حالة الشك والريبة في كل من حوله حتى تصل إلى حالة البارنويا (Paranoia) وخاصة فيما يتعلق بزوجته وأصدقائه ويتهم زوجته

---

(١) لقد نشرت أبحاث طبية حديثة تؤكد أن شرب الخمور ولو بدون إدمان يؤدي إلى نقص في القدرات العقلية ويؤدي في بعض الأحيان إلى البلاهة والعنة والقصور العقلي ونقص في الذكاء . وقد روي عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أنه قال : ما رأيت قط شخصاً فقد عقله ثم عاد مرة أخرى إلى كمال عقله . والأبحاث الطبية الحديثة جداً تؤكد ما ذهب إليه الخليفة الراشد الثالث من أن شارب الخمر ولو بدون إدمان يفقد شيئاً من قدراته العقلية حتى في حالات صحوه الكامل .

وأقاربه بارتكاب الفاحشة .. ويفقد قدرته الجنسية تماماً رغم ما يبذله من تهتك في هذا السبيل فهو يسهر في النوادي الليلية .. ويتظاهر بالقدرة الجنسية رغم فقده لها .. ويدخل في أطوار من الشذوذ الجنسي والسلوكي ..

وتتفكك نتيجة لذلك الأسرة ويمقته أطفاله بل ويمتلئون بالرعب من وجوده . وقد وصفت حالات كثيرة يختبئ فيها الأطفال عند سماعهم وقع أقدام أبيهم أو عند سماعهم صوته . لأنهم يجدون بالتجربة أن تلك هي أنجح وسيلة لتجنب ضربه وشتمه .

ولا تلبث عرى الأسرة أن تتفكك مهما حرصت الزوجة والأهل على إبقائها . فأما أن يطلقها زوجها أو أن تهرب هي من هذا الجحيم الذي لا يطاق ..

وقد عُرفت حالات كثيرة حيث يصرخ الزوج يومياً بأعلى صوته مطلقاً لزوجته بالثلاث . ومع هذا قد تستمر العشرة بينهما لفترة تطول وتقصر وما ندري على أي أساس تستمر .

ويصاب المدمَن بنوبات من الرعب والكآبة الشديدة والقلق وهي الحالة المعروفة باسم المناخوليا (السوداوية) (Melancholy) كما تكثر في المدمنين حالات الفصام الشخصي (الشيزوفرنيا) وهو مرض نفسي خطير يتلقى المريض فيه أوامر وهمية ويدور عراك وصراع في دماغه باستمرار ويضطر لتنفيذ هذه الأوامر مهما كانت سخيفة وغريبة لأنه لا يُملك لها دفعاً .. كما يشعر أن عقله وتفكيره بل وجسده واقع تحت تأثير قوى خارجية غريبة تفرض على تفكيره وعلى سمعه وبصره وجسده ما تريد . ويتفكك بذلك رباط الشخصية من المعرفة إلى الارادة إلى العاطفة .

وفي هذا المرض بالذات قد تكون معلومات الشخص عن الأشياء طبيعية ولكن شخصيته محطمة تماماً والارتباط بين المعرفة والعاطفة والارادة مفكك نهائياً .

وكثيراً ما تنتهي هذه الحالات بالانتحار .

وليس من شك أن هناك حالات من الفصام (الشيزوفرنيا) دون أن يكون لها علاقة بإدمان الخمور . ولكن الثابت الآن في الدوائر الطبية أن نسبة الاصابة بين المدمنين هي أعلى بكثير من نسبتها بين غير المدمنين وهذا وحده دليل كاف على أن هناك علاقة ما بين ادمان الخمور وبين الشيزوفرنيا .

وتكثر حالات الهلوسة الحادة عند المدمنين . وتشمل رؤية الأشباح وسماع أصوات موهومة وشم روائح غريبة لا وجود لها مطلقاً . بل ويحس المريض ويجزم أن هناك حشرات تجري تحت جلده .. كما تتأثر قدرة المريض على اللمس .

وباختصار فإن الإحساسات كلها تتأثر : السمع والبصر والشم والطعم واللمس . ومعظم هذه الأشباح تكون من النوع المرعب .. فتبدو له على هيئة أفاعي وعناكب وعقارب وسباع .

ويصاب مدمنو الخمر بارتعاش واختلاج في العضلات وخاصة عضلات اليدين واللسان والوجه وتكون هذه الارتعاشات لاارادية وفجة . وهي ناتجة عن اصابة للنويات القاعدية (Basal Ganglia) الغائرة في المخ تحت القشرة والمسؤولة عن تنظيم حركات العضلات ونغماتها . فإذا ما أصيبت هذه النويات أصيب المرء بنوع من الشلل الرعاش .

وكثيراً ما يصاب المدمن بحالة تعرف بجنون الشراب (Dipsomonia) وفي هذه الحالة يفقد الشخص جميع قدراته على التحكم في نفسه ويجد نفسه مدفوعاً بقوى قاهرة تدفعه دفعاً إلى المزيد من الشراب وكلما زاد في الشرب زاد السعير الذي يتأجج في داخله حتى يفقد الوعي ويدخل في غيبوبة عميقة قد يفيق منها وقد لا يفيق .

وتصل حالة كثير من المدمنين إلى **مرحلة الجنون الكحولي** :
(Alcoholic Psychosis and Dementia)

وفي هذه الحالة يفقد المدمن قدراته العقلية تماماً كما يفقد ذاكرته ويصاحب ذلك هياج شديد مع وجود الاعتقادات الباطلة (Delusions) ويصحب ذلك حالات هلوسة حادة .

ويكون المريض في هذه الحالة أشبه ما يكون بحالة السكران الذي وصل إلى مرحلة السكر البين وجاوزها إلى مرحلة السكر الطافح . ولكن الفرق بينهما أن حالة السكران مؤقتة يفيق بعدها بينما حالة المريض بالجنون الكحولي حالة دائمة .. وقد تستمر حتى لو توقف عن شرب الخمر .

فنجد أن تصرفات المريض شاذة جداً فهو مثلاً يتبول في وسط شارع عام أو يخلع ثيابه ، ويتعرى تماماً في وسط الزحام .. ويفقد قدراته العقلية بالتدريج فهو لا يميز الأشياء المعنوية أولاً ثم يفقد قدرته على التمييز بين الأشياء الحسية والمادية حتى يفقد قدرته على معرفة الأيام . بل وقدرته على معرفة المكان فتسأله أين أنت فلا يدري وتسأله في أي يوم أنت فلا يدري . كما يفقد قدرته على الحساب حتى ولو كان قبل ذلك يعمل في المحاسبة وتكون عمليات الطرح والجمع الحسابية البسيطة من أعقد العمليات وأعسرها لديه .. وتثير غضبه وهياجه .

ويفقد ذاكرته للحوادث الطريفة منها والتالدة على خلاف مرض آخر يدعى عصاب كورساكوف يصيب المدمنين أيضاً وفيه ـ أي عصاب كورساكوف ـ يفقد المريض ذاكرته للحوادث القريبة العهد بينما تكون ذاكرته للحوادث القديمة سليمة .. فهو قد يذكر بالدقة والتفصيل أموراً حدثت منذ أعوام طويلة .. ولا يذكر ما حدث في صبيحة يومه ذاك .. وتبقى لديه قدرة على التلفيق مما يبدو في صورة منطقية .. فهو قد يخبرك بأنه قد ذهب إلى السوق في صبيحة يومه ذاك وقابل فلاناً واشترى كذا وفعل ذاك بينما هو مشلول لا يستطيع حراكاً .. ومع هذا لا يدرك أنه يكذب .

أما في حالة الجنون الكحولي فيفقد قدرته على صياغة الأمور بصورة منطقية

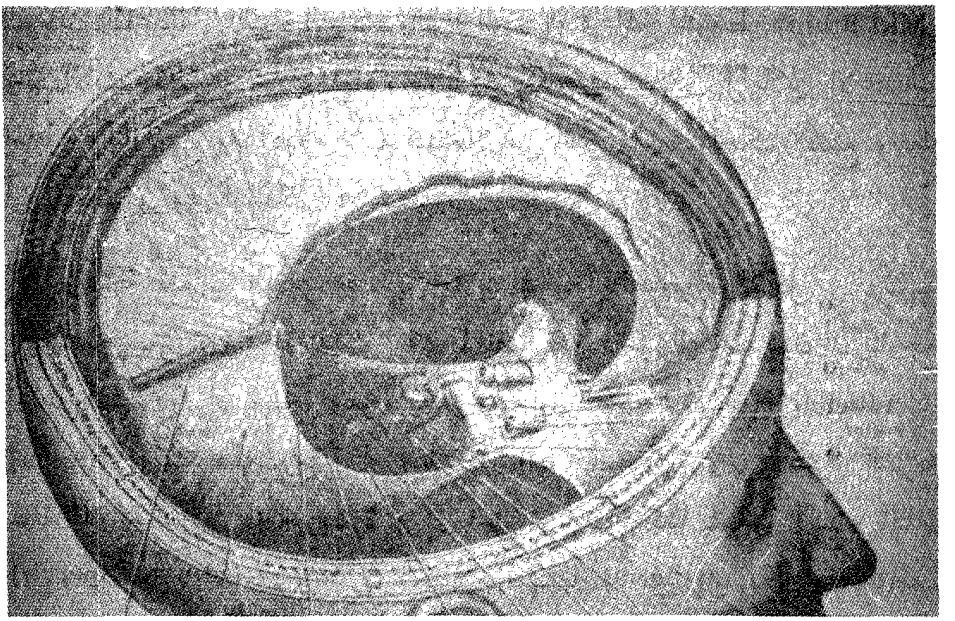

صورة للجمجمة والأعصاب المخية خارجة منها

البتة .. كما أنه يفقد ذاكرته للحوادث القديمة والقريبة العهد على السواء . وخلاصة الأمر ينتهي إلى حالة الجنون الكامل .

ب - ضمور خلايا المخيخ (Alcoholic Cerebellar Degeneration)

تصاب خلايا المخيخ بالضمور والتآكل والفساد . ومن المعلوم أن المخيخ هو الذي يتحكم مع العصب الدهليزي (Vestibular Nerve) في قدرة الشخص على الوقوف دون أن يتأرجح وقدرته على المشي دون أن يترنح وهما أيضاً مسؤولان عن قدرة الشخص على الثبات أثناء الحركة والالتفات فلا يقع إلى الأرض أثناء هذه الحركات . وذلك بواسطة مسارات عصبية عجيبة صاعدة من العضلات إلى النخاع الشوكي فالنخاع المستطيل فالمخيخ .. وهابطة من المخيخ إلى النخاع المستطيل فالنخاع الشوكي . مع اتصالات وتنظيمات وايقاعات متبادلة بينها وبين

النويات القاعدية .. النواة السوداء والنواة الحمراء في المخ المتوسط (Mid Brain) واتصالات مكثفة مع خلايا المهاد وخلايا قشرة المخ عبر ملايين بل بلايين الأعصاب الهابطة والنازلة .. والذاهبة والآتية فسبحان من أتقن وأبدع وأحكم الصنع وجعله آية الآيات .. وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

ونتيجة لشرب الخمر تصاب خلايا المخيخ بالضمور والتآكل .. وتنتهي بموتها وحرضها .. ونتيجة لذلك يفقد المريض قدرته على الوقوف دون أن يتأرجح أو على المشي دون أن يترنح . وهو ما يطلق عليه اسم التخلج المخيخي (Cerebellar Ataxia) كما تصاب مقلة العين بالرأرأة (Nystagmus) وهي الاهتزاز السريع لمقلة العين عند النظر يمنة ويسرة أو إلى أعلى أو أسفل كما يصاب الكلام بالتلعثم (Slurred Speech) ويكون الكلام مبهماً (Dysartheria) أو متقطعاً (Staccato Speech)

ونلاحظ هذه الحالات جميعها في السكر البين وهذه تحدث نتيجة التسمم الكحولي الحاد . وقد وصفنا حالة السكر البين عندما تحدثنا عن الكحول والأقرابازين ـ علم الأدوية . ولكننا هنا نشاهد شيئاً آخر .. فحالة السكران حالة مؤقتة يفيق بعدها ويعود إلى حالته الطبيعية أما هنا فالحالة مزمنة ونتيجة إصابة دائمة بخلايا المخيخ فخلايا بيركينجي للمخيخ (Purkingjee Cells) متآكلة كما أن خلايا الفص المتوسط من المخيخ (Vermis) ضامرة ومتآكلة كما أن النواة الزيتونية (Olivary Nucleus) الموجودة في النخاع المستطيل وذات العلاقة الوثيقة بالمخيخ تصاب هي الأخرى بالضمور والتآكل .. وتنتهي بحرصها وهلاكها .

جـ ـ مرض مارشيا فافا بيجنامي (Marchia Fava-Bignami)

وهو مرض نادر الحدوث وقد وصف لأول مرة في إيطاليا حيث يتعاطون النبيذ الأحمر الخام ويتميز هذا المرض بما يلي :

١ ـ اضطراب في العاطفة .
٢ ـ اضطراب في القدرات العقلية والمعلومات .
٣ ـ نوبات مختلفة من الهذيان .
٤ ـ نوبات الصرع .
٥ ـ تيبس في العضلات ثم شلل تام في الأطراف الأربعة أي العلويين والسفليين .

ويصاب معظم هؤلاء المرضى بالغيبوبة التامة خلال أشهر قلائل منذ بدء الأعراض ثم يتوفون دون أن يتمكن الطب من انقاذهم .

وعند تشريح جثة المصاب نجد ضموراً وتآكلاً في الغلاف الدهني النخاعي (Myeline Sheath) وخاصة للجسم المندمل بالمخ (Corpus Callosum) مع وجود فجوات في صلبه . وهذه التغيرات المرضية ـ الباثوليجية لم توصف إلا في حالات الاصابة بالادمان الكحولي . وتعتبر علامة تشريحية مميزة للتسمم الكحولي . كما تصاب المادة البيضاء (White Matter) لفصي المخ . وكذلك تحدث تغييرات مشابهة في التصالب البصري (Optic Chiasma) وفي فخذ المخ المتوسط (Central Pontine Myelinosis)

د ـ انحلال نخاع القنطرة الوسطى (Central Pontine Myelinosis)

وهذا مرض نادر الحدوث ولم يوصف في غير المدمنين .. وفيه ينحل نخاع القنطرة وهو مادة دهنية ويبدأ الانحلال من المركز في الوسط ثم ينتشر إلى الأطراف ويعاني المريض فية من شلل بالنصف الأسفل من الجسم كما قد يعاني من شلل بالنصف الأعلى .. وقد يشمل الشلل الوجه واللسان وعضلات البلع فيفقد المريض قدرته على بلع السوائل والطعام كما يفقد قدرته على النطق .

هـ ـ النوبات الدماغية الكبدية :

وهذه نوبات هذيان وارتعاش وفقدان للوعي تصيب المرضى المصابين بتليف الكبد (Liver Cirrhosis) .

ولما كانت الخمور من أهم أسباب التليف الكبدي وخاصة في أوروبا وأمريكا فإن فشل الكبد النهائي في وظيفته يؤدي إلى هذه النوبات الخطيرة المميتة .

وقد تحدث هذه النوبات حتى بعد التوقف عن شرب الخمور لأنها متعلقة بتليف الكبد وليست متعلقة بتأثير الخمر المباشر على المخ .

وتنتج هذه النوبات الدماغية الكبدية بسبب ازدياد المواد السامة بالدم ومرورها بالمخ بعد أن فشلت الكبد في وظيفتها وهي إزالة هذه السموم من الجسم . ومن هذه السموم مادة النشادر كما تتهم مواد أخرى سامة في تسبيب هذه النوبات .

ويقل النشاط الكهربائي للمخ فتقل موجات المخ من ١٣ موجة عند الشخص السوي إلى ثلاث أو أربع عند المصاب بنوبات الكبد الدماغية وتكون هـذه الموجات البطيئة علامة مميزة لبدء النوبة .

كما يصاب المريض بارتعاش فج في يديه وتكون هذه الارتعاشات شبيهة بحركة جناح الطائـر (Flappy Tremors) كما تكون الراحة محتقنة وتصاب أطراف الأصابع بالتضخم حتى تشبه رؤوس عصا غليظة (Clubbing of Fingers) ويكون الجلد مليئاً بالعناكب الدموية وهي عبارة عن تمدد الشعيرات الدموية الجلدية . كما تتضخم أثداء الرجل حتى ليشبه ثديه ثدي امرأة (Gynco Mastia) (أنظر الصورة) وتضمر خصيته ويقل شعر العانة وشعر الشارب والذقن أي تبدأ علامات الأنوثة في الرجل تظهر ، أما المرأة فيتوقف لديها الطمث (Ammenorrhea) وتفقد رغبتها في الجنس تماماً .

ويبدو المريض مختلاً سلوكياً رغم مرحه إلا أنه سرعان ما يفقد القدرة على التحكم في الموقف ، ويكون سريع الهياج والغضب ثم يفقد قدرته تدريجياً على

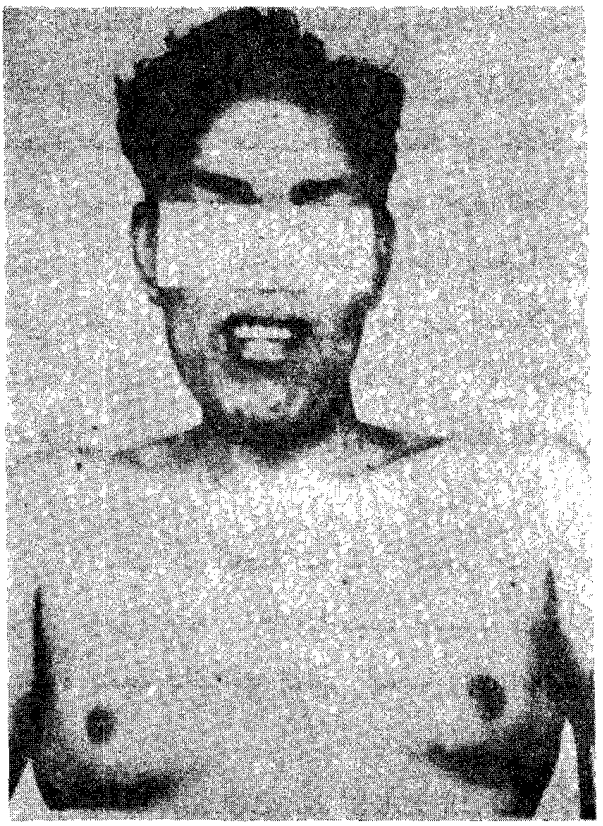

أنظر إلى أثداء هذا الرجل وقد تضخمت حتى صارت تشبه أثداء عذراء ، وكل ذلك نتيجة تليف للكبد وازدياد هرمونات الأنوثة في الرجل نتيجة شرب الخمور وتظهر علامات الأنوثة في الرجل فتضمر خصيته ويقل شعر العانة وشعر الشارب والذقن وتتضخم أثداؤه . وتقل رغبته الجنسية ويصاب بالعنّة ، بينما يتوهم الجهلة أن في الخمر قوة للناحية الجنسية .

التمييز والادراك ويقوم بأعمال شائنة وصبيانية وقد يتبول في الطريق ثم تزداد الرعشة ويدخل المريض في المرحلة الأخيرة في غيبوبة تامة . وكثيراً ما تحدث الوفيات أثناء هذه النوبة من الغيبوبة والاغماء .

و ـ اعتلال العضلات الكحولي (Alcoholic Myopathy)

إن العضلات هي المحطة الأخيرة التي تنتهي إليها أوامر الجهاز العصبي ان انقبضي فتنقبض أو انبسطي فتنبسط .. وهذه العضلات إما أن تكون ارادية أي واقعة تحت تأثير الإرادة وهي عضلات الأطراف والوجه والجذع وهي

التي بواسطتها نقوم بكل أعمالنا وحياتنا المريدة .. فالمشي والحركة والجلوس والقيام بل والاستلقاء . وبداية الأكل والشرب ونهايته بالاخراج كلها تحت سيطرة هذا الجهاز العجيب الذي يبدأ من خلايا بيتز بقشرة المخ فيرسل إشاراته الكهربائية الكيماوية بأسرع من سرعة البرق الخاطف إلى الخلايا العصبية الموجودة بالقرن الأمامي من النخاع الشوكي ماراً بالمخ المتوسط فالقنطرة فالنخاع المستطيل حتى ينتهي إلى الأعصاب الطرفية إلى العضلات ويصاب هذا الجهاز بأكمله نتيجة شرب الخمور فتكون الاصابة بالمخ والمخيخ المتوسط والقنطرة والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي والأعصاب الطرفية فالعضلات .

ولا شك أن العضلات تتأثر نتيجة اصابة هذا الجهاز العصبي لأن بقاءها مرتكز ومبني عليه .. فإذا أصيب أصيبت .. ولكن الخمر تصيبها أيضاً اصابة مباشرة نتيجة لتأثيرات الخمر السمية (Alcoholic Myopathy) .

وتصاب العضلات بعد نوبات الشرب بآلام حادة وتقلصات (كرامب) كما تنتفخ الأقدام نتيجة الاصابة باوديما (Oedema) كما تصاب ألياف العضلات بالحرض والهلاك (Muscle Fiber Necrosis) وهذا يسبب فقدان خضاب العضلات ونزوله في البول (Myoglobinuria) مما يسبب اصابة الأنابيب الكلوية وهلاكها .

وهذه وحدها كافية للقضاء على المريض في أيام قلائل إذا لم يكن العلاج مبكراً .

ولا تصاب العضلات الإرادية فقط وإنما تصاب العضلات غير الإرادية إيضاً وأهمها على الاطلاق عضلة القلب فتصاب ألياف عضلة القلب بانتفاخ أولاً لازدياد كمية المياه بها ثم تنتهي بالضمور (Muscle Atrophy) وتتحول العضلة إلى مجموعة من الألياف الميتة التي لا تنقبض ولا تؤدي وظيفتها وينتهي الأمر بهبوط القلب فالوفاة .

هذه العضلات البديعة التكوين تصاب بالاعتلال نتيجة شرب الخمور

تصاب عضلة مدمن الخمر بالاعتلال نتيجة التهاب الأعصاب الطرفي وكنتيجة لسمية الخمر

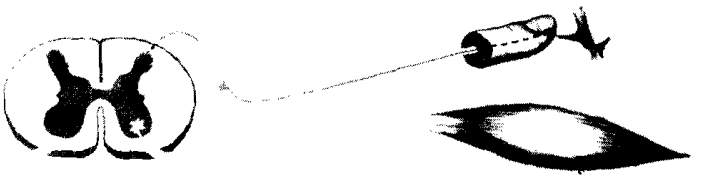

صورة لعضلة تتغذى بعصب حركي من القرن الأمامي بالنخاع الشوكي كما توضح أيضاً عصباً حسياً من أصبع . والفعل المنعكس .

القسم الثاني :

وهي مجموعة من أمراض الجهاز العصبي وتكون نتيجة لإدمان شرب الخمور . وليست ناتجة عن نقص الفيتامينات المصاحبة للإدمان . وهي ثلاثة :

١ ـ الهذيان الارتعاشي
٢ ـ الصرع
٣ ـ الهلوسة

١ ـ الهذيان الارتعاشي (Delerium Tremons)

وتظهر هذه الحالة الخطيرة عند مدمني الخمور في الحالات التالية :

أ ـ شرب كمية ضخمة من الخمور .

ب ـ بعد الاصابة بالالتهابات وخاصة الرئوية .

جـ ـ بعد اجراء عملية جراحية أو اصابة في حادثة لأحد مدمني الخمور ولذا ينبغي على الطبيب أن يدقق في سؤال المريض وأهله عما إذا كان يشرب

الخمور وكم هي الكمية المتعاطاة مهما كان المرض لا علاقة له بالخمور في ظاهر الأمر . فاصابة المريض المدمن في حادثة سيارة مثلاً يبدو أمراً لا علاقة له مباشرة بشرب الخمر .. ولكن ذلك قد يؤدي إلى حالة الهذيان الارتعاشي .

د ـ توقف مدمن الخمر فجأة عن شرب الخمور .

وتبدأ أعراض هذا المرض بازدياد القلق وفقدان الشهية مع الأرق ثم تظهر ارتعاشات واختلاجات فجة في اليدين واللسان والوجه . كما يتخيل المريض أشباحاً أو يسمع أصواتاً ليس لها وجود إلا في مخيلته كما يحس بحشرات وعناكب تجري تحت جلده . وقد يرى الثعابين وهي تزحف عليه .. كما يسمع جلبة حيوانات وفئران وحشرات مرعبة ويراها بعينيه فيصرخ فزعاً مرعوباً من هذه الأشباح .. فتأتي الممرضة أو الطبيب ويؤكدان له أن لا شيء هناك .. وهو واثق كل الثقة أنها أمامه .. فكيف يصدق قولهم بينما هو يرى بعينيه تلك الأفاعي ويسمع بأذنيه فحيحها .. كما أنه يشم تلك الروائح العفنة التي تزكم أنفه والكل يقسم أن ليس هناك روائح كريهة على الاطلاق . ثم تلك الطعوم الفجة البغيضة التي يقدمونها له مع طعامه .. إنها سموم ناقعة وهم يزعمون أنها غذاء جيد .. تباً لهم أي غذاء جيد ذلك الذي يزعمون .. يحضرون له أغذية من سم الأفاعي والعناكب ثم يزعمون انها لحم طير مما يشتهون .. تباً لهم وتعساً .

وهكذا يعيش المريض في رعب وأوهام وخيالات مرعبة .. وهي ما يطلق عليه حالات الهلوسة وقد جهد الطب في معرفة أسبابها ، فوجد بعض التعليلات وما زال أغلبها سراً كامناً لم يكشف عنه بعد . وقد اكتشف أن لهذه الحالة علاقة ما بالنوم .. وما كشف هو أن نوم المرء السوي يمر بمرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة النوم العميق وفيه تقل سرعة النبض وسرعة التنفس كما يقل ضغط الدم كما تقل أيضاً سرعة الموجات الكهربائية المنبعثة من المخ

من ثلاث عشرة موجة في الثانية في حالة اليقظة إلى ثلاث موجات عند النوم العميق كما يسجلها رسام المخ الكهربائي . وتستغرق هذه المرحلة ساعة ونصف ثم تتبعها المرحلة التالية :

المرحلة الثانية : وهي ما يسمى بنوم حركة العين السريعة (Rapid Eye) (Movement Sleep) وفيها حركة سريعة لمقلة العين وتستغرق هذه المرحلة من خمس إلى عشر دقائق فقط . ويسجل رسام المخ الكهربائي تغييراً ملحوظاً وزيادة في النشاط الكهربائي للمخ فتتحول تلك الموجات البطيئة في المرحلة السابقة إلى موجات سريعة على شكل موجات مغزلية وتبلغ سرعتها خمس عشرة موجة في الثانية .

ويكون التنفس سريعاً غير منتظم كما يزداد وجيب القلب وخفقانه على عكس ما كان عليه في مرحلة النوم العميق .. وترتخي العضلات ارتخاء شديداً . وبايقاظ الشخص في هذه الحالة يتبين أنه يحلم .. وتتكرر هذه الحالة كل ليلة من ٤ ـ ٦ مرات . وإذا تكرر إيقاظ الشخص في هذه المرحلة فانه قد يكرر ذلك النوم إلى عشرين مرة في الليلة الواحدة .. ولا يشعر الشخص بأنه قد أخذ حاجته من النوم إلا إذا دخل في مرحلة نوم حركة العين السريعة . أما إذا كان نومه خالياً من هذه المرحلة فانه يصبح متعباً ولا يشعر بأنه قد أخذ حظه من النوم .

وقد وجد أن بعض العقاقير التي تسبب الادمان مثل الكحول والباربيتورات تؤدي إلى انعدام نوم حركة العين السريعة وهو النوم الضروري للإنسان . فإذا ما سحب العقار أدى ذلك إلى حركة عكسية وهي أن يكون نوم الشخص كله في مرحلة نوم حركة العين السريعة . ولما كانت يقظة المدمن فترات قصيرة تتخللها نوبات نوم حركة العين السريعة التي تحصل فيها الأحلام اختلطت على المدمن الأحلام بالواقع . ورأى الأحلام المزعجة والكوابيس المرعبة وكأنها حقيقة . وهو لذلك يرى الأفاعي والعناكب والحشرات تزحف عليه ويسمع الأصوات المخيفة كما يشم الروائح الكريهة ويطعم الطعوم الغريبة المزعجة ولا يشك في

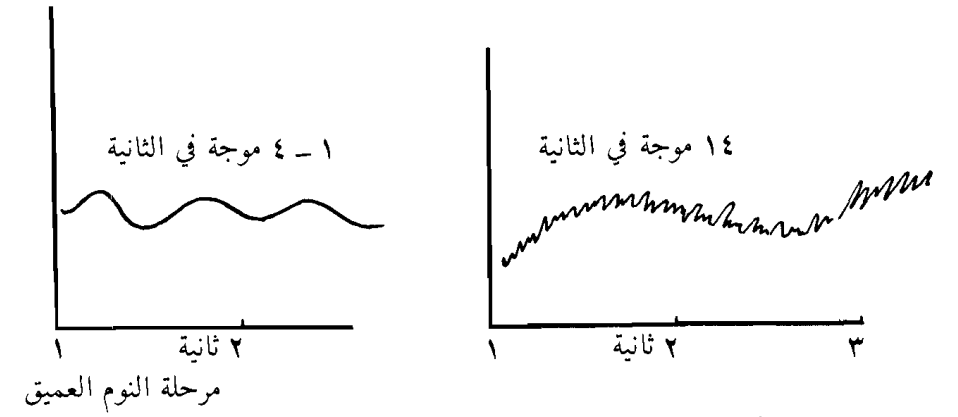

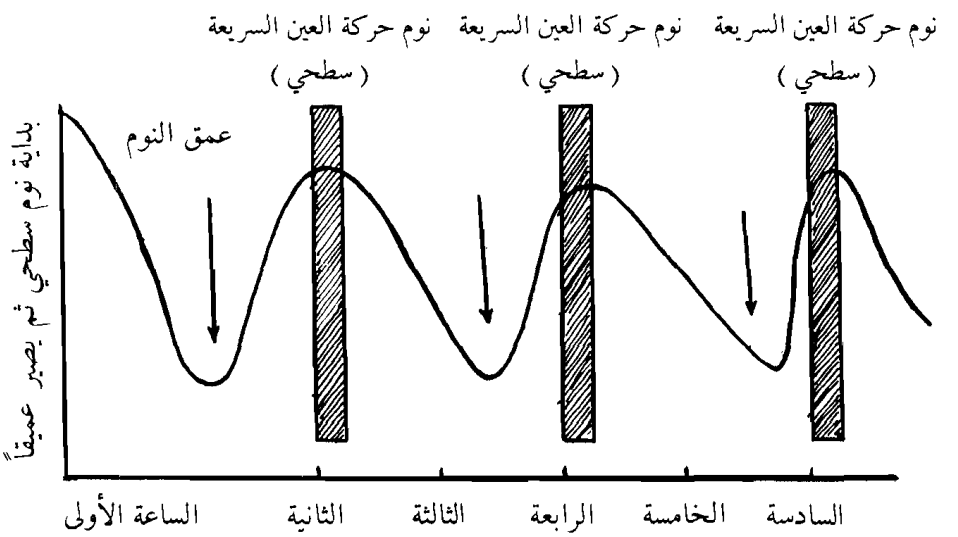

أن تلك الرؤى هي حقائق إذ كيف تقنع من يرى بعينيه ويسمع بأذنيه أن ما يراه ليس إلا كابوساً .

وهكذا تتحول حياة هذا البائس إلى سلسلة من الكوابيس المرعبة فيصرخ ويتشنج ويتهم من حوله بتدبير المؤامرات لقتله أو يتهم زوجته بالخيانة الزوجية كما يتهم أقاربه وأصدقاءه بفعل الفاحشة معها .. وهذا ما يعرف باسم الاعتقادات

الزائفة (Delusions) . وتختلط عليه الاعتقادات الزائفة بالهلوسة .. فقد يرى أشخاصاً يهاجمونه أو يدبرون له مكيدة فيقوم هو بالدفاع عن نفسه فيهاجم الطبيب أو الممرضة وإذا وصلت إلى يده آلة حادة فقد يؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة .. ويصاب بالشك الشديد في كل من حوله وهي الحالة المعروفة باسم البارانويا (Paranoid Ideation) . ويصاب المريض بالخلل المشين في تقديره للمكان والزمان وتقدير المواقف كما أن حالات الرعب والقلق والكآبة تؤدي إلى الحالة المزاجية السوداوية (المناخوليا Melancholy) .. وخلاصة القول تتحول حياته إلى جحيم لا يطاق .

ولكأنما لا يكفيه كل هذا العذاب الذي يصب عليه صباً فيضاف إليه حالات الصرع والتشنج .. وتنتابه حركات عنيفة لاارادية ينتفض لها جسده كله مع فقدان الوعي .. فتنقبض عضلات جسمه انقباضاً شديداً حتى ما يستطيع أن يخرج نـفسه وتطبق عليه أطباقاً مخيفاً رهيباً فيزرق لون جلده ويعض لسانه ويخر مغشياً عليه إلى الأرض . وهذه المرحلة تعرف بالمرحلة المنقبضة (Tonic Phase) ثم تتبعها اختلاجات وتشنجات سريعة . وهي عبارة عن تقلصات سريعة للعضلات يتبعها ارتخاء لفترة ثوانٍ ثم يعود الانقباض فالانبساط ويرتجف المريض من جرائها ويهتز جسمه كله اهتزازاً مرعباً مخيفاً .. ويظهر الزبد من فمه . ولكأنما هناك ألف يد خفية تهزه هزاً عميقاً في كل ثانية وتقذف بكل عضلة فيه حتى تدفع البول والغائط من مخارجه دفعاً .. كل ذلك وهو مغشي عليه تماماً .

أنظر إلى الصورة المرعبة المخيفة ثم استمع بعد ذلك إلى تحليلات الأطباء يفسرون لك كيف تستطيع الخمر أن تقوم بهذه الأعمال الرهيبة التي تحتاج إلى قوة ألف حصان لفعلها .. والطب يقول إن هناك مادة يكونها الجسم تمنع الاختلاجات والانقباضات والارتعاشات تدعى مادة جابا وهي مادة مكونة من حامض أميني وفيتامين البيرودوكسين بالمعادلة التالية :

حامض أميني (جلوتاميك) + فيتامين البيرودكسين = جابا

ولهذه المادة خاصية عجيبة في منع الاختلاجات والصرع . فماذا تفعل الخمر ؟ إنها تقوم بمنع صنع هذه المادة الهامة .. ونتيجة لذلك يزداد هياج خلايا المخ ويضطرب نشاطها الكهربائي فتحدث نوبات الصرع التي ذكرناها. وأشهر الخمور المسببة لهذه الحالة هو خمر الروم (Rum) وهو خمر يشبه العرق الموجود في كثير من البلاد العربية . وقد سميت هذه النوبات المخيفة بنوبات الروم وهناك خمر أخرى تدعى الابسنث تسبب الصرع بخاصية أخرى إذ بها مادة سامة تدعى ثيوجون (Thujone) تهيج خلايا المخ وتزيد من نشاطها الكهربائي وتحوله إلى حالة صرع مرعب مخيف .

ولا تكتفي الخمر بفعل هذه الأفاعيل بذلك البائس التعيس المصاب بحالة الهذيان الارتعاشي وانما تضيف إلى ذلك ارتفاع شديد بالحرارة حتى تصل إلى ١٠٥° فهرنهيت . كما يفقد جسم ذلك البائس قدرته على مقاومة الميكروبات والفطريات الغازية فتهجم عليه وتجده فريسة سهلة .

وكأنما هذه المصائب تنحدر إليه من كل حدب وصوب .. فتصاب الكلي ويكثر الزلال في البول .. وتضطرب سوائل الجسم وموادها مثل الصوديوم والبوتاسيوم والبيكربونات .. وترتفع حموضة الدم إلى درجة قاتلة .. ثم تأتي ثالثة الأثافي فتصيب القلب .. فتتمدد عضلة القلب وتنتهي سريعاً بوهط القلب وهبوطه فالوفاة ..

ولذا فإن علاج حالات الهذيان الارتعاشي تتطلب جهداً هائلاً وتخصصاً دقيقاً في كيفية معالجته .. ولذا وجدت مستشفيات خاصة في أوروبا وأمريكا لمعالجة حالات الادمان وما يتبعها من مضاعفات خطيرة .. ومع هذا التخصص الدقيق ورغم وجود الامكانيات الهائلة والتقنية الحديثة فان من ينقذون من براثن هذا الوحش الضاري ليسوا إلا نسبة ضئيلة ممن يقعون فريسة له ويتلخص العلاج في الملاحظة الدقيقة لمستوى الأملاح والشوارد والماء في الدم وتعويضها باستمرار . وملاحظة مستوى السكر في الدم ومعالجة أي هبوط مع اعطاء المريض جرعات

صورة لمدمن أصيب بالصرع كما يحدث في نوبات (الروم) (Tum Fits) أو النوبات الناتجة عن خمر الأبسنث التي بها مادة الثوجون التي تسبب الصرع

كافية من فيتامين ب المركب وخاصة ب١ مع العقاقير المضادة للتشنج مثل الهيمينفرين (Heminevrin)

ولذا فمن الواضح جداً أنه من الأسلم في كل حال الابتعاد عن براثن هذا الوحش الضاري .. بل الحق اننا نظلم الوحش حين نشبهه بالخمر وما تفعله .. فلن تستطيع وحوش الأرض كلها أن تقوم بمثل هذا التعذيب الرهيب لأولئك البؤساء الذين يقعون فريسة لها .

القسم الثالث :

وهي مجموعة من الأمراض التي تصيب الجهاز العصبي بسبب ادمان شرب الخمور ونتيجة لنقص فيتامينات ب أو ب ٦ والنياسين . والخمور تسبب نقص الفيتامينات للأسباب التالية :

(١) سوء التغذية المصاحبة للادمان . فالمدمن في العادة لا يهتم بشراء الطعام وقد لا يملك القدرة على شرائه وإذا وجد لديه الطعام الجيد فالشهية مفقودة فإذا أرغم نفسه على ازدراد الطعام فان التهاب جدار المعدة الناتج عن شرب الخمور كفيل بقيئه وطرده من المعدة .. فإذا أرغم على البقاء فإنه يمر بدون هضم ولا امتصاص من الأمعاء .. وهكذا يفقد الطعام حتى لو أرغم المدمن نفسه على أخذ الطعام بدون رغبة فيه .

(٢) إن الكحول مادة ذات سعر حراري عالٍ وتحتاج لأكسدتها كميات كبيرة من فيتامين ب ١ . وبالتالي يؤدي ذلك إلى نقص هذا الفيتامين إذ أن الجسم يستهلك منه بوجود الكحول أضعاف الكمية المستهلكة منه عند عدم وجود الكحول في الجسم .

ويؤدي نقص هذه الفيتامينات إلى أمراض الجهاز العصبي التالية :

(١) التهاب الأعصاب المتعدد .

(٢) مرض فيرنيكيه الدماغي .

(٣) مرض البلاجرا .

(٤) عصاب كورساكوف .

(٥) التهاب عصب العين المؤدي إلى العمى .

ولنبدأ بشرح موجز لكل واحد من هذه الأمراض الوبيلة التي تسببها الخمر :

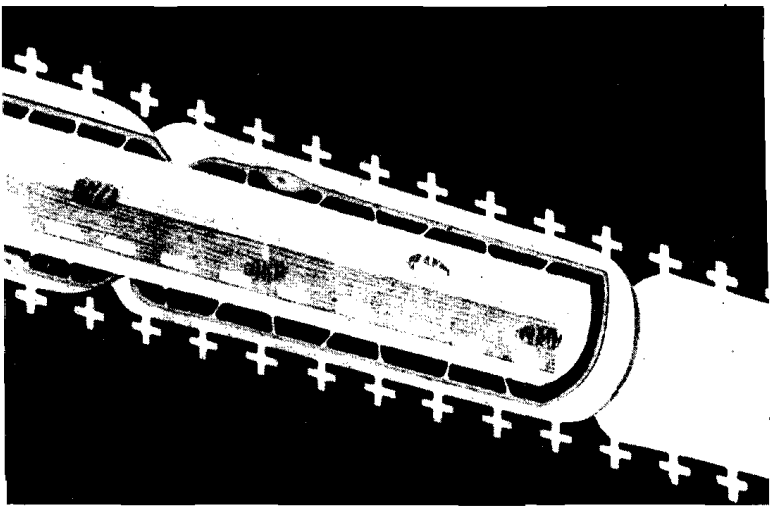

صورة توضيحية لعصب وعليه تظهر الشحنات الكهربائية الموجبة خارج سطحه والسالبة داخل غشائه . وبواسطة هذه الشحنات الكهربائية والكيمياء تنتقل الإشارات من المخ إلى العضلات والأحاسيس من الجلد الى المخ .

١ ـ التهاب الأعصاب المتعدد :

قد تحدثنا بإيجاز عن الأعصاب في مقدمة الحديث عن الجهاز العصبي وقلنا إن هناك اثني عشر عصباً من كل جهة تخرج من المخ وهي المسماة بالأعصاب المخية .. وان هناك ثلاثة وثلاثين عصباً شوكياً من كل جهة (اليمنى واليسرى) تخرج من النخاع الشوكي كما أن هناك مجموعة من الأعصاب اللاارادية وهي المجموعة التعاطفية والمجموعة نظير التعاطفية .

وإذا نظرنا إلى عصب من هذه الأعصاب نجده يخرج من خلية عصبية إما في المخ أو في النخاع الشوكي .. وله محور اسطواني (Axis Cylinder) وغلاف دهني نخاعي (Myeline Sheath) (أنظر الصورة) .

وتصدر الأوامر من المخ من خلايا بيتز وتسير في مسارات عجيبة رائعة حتى تصل إلى الخلايا الموجودة بالقرن الأمامي من النخاع الشوكي .. ومن هناك تخرج

الأعصاب وترسل الأوامر إلى العضلات فتنقبض .. كما تذهب الأحاسيس في أعصاب أخرى حتى تصل إلى النخاع الشوكي ومنه في مسارات بديعة متناسقة حتى تصل إلى المخ حيث الادراك والرؤية .

وما تفعله الخمر في هذه الأعصاب هو تحلل في محاورها الأسطوانية ، وهذه المحاور هي الأعصاب ذاتها ، وهي التي تنقل الإشارات الكهربائية والأوامر من الخلايا إلى العضلات وتنقل الأحاسيس من الجلد والجسم إلى خلايا الجهاز العصبي .

ويؤدي التهاب المحور الأسطواني وتآكله إلى التحلل الصبغي في الخلية العصبية التي يتفرع منها العصب .. وينتهي ذلك بموت الخلية العصبية وبذلك لا يمكن شفاء ذلك العصب ..

ولذا فان ما تفعله الخمر في الأعصاب أشد مما تفعله كثير من الأمراض الأخرى إذ يكون التهاب الأعصاب مقصوراً على الغلاف الدهني(Myleine Sheath) دون المحور الاسطواني وهو التحلل المشهور بتحلل فالاريان (Wallerian Degeneration) في الأمراض الأخرى ولذا يعود العصب إلى سابق حالته بعد

صورة ليدين أصيبتا بالتهاب الأعصاب المتعدد مما أدى إلى شلل طرفي وعدم إحساس اليدين حتى بالنار . وترى باليد اليمنى حروقاً ناتجة عن سيجارة مشتعلة دون أن يحس بها المريض ، كما ترى شلل اليدين وعدم قدرة المريض على استعمالها .

شفائه .. أما التهاب الأعصاب الناتج عن شرب الخمر فان اصابته قد تكون بالغة ومميتة للعصب نفسه فلا يبرأ حتى بعد التوقف عن الشراب .. وإن كان البرء والشفاء هو الغالب عند التوقف عن الشراب وأخذ كميات كبيرة من فيتامين ب١ .

ولا تقتصر الاصابة على الأعصاب الشوكية التي تغذي الطرفين العلويين والسفليين (أي الكتفين والعضدين والذراعين واليدين والفخذين والساقين والقدمين) بل تشمل الأعصاب المخية وأهمها إصابة العصب الوجهي المزدوجة فيصاب العصب الوجهي (العصب المخي السابع) من الجهتين اليمنى واليسرى وهذا أمر نادر الحدوث إلا في حالات الادمان الكحولي . كما تصاب الأعصاب المغذية لعضلات العين ويؤدي ذلك إلى الرؤية المزدوجة (Diplopia) حيث يرى المريض الشخص شخصين ، والقلم قلمين وهكذا مما يسبب ضيقاً وحرجاً شديدين للمريض . وأكثر أعصاب عضلات العين اصابة هو العصب المخي السادس (العصب المبعد) وتكون الاصابة به أيضاً مزدوجة . وكلما التفت المريض يمنة ويسرة اضطربت الرؤية ورأى الشيء شيئين وتسبب ذلك في صداع وضيق .

ولا تكتفي الخمر باصابة الأعصاب الشوكية والأعصاب المخية وانما تصيب أيضاً أعصاب الجهاز اللاارادي : التعاطفي (Sympathatic) ونظير التعاطفي (Para Sympathatic) . وقد أسلفنا القول في أهمية هذا الجهاز وكيف يسيطر على نبضات القلب وضغط الدم وعمليات الهضم والتنفس والاخراج والجهاز التناسلي .

ونلاحظ اصابة هذا الجهاز بالأعراض التالية : ازدياد وجيب القلب وخفقاته واضطراب نظمه كما يقل ضغط الدم عند الوقوف بحيث يؤدي ذلك إلى الشعور بالدوخة والدوار والتي قد تصل من شدتها إلى الغيبوبة .

كما يضطرب الجهاز الهضمي نتيجة لاصابة الأعصاب اللاارادية . ولشرب الخمور وتأثيرها المباشر على الجهاز الهضمي .

ويفقد المريض قدراته الجنسية ويصاب بالعنة وذلك نتيجة لاصابة الأعصاب التعاطفية ونظير التعاطفية المغذية للجهاز التناسلي .

شلل العصب المخي الثالث (العين اليسرى) حيث لا يستطيع أن يحرك عينيه وتتسع حدقة العين ويسقط الجفن العلوي فلا يستطيع رفعه .

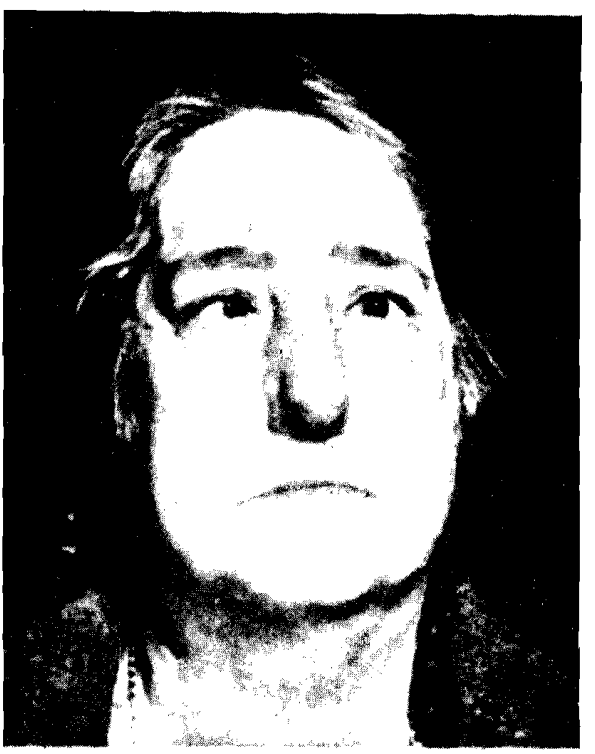

شلل العصب المخي السادس (العين اليسرى) حيث لا تستطيع المريضة أن تنظر الى الجهة اليسرى (الوحشية)

شلل العصب اليمنى السابع (العصب الوجهي) حيث لا يستطيع المريض أن يحرك عضلات الفم في الجهة المصابة .

وهكذا تفعل الخمر بهذا البائس ما يلي :

أ ـ شلل في الأطراف : يبدأ من اليدين والقدمين ويزحف على الساعدين والساقين حتى يصل إلى الذراعين والفخذين . ويكون فقد الاحساسات أشد من ضمور العضلات فلا يشعر المريض بالحرارة والبرودة ولا حتى بوخز الأبر . كما أنه لا يستطيع الوقوف أو المشي إلا بصعوبة بالغة وذلك لفقدان الاحساسات المنبعثة من العضلات . ولذا ترى المريض يرفع رجله إلى أعلى ويقذفها قذفاً إلى القاع عند المشي .. ويترنح في مشيته .. وذلك ما يدعى بالتخلج الاحساسي (Sensory Ataxia) تمييزاً له عن التخلج المخيخي الذي ذكرناه من قبل والذي يصيب المدمنين أيضاً .

ب ـ شلل في بعض الأعصاب المخية : مثل العصب المخي الثالث المغذي لعضلات العين أو العصب المخي السادس المغذي للعضلة الوحشية لمقلة العين أو العصب المخي السابع المغذي لعضلات الوجه (أنظر الصور) .

جـ ـ شلل الأعصاب اللاارادية : التي تؤدي إلى اضطراب الجهاز الهضمي وإلى هبوط ضغط الدم عند الوقوف وإلى فقدان القدرة الجنسية وإلى اضطراب النبض ووجيب القلب وخفقانه .

٢ ـ مرض فيرنيكيه الدماغي :

وهو مرض خطير وناتج عن نقص فيتامين ب المركب وعلى وجه الخصوص فيتامين ب١ . وتكثر الاصابة في المدمنين للأسباب التي شرحناها من قبل .

وتكون الاصابة في المخ الأوسط (Mid Brain).

وحوالي القناة (Periaquiduct) في المادة السنجابية (الرمادية) في المخ الأوسط أي في المناطق التي يخرج منها العصب المخي الثالث الرابع اللذان يغذيان عضلات العين . وينتج عن اصابتهما شلل في عضلات العين مما يسبب الرؤية المزدوجة كما أن بالمخ المتوسط منطقة مسؤولة عن اليقظة فإذا أصيبت نتج عن ذلك خمول وبلادة ونوم وما هو بنوم ولكنه شبيه به .. كما أن الجسم والأطراف كلها تصاب بالشلل ولكنه لا يكون على وتيرة واحدة وانما يقل ويزداد من يوم إلى آخر . كما يصحب ذلك بعض الاضطرابات العقلية والنفسية كعصاب كورساكوف .

٣ ـ عصاب كورساكوف :

وهو مرض نفسي أول ما لوحظ في مدمني الخمور . ويفقد المريض فيه ذاكرته للحوادث القريبة العهد بينما يحتفظ بذاكرته للحوادث المتقادمة . ويقوم المريض بوصف وقائع وهمية وحوادث خيالية ويجزم هو بوقوعها مع اعتقاد لا يتزعزع بصحة خيالاته . فيجزم المريض مثلاً بأنه خرج إلى السوق واشترى كذا وكذا وقابل فلاناً وفلاناً .. بينما هو مشلول لا يستطيع أن يحرك عضلة ساقه .

٤ ـ التهاب عصب العين المؤدي إلى العمى :

ويحدث هذا عند مدمني الكحول كما يحدث أيضاً نتيجة التدخين مع شرب الكحول . وكلا العادتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً فنادراً ما تجد شخصاً يشرب الخمر دون أن يدخن . وتتعاون المادتان السامتان في الكحول والتبغ على احداث العمى .. وخاصة مع وجود نقص في مجموعة ب المركب . كما أن الكحول المثيلي له صيت ذائع في احداث العمى بمجرد شربه ولو لمرات قليلة . وقد كثرت الاصابة به في الولايات المتحدة عندما منعت الخمر . كما أن الاصابة به غير شديدة الندرة في البلاد العربية حيث تشرب الخمور الرديئة سراً . وحيث لا توجد حملات توضح أضرار الخمور وعواقبها الوخيمة .

٥ ـ مرض البلاجرا :

وهو مرض خطير ينتج عن نقص مجموعة فيتامين ب المركب وخاصة فيتامين النياسين . ويكثر في البلاد التي تعتمد على الذرة كمصدر غذائي أساسي دون القمح كما يظهر بين مدمني الخمور لاصابتهم بنقص غذائي في الفيتامينات المذكورة .

وينتج عنه اصابة جلدية تكون في الأجزاء المعرضة للشمس مثل الوجه وصفحة العنق واليدين والساقين والأقدام . ويزداد الالتهاب في أماكن الارتفاق كالمرفقين

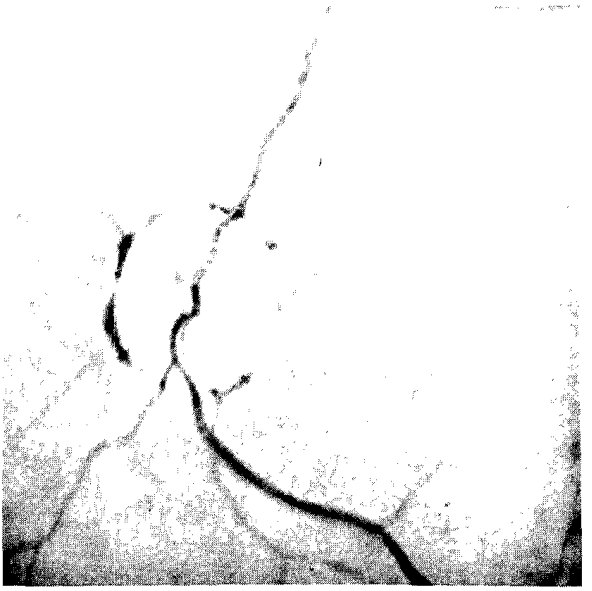

صورة لالتهاب عصب العين
المؤدي إلى العمى نتيجة شرب الخمر

والركبتين .. ويكون ذلك مصحوباً باسهال شديد والتهاب باللسان مع حمرة شديدة . كما يصاب الجهاز العصبي اصابات بالغة كما يلي :

أ ـ المخ : فساد وتآكل في خلايا قشرة المخ تؤدي إلى الجنون .

ب ـ النخاع الشوكي : ويصاب المسار الهرمي (Pyramidal Tract) وهو الذي يحمل اشارات الحركة من الخلايا المخية العليا إلى خلايا القرن الأمامي في النخاع الشوكي . وينتج عن ذلك الشلل للأطراف من نوع الشلل الأعلى الحركي . وهو شلل للأطراف غير مصحوب بضمور العضلات مع تيبس وزيادة في الأفعال الانعكاسية . كما ان المسارات التي تحمل الأحاسيس من الأطراف إلى المخ تصاب أيضاً وخاصة تلك التي تحمل الأحاسيس من العضلات والصفاقات وهي التي تدلنا على مواقع أقدامنا .

جـ ـ التهاب الأعصاب المتعدد : ويصيب الأعصاب الطرفية فتشل اليدين، والقدمين ثم يزحف الشلل فيصيب الساعدين فالذراعين في الأطراف العليا ويزحف في الأطراف السفلى من القدمين إلى الساقين فالفخذين .

صورة لذراع وساعد تظهر جفاف الجلد وتشققاته نتيجة الإصابة بمرض البلاجرا الذي يكثر في مدمني الخمر .

وتشفى هذه الحالة إذا أعطي المريض جرعات كافية من فيتامين الينـاسين (حامض الينكتونيك) مع كميات وافرة من الحليب (اللبن) الذي يحتوي على بروتينات خاصة تضاد مرض البلاجرا . وهو الحامض الأميني ترتبوفان . وهكذا نرى اللبن دائماً على طرفي نقيض مع الخمر في كل شيء . فالخمر تهيج أغشية المعدة وتسبب التهاباً لها واللبن (الحليب) على النقيض من ذلك يهدئ من التهاب أغشية المعدة ويستعمل كعلاج نافع لالتهاباتها وقرحها . واللبن يشفي من مرض البلاجرا والخمر تسببها ، بل وان اللبن إذا شرب قبل تناول الخمور أعاق من امتصاصها . ولا غرو فقد اختاره الرسول صلوات الله عليه حين أسرى به وترك الخمر حين قدمت إليه ، فتناول اللبن وشرب منه . واللبن كله فوائد والخمر كلها مضار . فسبحان من خلق الأشياء وأودع فيها صفاتها وخصائصها .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الحادي عشر

إصابات الجهاز العصبي الناتجة عن حوادث تقع بسبب تناول الخمور

إن شارب الخمر معرض باستمرار للسقوط مغشياً عليه ولإصابة الجمجمة والجهاز العصبي نتيجة لذلك .

كما إن شارب الخمر يفقد اتزانه وكثيراً ما يقع ويتدحرج أثناء نزوله أو صعوده السلالم كما أن كثيراً من المعارك تدور في الحانات . وحدث ولا حرج عن حوادث السيارات الناتجة عن فقدان الشارب لقدراته وملكاته في التحكم .

ولن نستطيع الحديث عن جميع الاصابات التي تحدث لهؤلاء فانها تحتاج إلى كتاب كامل بل إلى عدة كتب وتشمل معظم جراحة العظام . وجراحة الأعصاب كما تشمل جزءاً من جراحة الجهاز الهضمي والجهاز الدوري . وباختصار يشمل ذلك عدة تخصصات ولسنا نحن بصددها هنا .

ولكننا سنذكر بايجاز شديد آثار هذه الحوادث على الجهاز العصبي حتى نستكمل هذا الباب .

وهو باب الخمرة والجهاز العصبي .

وسنناقش ذلك تحت العناوين التالية :

١ ـ ارتجاج المخ .

٢ ـ انضغاط المخ .

نزف تحت الملحمة بالعين اليسرى نتيجة وجود نزف وتهتك بالمخ كما يحدث في الحوادث التي تكثر عند شاربي الخمر .

١ ـ نزف خارج الأم الجافة .
٢ ـ نزف تحت الأم الجافة .
٣ ـ نزف بالمخ .
٤ ـ كسور الجمجمة وتهتكات المخ وتمزقاته .

٣ ـ اصابات بالعمود الفقري والنخاع الشوكي .
٤ ـ شلل ليلة السبت .

١ ـ ارتجاج المخ :

ويحدث نتيجة ارتطام الرأس بجسم ثقيل دون أن تكون هناك تغيرات تشريحية في المخ .. وفيه تنشل وظائف المخ لدقائق .. ويصاب المريض بغيبوبة تختلف شدتها ولكنها في العادة لا تزيد عن بضع دقائق وربما كانت لثوانٍ معدودات .

ويفقد الشخص المصاب ذاكرته للحادثة نفسها أو ما سبقها من أحداث وغالباً ما يكون فقدان الذاكرة للحادثة مؤقتاً . وقد يكون ذلك لأمد طويل .

وفي بعض الحالات الشديدة من الارتجاج يصحبها أوديما (انتفاخ مائي) كما قد يكون من نتائجها انحلال النخاع في المخ .

وهذا يؤدي إلى صداع مزمن واضطراب في الشخصية .

وبما أن الكحول (الخمور) تفقد المرء توازنه وتعرضه لمثل هذه الحوادث بكثرة فانها سبب غير مباشر لمثل هذه الاصابة .

٢ ـ تهتك المخ :

وتكون الاصابة شديدة وعادة ما تكون مصحوبة بكسور في الجمجمة وتؤدي إلى تهتك بالمخ . ويفقد الشخص المصاب وعيه لفترة طويلة من ساعات إلى أيام بل قد تصل إلى أكثر من شهر .

أما في الحالات الخفيفة فيصاب المرء بالتشوش الذهني والاضطراب بعد افاقته من الاغماء . وقد يصاب بالهذيان .. كما أنه معرض للاصابة بالشلل وتكون المناطق المشلولة حسب مكان الاصابة وشدتها وما يصحبها من نزف .

ومعظم هذه الحالات تصاب بنوبات صرع قد تحدث بعد عدة سنوات من الاصابة .

٣ ـ انضغاط المخ :

وينضغط المخ إثر الحوادث إذا كان هناك نزف بالمخ أو السحايا ويفقد المريض وعيه وتضيق حدقة العين في الجهة المصابة من المخ ثم تتسع ثم تظهر التغييرات في حدقة العين الأخرى .

ويتوفى المصاب في معظم هذه الحالات . وقد ينقذ بعملية تربنة في الجمجمة وازالة الدم المتجلط مع ربط الأوعية النازفة .

ويبقى المريض في حالة الاغماء لفترة طويلة قد تبلغ الشهر أو لفترة طويلة قد تبلغ أكثر . كما يفقد ذاكرته بعد الافاقة من الاغماء . وخاصة للحادثة نفسها .

وقد رأينا أحد المرضى الذين أصيبوا في حادثة تصادم هو وزوجته ونقلا كليهما إلى المستشفى وبعد أن أجريت لهما عمليات بالمخ أفاقاً بعد فترة اغماء طويلة . ولبث المريض فترة طويلة من الزمن ينكر فيها أن تلك المرأة المصابة بجانبه هي زوجته بينما كانت هي واثقة أنه زوجها . ولبث أشهراً طويلة وهو لا يستطيع أن ينظر إليها . وبمرور الوقت اقتنع بصدق أقاربه ومن حوله . ولكنه في قرارة نفسه لم يقتنع كيف أصيبت زوجته وهي في منزلها .. ولم يستطع تذكر الحادثة قط .

وعادة ما يصاب هؤلاء الأشخاص بشلل في الأعصاب . خاصة العصب السادس (المبعد لمقلة العين) كما قد تصاب الأعصاب المغذية لعضلات العين مثل العصب الثالث أو الرابع أو عصب الوجه (Facial Nerve) أو عصب السمع (العصب الثامن) وكثير من هذه الحالات يصاب بالشلل النصفي . كما أن بعضها قد يصاب بشلل المراكز المخية المسؤولة عن التنفس وخاصة بعد الحادثة مباشرة أو بساعات .. وتحتاج مثل هذه الحالات إلى استخدام آلة التنفس الصناعي .

وإذا شفي المريض تبقى لديه آثار الشلل النصفي كما يشكو من صداع مزمن ونوبات اغماء متكررة (صرع) .

نزف تحت الأم الجافة :

ويصيب هذا المرض الكبار في السن ومدمني الخمر على وجه الخصوص . وهو ناتج عن اصابات بسيطة متكررة بالرأس ينتج عنها تمزق في الأوعية الدموية الشعرية .

ويضغط الدم المتجمع على المخ وخاصة الفص الأمامي والفص الصدغي وكثيراً ما يكون النزيف مزدوجاً أي في الجانبين من الرأس الأيمن والأيسر .

وتظهر الأعراض عادة بعد أسابيع .. ربما أشهر من الاصابة التي قد يكون المريض نسي عنها كل شيء .

وتتلخص الأعراض في الصداع والنعاس والارتباك الشديد واضطراب الشخصية وتتأرجح هذه الأعراض فتزداد حتى تصل درجة الاغماء وفقدان الوعي . وتقل حيناً حتى تصبح صداعاً خفيفاً فقط .

وتكون حدقتا العينين غير متساويتين ، فتكون إحداهما أوسع من الأخرى وعادة ما تكون الحدقة الأوسع مصحوبة بسقوط الجفن الأعلى لتلك العين . أما سائل المخ الشوكي فيكون طبيعياً لولا زيادة في البروتين وقد يكون مائلاً إلى الصفرة ويتم التشخيص بعمل أشعة على الجمجمة مع حقن الشريان السباتي الذي يغذي المخ بمادة ملونة فتظهر الأشعة النزف والدم المتجمع وهو ضاغط على الأوعية الدموية بالمخ .

ويحتاج العلاج لإجراء عملية لازالة الدم المتجلط تحت الأم الجافة . وينصح المريض بالابتعاد عن الخمور .

شلل ليلة السبت :

ومن المعروف أن الانغماس في الشراب مساء السبت (ليلة الأحد) هو من الأمور الشائعة في أوروبا أو أمريكا باعتبار أن ذلك ليلة الإجازة . وينام المخمور عادة على كرسي أو في الخمارة أو في منزله أو في منزل صديقه وتتدلى يده من الكرسي ويحتك العصب الكعبري بحرف الكرسي . فينضغط العصب . وعندما يفيق من سباته يجد نفسه مشلول اليد . ولا يستطيع أن يرفع يده .

ويحتاج علاجها إلى جبيرة خاصة مع التمرينات وتنبيه العضلات بالموجات القصيرة .

كل هذا من نتائج شرب الخمور منها ما هو نتيجة مباشرة ومنها ما هو نتيجة غير مباشرة .

وبهذا نكون قد شرحنا بايجاز تأثيرات الخمر على الجهاز العصبي . ورأينا كيف تفتك به من كل جهة .. وكيف يتحول المدمن إلى معتوه مشلول مريض العقل والنفس يتمنى لو يخلصه الموت من براثن هذا الغول المفترس والوحش الكاسر وأنى له ذلك وهو يتجرع الموت كل لحظة وما هو بميت حتى تخترمه المنية أو يتوب الله عليه فيهيئ له من يساعده على ترك هذه الآفة وهذا السم الزعاف المدعو الخمر .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني عشر

الكحول والجهاز الهضمي

إن الجهاز الهضمي هو أهم ثاني جهاز يتعرض لتأثيرات الكحول الضارة .

ويبدأ الجهاز الهضمي بالفم والبلعوم والمريء والمعدة فالاثني عشر فالأمعاء الدقيقة فالغليظة فالمستقيم فالشرج . ويلحق بهذا الجهاز مجموعة من الغدد اللعابية الموجودة تحت الفك العلوي والسفلي وتحت اللسان كما يلحق به كل من غدتي البنكرياس والكبد .

الفم :

يصاب فم مدمن الخمور بأعراض نقص فيتامين ب المركب والنياسين . فتجد لسان مدمن الخمر مغطاة بطبقة كثيفة من الأوساخ التي تتراكم عليها الميكروبات والفطريات مثل فطر كانديدا .

كما يكون اللسان مؤلماً نتيجة ضمور الحلمات اللسانية وهذا ناتج عن نقص مجموعة ب المركب وخاصة النياسين ، أما نقص الريبوفلافين فيسبب تشققاً في جوانب الفم وتكون حلمات اللسان حمراء ملتهبة .. ولذا يصعب على المريض شرب السوائل الحارة أو الأكل الساخن أما البهارات والمتبلات فتكون عذاباً مزعجاً .

ويصاب كثير من مدمني الخمر بالبخر أو النفس الكريه وهو ناتج عن روائح الخمر مع التبغ من جهة .. ومن الالتهابات المتكررة في الفم والالتهابات الرئوية المتكررة التي تصيب المدمنين من جهة أخرى .

كما يصاب بعض المدمنين ببقع بيضاء في ألسنتهم تسمى (Leukoplakia) وهذه تكون عادة مقدمة لسرطان اللسان .

تقرحات الفم :

وتحدث هذه التقرحات الميكروبية (ميكروب لولبي وميكروب عصوي) نتيجة نقص الفيتامينات ونقص التغذية المصاحبة لحالات الادمان .

كما تحدث حالات الالتهاب وتقرحات شديدة بالفم تدعى (Vincent Angina) وهي التهابات خطيرة وتقرحات شديدة مؤلمة بالفم كله .. وتؤدي إلى الوفاة ولا تصيب إلا الأشخاص الذين ضعفت مقاومتهم للميكروبات .. ولذا نادراً ما نرى هذا المرض في غير المدمنين الشديدي الادمان ويكون عادة مصحوباً بالتهابات رئوية حادة وقليلاً ما ينجو مثل هذا المريض من الوفاة رغم التقدم العلاجي .

كما لا ننسى الاصابات الناتجة عن الزهري إذ أن الارتباط بين الادمان والأمراض التناسلية معروف وقد تصاب الشفتان أو إحداهما بقرحة (Chancre) كما تتضخم الغدد اللمفاوية تحت الفك الأسفل . وقد تصاب بتشققات في جوانب الشفتين (Rhagades) وتقرحات باللسان والفم (Cancrum Oris) .

ومن المعروف أن الزهري مسبب لحالة اللكوبليكيا وهي البقع البيضاء في اللسان والفم وهي مقدمة لسرطان اللسان والفم . أما اصابات الأسنان واللثة فكثيرة . وهي ناتجة عن شرب الخمور والتدخين ونقص الفيتامينات وتراكم الأوساخ والأقذار وفضلات الطعام وتتجمع كل هذه العوامل لتصيب اللثة بالالتهاب والتقرح وقد تنزف اللثة بمجرد لمسها كما تصاب الأسنان بالنخر .

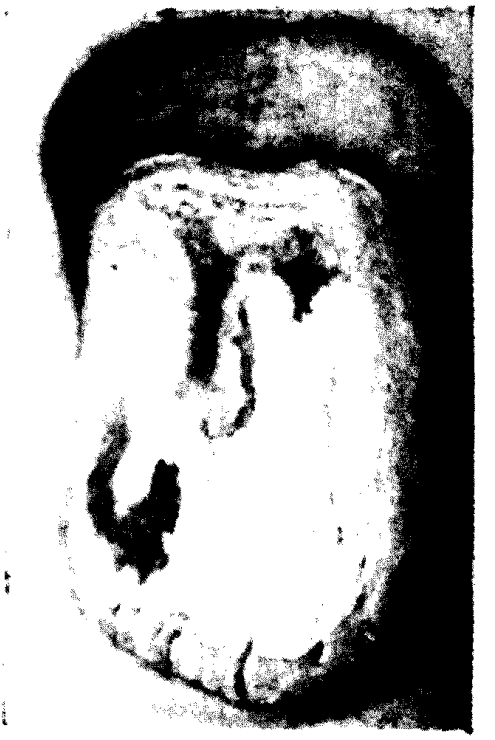

التهاب اللسان
نتيجة شرب الخمور

البقع البيضاء (Leukoplakia) على اللسان نتيجة إدمان الخمور والتي تؤدي إلى سرطان اللسان .

التهاب البلعوم المنتن (Septic Pharyngitis)

وهو التهاب حاد منتن يكون مصحوباً بانتفاخ (أوديما) والتهاب غلغموني وتنتهي بغرغرينا . وسبب ذلك ميكروبات سبحية (Streptococci) تكون موجودة بالفم دون أن تسبب أي مرض لدى الشخص العادي . ولكنها عند مدمن الخمر تستغل ضعف مقاومته للأوبئة والميكروبات فتهجم عليه وتؤدي به إلى هذا الالتهاب الخطير .

ويقول أهم مرجع طبي بريطاني (مرجع برايس الطبي) طبعة ١٩٦٨ : «إن الميكروبات تستغل فرصة نقص المقاومة لدى مدمني الكحول فتهاجم هجوماً عنيفاً يؤدي إلى هذا الالتهاب الخطير وترتفع درجة حرارة المريض إلى أربعين سنتجراد . كما يجد المريض صعوبة في البلع والتنفس حتى ليشعر بالاختناق .. وتكثر الالتهابات الرئوية .. كما يصاب القلب فجأة بالهبوط (Heart Failure) نتيجة تسمم عضلة القلب (Toxic Myocarditis) وكثيراً ما تكون الوفاة خلال أربع وعشرين ساعة منذ بدء « الأعراض » .

«لذا يلزم العلاج السريع وإلا فقد المريض حياته خلال بضع ساعات» .

«ونتيجة للاختناق الذي يحدث للمريض تستدعي هذه الحالات شق الرغامي (القصبة الهوائية Tracheostomy) وقد تكون الحالة مستعجلة لدرجة أن يقوم الطبيب بهذه العملية بموسى أو مشرط في منزل المريض نفسه قبل نقله إلى المستشفى» .

ويستدعي ذلك وضع أنبوبة خلال الشق الرغامي حتى يتمكن المريض من التنفس .. وإذا ما تحسنت حالته أمكن بعد ذلك إخراج الأنبوبة وجعل المريض يتنفس طبيعياً .

كما يحتاج المريض للأوكسيجين والمضادات الحيوية ويستحسن أخذ عينة لزرعها قبل بدء العلاج . ثم يبدأ العلاج فوراً حتى تظهر نتيجة المزرعة .

كما يعطى المريض كمية من السوائل بالوريد ومجموعة جيدة من الفيتامينات وخاصة مجموعة ب المركب » .

إصابات المريء (Chronic Oesophagitis)

التهاب المريء المزمن :

يقول المرجع الطبي البريطاني (مرجع برايس الطبي طبعة ١٩٦٨) :

« إن التهاب المريء ناتج عن شرب المواد الحريفة باستمرار وأهمها على الاطلاق الخمور والأنبذة القوية . وكثيراً ما تكون مصحوبة بالتهاب البلعوم والتهاب المعدة . »

إن قيء المخمورين في الصباح انما هو نتيجة تجمع المواد المخاطية التي يفرزها المريء الملتهب . ولذا فإن شاربي الخمور كثيراً ما يصابون بالغثيان وفقدان الشهية والقيء وخاصة في الصباح بعد ليلة شراب وهو ما يعرف بالخمار (Hang Over) ويكون ذلك مصحوباً بصداع شديد وقرف من الحياة وأوجاع عامة في الجسم كله .

أما علاج هذه الحالة فميسور جداً إذ أن توقف المرء عن شرب الخمور يؤدي إلى شفائه التام ودون الحاجة إلى استعمال العقاقير الطبية .

نزف المريء : أو مرض مالوري فايز (Mallory Weiss Syndrome)

ويصاب المريض بنزف شديد آت من أسفل المريء وناتج عن تمزقات طولية بجدار المريء .. وسببها القيء العنيف المتكرر .

ويقول الدكتور برين ماجريت رئيس قسم طب المناطق الحارة في كلية ليفربول في المرجع الطبي البريطاني (مرجع برايس الطبي) :

« لقد لوحظ هذا المرض عند مدمني الكحول ويكون عادة مصحوباً بالتهاب المعدة الضموري .. ونادراً ما يصيب غير المدمنين . وتأتي أهمية هذا المرض من أنه يشكل نسبة ٤ في المائة من مجموع الوفيات الناتجة عن جميع حالات النزيف بالمريء والمعدة والاثني عشر » .

وتحتاج هذه الحالة إلى نقل دم سريع كما تحتاج العقاقير المضادة للقيء . كما تعطى المواد المسكنة لغشاء المريء مثل مادة الميوكان .

قرحة المريء المزمنة :

ويصاب مدمنو الخمور بهذه القرحة أكثر بكثير مما يصاب غير المدمنين وتسبب هذه ألماً شديداً تحت القص وفي أعلى البطن وقد يكون الألم تحت الثدي الأيسر ويأتي المريض إلى الطبيب يشكو من قلبه .. ولكن سرعان ما يكتشف أن ما يشكو منه المريض ليس من القلب وإنما هو من المريء وبعمل أشعة على المريء بالباريوم تتضح القرحة .. وقد يحتاج الأمر إلى منظار يدخله الطبيب إلى المريء ليرى القرحة بعينيه .

ومن حسن الحظ أن هذه القرحة الناتجة عن شرب الكحول تشفى بسرعة بمجرد ترك الكحول والإكثار من شرب الحليب وتجنب المواد الحراقة والمخللات .

ولعلك تلاحظ أن الحليب (اللبن) قد ذكر أكثر من مرة في علاج آثار الخمر الضارة فهو يستعمل لمواجهة آثار نقص الفيتامين المسبب للبلاجرا كما يستعمل في مواجهة التهابات الفم والبلعوم والمريء والمعدة والاثني عشر .

وقد ذكرنا في فصل الكحول والأقرابازين كيف أن اللبن يعيق امتصاص الكحول من المعدة .. ويضاده .

وهذا يذكرنا مرة أخرى بحديث الإسراء والمعراج وكيف اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن من بين الأشربة التي قدمت له .. وكيف رفض الخمر وكيف نصح أمته بشرب اللبن وقال عنه إنه الغذاء الكامل قبل أن يعلن ذلك الطب بألف وأربعمائة عام .

سرطان المريء :

إن هذا المرض الخبيث يصيب الرجال أكثر من النساء ومعظم المصابين به يكونون قد تجاوزوا الخمسين من العمر .

ويقول المرجع الطبي البريطاني (مرجع برايس الطبي) :

«إن التهاب المريء المزمن الناتج عن شرب الكحول بإفراط هو السبب الرئيسي المؤدي إلى سرطان المريء .»

وأول أعراض المرض هو صعوبة البلع ثم فقدان الشهية وتزداد صعوبة البلع بالتدريج ابتداء من الطعام الصلب مثل اللحوم والخبز وانتهاء بالطعام الرخو مثل المهلبية حتى يصعب على المريض في آخر المطاف بلع قليل من الماء .

ويصل المريض إلى هذه المرحلة خلال ثمانية أشهر منذ بدء الأعراض .

ومضاعفات المرض خطيرة جداً وتؤدي إلى الهزال الشديد مع تضخم في الغدد اللمفاوية التي تضغط على القصبة الهوائية والأعصاب السمبتاوية كما تضغط على عصب الحنجرة (Recurrent Laryngeal Nerve) مما يؤدي إلى بحة الصوت وصعوبة التنفس أو إلى التهابات رئوية أو التهابات منتنة بالبلورا أو انثقاب بالمريء مع نزف شديد .

وأي واحد من هذه المضاعفات تؤدي إلى الوفاة فما بالك بها مجتمعة ؟

ويشخص المريض إكلينيكياً بالأعراض والعلامات ويتأكد التشخيص بعمل أشعة بالباريوم على المريء .

أما العلاج فيكاد يكون ميؤوساً منه . ولكن بعض العمليات الجراحية التي تستأصل المريء وتستبدله بأنبوبة من الأمعاء الدقيقة قد تنجح في شفاء المريض وخاصة إذا كان العلاج مبكراً .

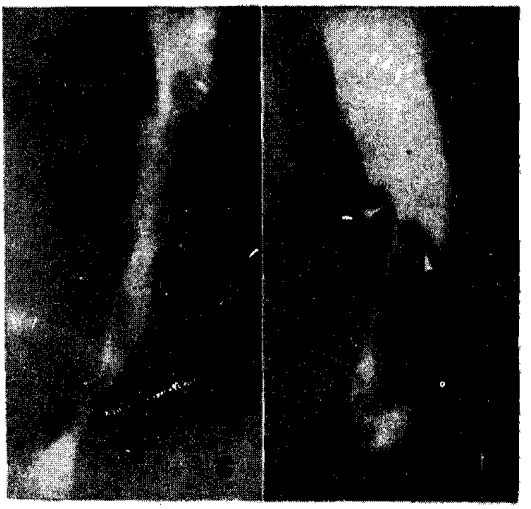

صورة بالأشعة للمريء
وقد أصيب بسرطان المريء

القيء :

إن أحد أهم الأسباب للقيء المتكرر هو شرب الخمور . ولا يوجد شخص ما شرب الخمر ولو لمرات قليلة لم يعان فيها من القيء صباح اليوم التالي لليلة عب فيها من الخمر أقداحاً .

أما القيء في حالة السكر فمعروف جداً لكل شخص وفي هذه الحالة يصاب المرء بالقيء الشديد بعد سويعات من انتهاء الشراب وربما حصل القيء بعد الشراب مباشرة .

ويكون القيء مصحوباً بغثيان وفقدان للشهية وخمول وبلادة في الحس وثقل في الدماغ وصداع شديد وتراخ في الأعضاء وإحساس بالكآبة الشديدة والضيق .. مصحوباً مع قلق وانفعال يختلف شدة كما يصاب المريض من حين لآخر بفواق (زغطة) وهذه الحالة تعرف بالخمار (Hang Over) وهي حالة تصيب كل من أسرف في الشراب في الليلة السابقة ويعرفها كل من شرب الخمر .

وتكثر في المدمنين ويصبح هذا أمراً روتينياً لا علاج له إلا تناول كأس أو كأسين عند الإفاقة .. وهكذا يدخل الدوامة التي لا فكاك منها . كما يقول أبو نواس « وداوني بالتي كانت هي الداء » . إذ يشعر المدمن بتحسن في حالته بعد أن يشرب كأساً أو كأسين في الصباح الباكر وهكذا يستبدل الإفطار بكأسين من الخمر .. وتبدأ مرحلة العذاب ومرحلة الإدمان وفقدان الشهية والقيء المتكرر والالتهابات في جميع الأجهزة ونقص الفيتامينات وسوء التغذية ولن نعيد هنا ما ذكرناه عن أمراض الجهاز العصبي . ولا الجهاز الهضمي .

أما القيء في حالة السكر نفسها فهو أمر جد خطير إذ يكون الشخص فاقداً لوعيه وتنساب المواد المقاءة من فمه إلى البلعوم فالحنجرة فالقصبة الهوائية فالرئتين . وقد تسبب الاختناق فيموت الشخص لتوه .. وقد تنزل المواد المقاءة إلى إحدى الرئتين أو كليهما فتصاب بخراج الرئة (Lung Abcess) ويمتد ذلك إلى البلورا فيسبب خراج البلورا (Empyema) أو تصاب الرئتان بالالتهاب الرئوي .

وكل ذلك نتيجة شلل الأفعال المنعكسة في الغلصمة (لسان المزمار) نتيجة تأثير الخمر على المناطق المخية .

وقد يؤدي تكرر القيء إلى قرحة المريء أو يؤدي إلى تمزقات طولية بجدار المريء ينتج عنها نزف شديد وهو المرض الذي وصفه مالوري فايز الذي ذكرناه قبل قليل .

الفواق (الزغطة) (Hiccough)

ويكثر الفواق (الزغطة) عند شاربي الخمور . ويعرف ذلك كل من له أدنى صلة بشارب الخمر ويبدأ الفواق في حالة السكر البين أي عندما يتجاوز نسبة الكحول في الدم المائة ميليجرام في كل مائة سنتي من الدم . ويستمر الفواق بصورة مزعجة للشخص ولكل من حوله .. ويصحبه عادة القيء المتكرر .

وعادة ما يكون الفواق عرضاً مؤقتاً يزول بزوال حالة السكر .. إلا أن الفواق قد يظهر في اليوم التالي لليلة الشراب .. وهو أحد أعراض الخمار .

فقدان الشهية (Anorexia)

ورغم أن الخمور وخاصة بعض الأنبذة تستخدم منذ أقدم الأزمنة كفاتحة للشهية (Apéritif) إلا أن هذا التأثير سرعان ما يزول .. ويفقد متعاطي الكحول شهيته بالتدريج حتى إذا وصل إلى مرحلة الإدمان فقد شهيته بالكلية .

ومن المعروف أن الكحول تهيج الأغشية المخاطية ابتداء من الفم وانتهاء بالمعدة وهذا في أول الأمر يكون في حد ذاته فاتحاً للشهية .. ولكن سرعان ما ينعكس الأمر فتكرر هذا التهيج يؤدي إلى الالتهاب ويؤدي الالتهاب إلى الضمور ويؤدي الضمور إلى قلة إفراز الحامض المعدي وبالتالي إلى سوء الهضم وقلة الشهية .

الحموضة واللذع (Heart Burn)

والإحساس بالحموضة أو الشعور بالحرارة أو الحرق على طول المريء (ابتداء من أسفل العنق وانتهاء بأعلى البطن) تحت القص هو من أكثر الأعراض شيوعاً عند شاربي الخمور والتهاب المريء الذي ذكرناه والتهابات المعدة التي سنفيض في ذكرها تسبب هذا الإحساس المزعج وقد يظن أن الحموضة ناتجة عن ازدياد إفراز حامض الهيدروكلوريك من المعدة . ولكن واقع الأمر يكذب ذلك .. فقد تستمر هذه الحموضة رغم التهاب غشاء المعدة المزمن حيث يقل إفراز الحامض بل ويكاد ينعدم .

إذن ما سبب هذه الحموضة ؟ إنها ناتجة عن إفرازات المعدة والمريء نتيجة الالتهابات التي تصيبها بسبب شرب الخمور .

ولكن هل تفيد المواد المضادة للحموضة ؟ قد تفيد أول الأمر عندما يكون إفراز الحامض زائداً عن حده . أما في الحالات التي يكون فيها إفراز الحامض ناقصاً أو منعدماً فإنها بطبيعة الحال لا تفيد .

إذن ما الذي يفيد ؟ مرة أخرى نعود إلى اللبن (الحليب) ولا شك أنه يفيد في تخفيف هذا الإحساس بالحموضة . ولكن شرب اللبن لوحده لا يكفي ، لا بد من توقف المريض أولاً عن شرب الخمور . وثانياً عن التدخين وثالثاً عن تناول المواد الحريفة مثل التوابل والمخللات والبهارات .

الخمور والمعدة :

لقد أسلفنا القول في أن الخمور قد شربت منذ أقدم العصور كفاتحة للشهية وتفنن في ذلك الإغريق والرومان ولم يقصر في ذلك الفرس والبابليون بل لقد كان عرب الجاهلية يتفاخرون بهذه العادة . ولا يزال الناس في أوروبا وأمريكا وخاصة في فرنسا يهتمون بالأنبذة عند إعداد موائد الطعام . ويدعونها هناك بالمشهيات .

ولكن هل حقاً الأمر ذلك ؟

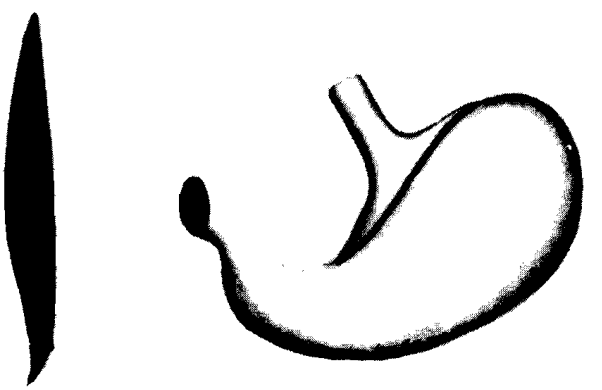

إن الإنسان ينفرد من بين الحيوانات بقدرته على العيش على الوهم لآماد طويلة وأحقاب وأزمان بعيدة . ويغتر الإنسان بظاهر الأمر دون النظر إلى حقيقته وظاهر الأمر في الخمر أنها تفتح الشهية .. وذلك بتهيج الأغشية المخاطية من الفم إلى المعدة .. ويزداد بذلك إفرازات اللعاب وإفرازات المواد الهاضمة . ولكن ذلك سرعان ما يختفي .. ويعقب ذلك الحقيقة المرة .

وهي التهاب الأغشية المخاطية للجهاز الهضمي ابتداء من الفم وانتهاء بالأمعاء أي تفقد المواد الهاضمة . ويقل إفراز المعدة لحامض الهيدروكلوريك (كلور الماء) وتكون النتيجة فقدان الشهية وسوء الهضم ونبدأ فسنعرض إصابات المعدة نتيجة الخمور .

التهابات المعدة الحادة (Acute Gastritis)

ويعتبر الكحول من أهم الأسباب لالتهاب المعدة وخاصة في المناطق التي يتناول فيها الناس الخمور بكثرة وقد أجرى الدكتور بيمونت تجربة رائدة على خادمه الذي أصيب بناسور في المعدة حدث أثر طلق ناري عام ١٨٣٣ . وقام هذا العالم بإعطاء مريضه جرعة من الخمر فوجد أن الغشاء المخاطي للمعدة يلتهب وظهرت بثرات حمراء عميقة فوق سطح الطبقة المخاطية تكون في بادئ الأمر حادة الرأس وحمراء . غير أنها سرعان ما تمتلئ بمادة صديدية بيضاء كما يكسو الغشاء المخاطي للمعدة مادة كثيفة لزجة . وتقل إفرازات المعدة الهضمية كما يقل إفراز الحامض .

وتكون الإفرازات مختلطة بالصديد والقيح والدم – غسلين – وقد لاحظ بيمونت العالم أن مريضه قد شفي تماماً من جميع هذه الأمراض بعد خمسة أيام من التوقف عن شرب الخمور . وعادت معدته طبيعية تماماً بعد توقفه عن الشرب لهذه المدة الوجيزة .

ونستطيع نحن أن نعيد هذه التجربة دون الحاجة إلى إحداث ناسور أو انثقاب بجدار المعدة إذ أن لدينا الآن منظار المعدة (Gastroscope) ويمكننا أن نعيد هذه التجربة على العديد من الأشخاص وسنذهل حتماً عندما نجد نفس النتيجة .

بعد أيام من تناول الشخص الخمور نجد التهاباً في الغشاء المخاطي للمعدة ونجد البثرات الحمراء التي وصفها بيمونت .. كما نجد المواد الصديدية كما نلاحظ أيضاً قلة إفرازات المواد الهاضمة من المعدة سواء كان ذلك أنزيم الببسين أو حامض الهيدروكلوريك .

كما أننا نلاحظ نفس النتيجة المدهشة التي حصل عليها بيمونت بعد توقف الشخص عن شرب الخمور .. تعود المعدة إلى حالتها الطبيعية تماماً كما كانت قبل بدء التجربة .

صورة تشريحية للمعدة والإثني عشر والكبد والمرارة وقنواتها الرئيسية

ولا نحتاج بعد هذا إلى دليل يحطم تلك الخرافة التي تجمعت على مدار الأزمنة والعصور من أن قليلاً من الخمر يصلح المعدة فقد أبان الطب أن قليلاً من الخمر لا يصلح المعدة بل يفسدها وخاصة إذا استمر المرء في تناول ذلك القليل .. ولا يوجد هناك أي مانع من أن يتحول القليل في أي وقت إلى كثير إذ ليس هناك ما يحول بين المرء من تناول الكثير من الخمور إذا تعود تناول القليل فإن أي صدمة نفسية أو عاطفية أو فشل في مجالات العمل أو الزواج أو الدراسة أو الحب يؤدي عند تعود تناول القليل من الخمر إلى تناول الكثير منها .

وباختصار يؤدي إلى الإدمان .

التهابات المعدة المزمنة :

إن التجربة التي أجراها الدكتور بيمونت ترينا كيف تسبب الكحول التهابات المعدة .

إن الاستمرار في شرب الكحول يؤدي إلى حرض خلايا المعدة وموتها . وبموت هذه الخلايا تقل إفرازات المعدة من الببسين كما تقل إفرازات حامض الهيدروكلوريك ولهذا الحامض فوائد عديدة فهو يساعد على هضم المواد البروتينية كما يقتل كثيراً من الميكروبات التي نبلعها مع طعامنا . كما يؤدي نقص هذا الحامض إلى خلل في إفراز العامل الداخلي (Intrinsic Factor) المهم في امتصاص فيتامين ب ١٢ من الأمعاء الدقيقة .

ويؤدي نقص امتصاص فيتامين ب ١٢ إلى فقر الدم الخبيث (Pernicious Anaemia) وهي أنيميا (فقر دم) شديدة تنقص فيها كرات الدم الحمراء إلى مليون في كل سنتي بدلاً من خمسة ملايين كما يقل الخضاب (الهيموجلوبين) إلى ثلاثة أو أربعة جرامات في كل مائة سنتي من الدم بدلاً من خمسة عشر جراماً عند الشخص السوي .

صورة لداخل المعدة وبها مجموعة من القرح التي تبدو بيضاء في الصورة التي أخذت بواسطة منظار المعدة . الصورة توضح أيضاً التهابات غشاء المعدة .

وتكون مصحوبة بشحوب شديد وتسارع في النبض وهبوط بالقلب . كما أن هذه الأنيميا الحادة تكون مصحوبة بإصابات بالغة في الجهاز العصبي تشبه التي ذكرناها عن إصابات البلاجرا أي يصاب المخ كما تصاب المسارات الهرمية (Pyramidal Tract) وتسبب شللاً علوياً حركياً (Upper Motor Neurone Paralysis) .

كما تصاب الضفائر الخلفية (Posterior Column) التي تحمل إحساسات الوقوف وإحساسات العضلات (Deep Sensations) وتفقد الأحاسيس العميقة . كما تصاب الأعصاب بالتهاب الأعصاب المتعدد .

وباستمرار هذه الالتهابات في المعدة تضمر الخلايا وتموت ويسمى ذلك التهاب المعدة الضموري وتكون الأعراض فقدان الشهية والقيء المتكرر مع الغثيان

والإحساس بالحموضة مع آلام في أعلى البطن كما يصاب المرء بسوء الهضم .. ويشعر المريض بالانتفاخ بعد أية وجبة مهما كانت بسيطة .. كما تنتابه حالات إسهال شديد تتناوب مع حالات إمساك . وتكون هذه مصحوبة بالتهاب اللسان وبخر الفم كما تكون مصحوبة عادة بالتهاب المريء .

وينتاب المريض حالة من الكآبة والضيق ناتجة عن شرب الخمور وتأثيرها على الجهازين العصبي والهضمي .

ورغم تقدم المرض إلا أن المريض يشفى في الغالب تماماً بعد أن يقلع عن شرب الخمور .

ولكن إذا استمر المريض في تناول الخمور فإن الالتهابات المزمنة بالمعدة قد تؤدي إلى الإصابة بسرطان المعدة .

سرطان المعدة :

إن هذا المرض الخبيث هو أكثر ما يكون انتشاراً في اليابان ثم في أوروبا . وقد وجد أن قرحة المعدة المزمنة تؤدي في أزمانها في بعض الحالات إلى التحول السرطاني كما ان التهاب المعدة الضموري المزمن قد يؤدي كذلك إلى ظهور هذا المرض الخبيث وقد رأينا أن أهم أسباب التهاب المعدة الضموري هو تناول الكحول بصورة مزمنة .

ونحن نعرف أن قرحة المعدة تكثر عند متناول الكحول .

وهكذا نجد الكحول سبباً غير مباشر لهذا المرض الوبيل الخطير إذ أن المصاب به لا يعيش أكثر من عام منذ بدء الأعراض مهما كان العلاج إلا فيما ندر . وليس معنى هذا أن غير المدمنين لا يصابون بهذا السرطان .

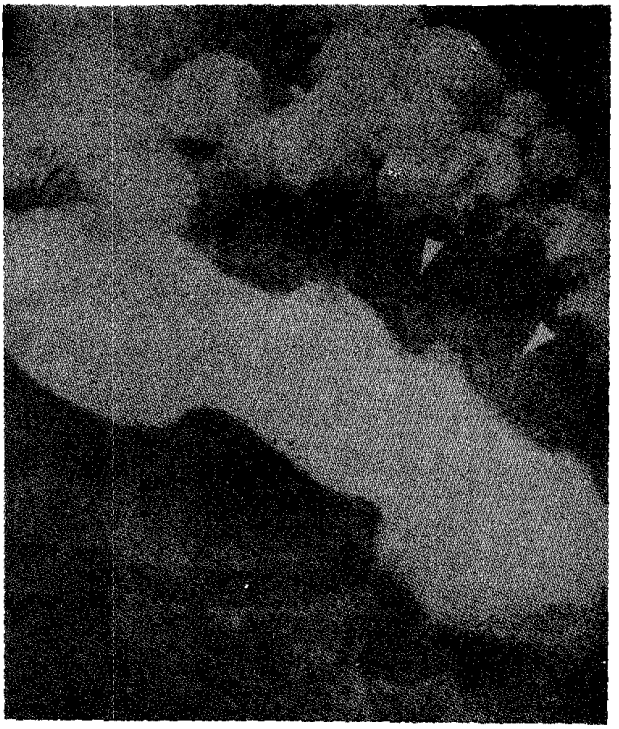

صورة بالأشعة لسرطان المعدة

صورة تشريحية لقرحة المعدة التي تكثر عند مدمني الخمور

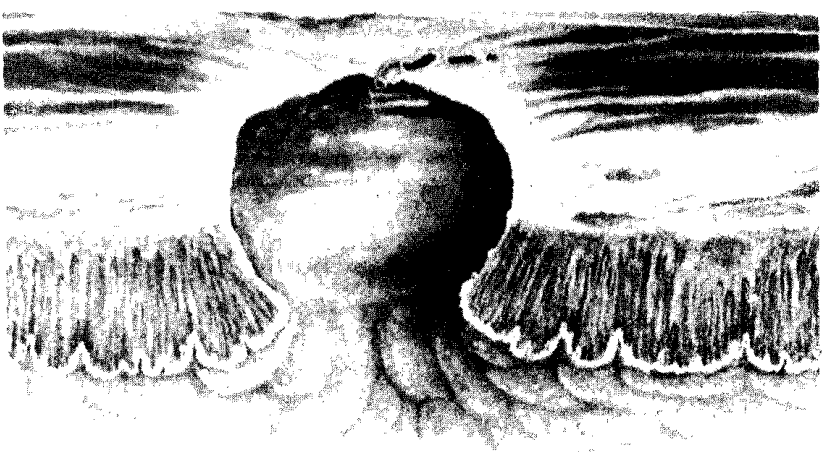

الغشاء المخاطي للمعدة

قرحة المعدة

واستئصال المعدة هو الإجراء الوحيد الممكن ولكن ربع الحالات فقط يمكن أن يتم فيها هذا الاجراء عند عرضها على الطبيب . ومع هذا فإن ١٥ في المائة فقط من الحالات التي يتم فيها الاستئصال بنجاح هم الذين يعيشون لمدة خمس سنوات .

أما إذا كان المصاب في سن الثلاثين أو أقل فإن العلاج يكون ميؤوساً منه ولا يكاد يوجد أي أمل في شفائه لا بعملية الاستئصال ولا بغيرها .

قرحة المعدة والإثني عشر :

إن هناك أسباباً عديدة تساهم في تكون قرحة بالمعدة أو الاثني عشر ولا شك أن هناك استعداداً وراثياً مع وجود عوامل القلق والضيق يضاف إليها الأغذية الحريفة .

ومن المعروف أن الكحول كمادة حريفة مصحوبة مع الإكثار من التدخين والانفعالات النفسية الشديدة التي تصاحب الإدمان تؤدي إلى قرحة المعدة أو الاثني عشر .

فالكحول تزيد من إفراز مادة الجاسترين (Gastrin) التي تزيد من إفراز حامض الهيدروكلوريك – كلور الماء – المؤدي إلى القرحة .

ومما يزيد الطين بلة أن شارب الخمور يضطر لتعاطي كميات كبيرة من الأسبرين ومشتقاته ليخفف من أثر الصداع الذي يصيبه في كل صباح أثر ليالٍ حمراء يقضيها في صحبة الكأس والطاس .

والأسبرين والبيتوازولدين والكورتيزون ومشتقاتها هي من العقاقير التي تسبب القرحة عند من لديه الاستعداد وتجعلها مزمنة عند من أصيب بها كما أنها تؤدي إلى مضاعفاتها من نزف وانثقاب مؤديين إلى الحتف والهلاك .

ولذا فإن علاج مرض القرحة (المعدة والاثني عشر) يتلخص في الامتناع البتة عن شرب الخمور والإقلال من التدخين أو الامتناع عنه والإقلال من شرب القهوة والشاي وتجنب المواد الحريفة مع الأكل مع الامتناع عن السهر والإرهاق الشديد وتجنب الانفعالات النفسية الشديدة قدر الإمكان .

ولا بد من الإكثار من شرب اللبن فهو علاج وغذاء .

وهكذا نرى أن الخمر أحد أهم أسباب أمراض الجهاز الهضمي .. ويعتبر الإقلاع عن شربها البتة أحد الأركان الهامة في البناء العلاجي لهؤلاء المرضى .

فإذا كنت من أولئك الذين يشربون الخمر فبادر إلى تركها قبل أن تصبح إدماناً وتعتريك الأمراض والعلل من كل جهة .. وتخسر بذلك صحتك ومالك وعقلك .

وباختصار قبل أن تخسر آخرتك ودنياك .

الخمور والتهابات الأمعاء الدقيقة والغليظة :

تسبب الخمر تهيجاً في الأغشية المخاطية للجهاز الهضمي ابتداء بالفم وانتهاء بالأمعاء الدقيقة والغليظة .

ويؤدي ذلك إلى احتقان الأمعاء كما قد يؤدي مع الأزمان إلى تقرحها .

ولذا تسبب الخمر نوبات إسهال وإمساك كما أنها تسبب سوء هضم وسوء امتصاص للغذاء .

فيقل امتصاص المواد البروتينية كما يقل امتصاص الفيتامينات وقد ذكرنا آنفاً أن امتصاص فيتامين ب ١٢ من الأمعاء الدقيقة (الصائم Ileum) يقل جداً نتيجة نقص العامل الداخلي (Intrinsic Factor) كما يقل امتصاص الفيتامينات الأخرى .

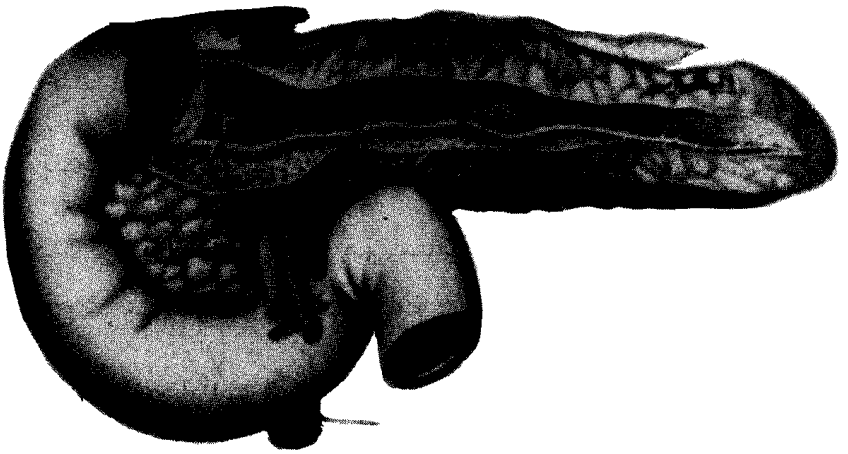

صورة للبنكرياس

أما أولئك المرضى المصابون بالتهابات الأمعاء الدقيقة والغليظة نتيجة الطفيليات مثل الأميبا أو البلهارسيا أو نتيجة أي مرض آخر مثل تقرحات الأمعاء (Ulcerative Colitis) فإن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة الالتهاب والاحتقان ويزيد الطين بلة .

ولذلك فإن الأطباء في جميع أصقاع الأرض متفقون على نصح هؤلاء المرضى بالابتعاد عن الخمور .

الكحول والبنكرياس :

إن البنكرياس غدة هامة متصلة بالجهاز الهضمي وتقع في أعلى البطن خلف المعدة وهو مكون من شقين :

١ – غدة متصلة بالجهاز الهضمي : بقناة البنكرياس التي تصب في الاثني عشر قريباً من فتحة القناة المرارية التي تحمل إفرازات الكبد إلى الاثني عشر .

وهذه الغدة تفرز مجموعة من الأنزيمات مثل التربسين لهضم المواد البروتينية .

والأميليز لهضم المواد النشوية .

والليبيز لهضم المواد الدهنية عند وصول الطعام إلى الاثني عشر وذلك بطريقتين :

أ ـ بطريق العصب الحائر .

ب ـ يتكون هرمون في الاثني عشر عند ملامسة الطعام له وكلا هذين يؤثر في غدة البنكرياس لتفرز الأنزيمات الهاضمة التي تصب في قناة البنكرياس ومنها إلى الاثني عشر .

٢ – غدة صماء مكونة من جزائر لانجرهان :

وفيها مجموعتان من الخلايا :

أ ـ خلايا (١) : وهي تفرز مادة الجلوكاجون (Glucagon) وهذه مسؤولة عن تحويل السكر المختزن بالكبد إلى سكر عنب (جلوكوز) . جلايكوجين – جلوكاجون – جلوكوز .

ب ـ خلايا ب : وهذه تفرز مادة الانسولين الهامة التي بدونها لا يدخل السكر إلى الدم إلى الخلايا ولا يحترق . ونقص مادة الأنسولين يؤدي إلى مرض البول السكري المعروف .

فكيف تؤثر الكحول على البنكرياس ؟

التهاب البنكرياس الحاد الدموي :

وهذا المرض جد خطير . ويؤدي إلى نخر وموت خلايا البنكرياس مع نزف شديد فيه .

ولست أزعم أن شرب الخمور هي السبب الرئيسي لهذا المرض فقد وجد أن خمسين في المائة من هذه الحالات تقريباً تحدث بعد نوبات التهاب المرارة أو وجود حصى فيها .

ولكنه قد لوحظ أن كثيراً من هذه الحالات تحدث بعد نوبات انغماس في شرب الخمور .

والكحول تسبب الاحتقان والأديما (انتفاخ) ثم تنكرز (نخر وموت) الخلايا .

والنخر يؤدي إلى إفراز أنزيمات البنكرياس المختزنة في الخلايا . وكما أن هذه الأنزيمات هاضمة فتقوم بهضم خلايا البنكرياس كما تهضم الأوعية الدموية فتنفجر .

كما يؤدي أنزيم الليبيز إلى هضم المواد الدهنية الموجودة في البريتون ويحتوي الغشاء البريتوني في هذه الحالة على سائل دموي وخاصة في الجيب الأصغر .

كما تتكاثر الميكروبات وخاصة من مجموعة العصويات المعوية .

الأعراض :

يشكو المريض ألماً حاداً مفاجئاً مفزعاً في أعلى البطن ويستمر الألم دون هوادة ويزداد مع كل دقيقة تمضي وينتشر الألم إلى الظهر في الجهة المقابلة لأعلى البطن .

ويبدأ القيء المتكرر حتى يفرغ المريض كل ما في جوفه حتى الصفراء .. وتكون البطن منتفخة وحساسة جداً لأي لمس .. وتتوقف حركة الأمعاء فلا تسمع

الكبد وقد رفع إلى أعلى
ليظهر مكان المعدة
تحته .

صورة للكبد توضح مكانه
في التجويف البطني .

لها وقعاً . كما ترتفع درجة الحرارة عند المريض ويسرع نبضه أما ضغط الدم فينخفض ويكون بالجلد آثار زرقة خفيفة مع يرقان بسيط .

ويصبح التنفس عسيراً لعدم قدرة الحجاب الحاجز على الحركة كما تكثر الالتهابات الرئوية ويصاب القلب بالوهط (هبوط القلب) . وتصبح الوفاة قاب قوسين أو أدنى . وللأسف فإن معظم المرضى قد يلاقون حتفهم حتى قبل نقلهم إلى المستشفى كما أن كثيراً منهم يلاقون نهايتهم في المستشفى نفسه رغم العلاج .

ولكن عدداً ليس بالقليل يشفى بالعلاج السريع الدقيق .

ويعطى المريض محلول الملح مع الجلوكوز كما يعطى محلول التراسيلول وتعالج الصدمة والآلام بالمسكنات وقد نضطر لإعطاء المريض حقنة مورفين .

كما يعطى المريض مضادات حيوية وأوكسيجين لمساعدته على التنفس وبعد

إنقاذ المريض يمنع من شرب الكحول البتة ويشرح الطبيب للمريض الأخطار المحدقة به إذا هو همّ بشرب الكحول .

التهاب البنكرياس تحت الحاد :

وتشبه الأعراض هنا الأعراض السابقة التي تحدث في الالتهاب الحاد إلا أن حدتها أخف .. كما تكون نوبات الألم كل ساعتين أو ثلاث وليست مستمرة كما هي في الالتهاب الحاد . وعادة ما تحدث بعد تناول وجبة من الطعام بساعتين .

ويكون العلاج كسابقه ويمنع المريض من شرب الخمور كما ينصح بالإقلال من الدهنيات وتعالج أمراض المرارة إذا كانت موجودة وخاصة الحصوات المرارية التي كثيراً ما تصاحب هذا المرض .

التهاب البنكرياس المزمن :

إن التهاب البنكرياس المزمن يحدث عادة بعد الالتهاب الحاد .. ومن أهم أسبابه شرب الخمور كما أن هناك أسباباً أخرى هامة منها التهاب المرارة المزمن .

ويصاب المريض بسوء الهضم الدائم مع آلام متكررة في أعلى البطن وعادة ما تكون بعد الأكل بساعتين . كما قد يصاب المريض باليرقان (الصفراء) وتكون نوبات الألم حادة في الجزء الأعلى الأيسر من البطن وتحت الضلوع اليسرى ملتفة إلى الخلف باتجاه العمود الفقري .

ولا يسكن الألم إلا بحقن المريض بالمورفين أو مشتقاته وبالفحص المعملي للبراز نجد أن الدهون كثيرة وأن المواد الغذائية من بروتين ونشاء لم تهضم .

ويكون أهم جزء في العلاج الوقائي هو الامتناع عن شرب أي نوع من الخمور البتة .

كما تعالج أمراض المرارة إن وجدت . ويعطى المريض الأنزيمات الهاضمة أثناء الطعام على شكل أقراص .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخمر والكبد

تشريح الكبد :

الكبد هو أكبر غدة بالجسم وتزن حوالي أربعة أرطال (كيلو ونصف) وهو موجود في الجزء العلوي الأيمن لتجويف البطن . وتشغل المراق الأيمن والقسم الشراسيفي وجزءاً صغيراً من الخاصرة اليمنى والمراق الأيسر .

ويغطي البريتون الكبد من كل سطوحها تقريباً عدا فرجتها وجزءاً من سطحها الخلفي ويعرف بالجزء العلوي العاري للكبد .

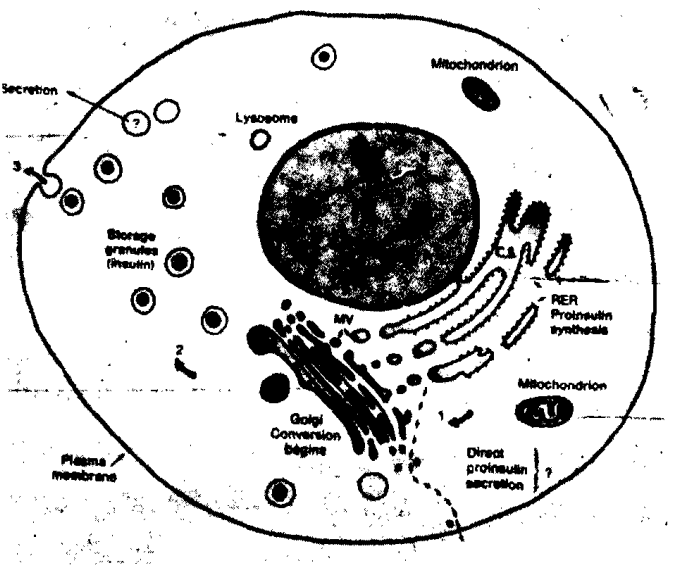

لايزوزوم
(الجسم المذيب)
الريبوزوم
جسم جولجي
ميتوكوندريا

ويغذي الكبد الشريان الكبدي وهو متفرع من الشريان الأبهر (الأورطى) البطني والوريد البابي . ويحمل الدم مع الغذاء المهضوم من المعدة والأمعاء الدقيقة ومن الطحال .

ويخرج الدم من الوريد الكبدي في أعلى الكبد إلى الوريد الأجوف السفلي ومنه إلى الأذين الأيمن للقلب .

ويغذي الكبد من الأعصاب الضفائر الذاتية (Autonomic Plexus) عن طريق الضفيرة السمبتاوية (التعاطفية) (Sympathatic) والعصب الحائر (نظير التعاطفي) .

وتتكون كبد الإنسان من مجموعة من الخلايا على شكل صفوف متراصة من الخلايا الكبدية تشع من الوريد الوسطي وتتخللها ملايين البحيرات الدموية الصغيرة في أقبية ودهاليز بين كل مجموعة من الخلايا .

وتتكون الخلية الكبدية كأية خلية حيوانية من نواة بها مادة الكروماتين (الصبغة) وبالتحليل الكيميائي نجدها مكونة من مادة الـ د . ن . أ (D. N. A.) وهي المسؤولة عن جميع الصفات الوراثية وعن الانقسام فهي تحمل الجينات المسؤولة عن الصفات الوراثية .

أما الستوبلازم فهو مادة بروتينية هلامية تحيط بالنواة وتشغل فراغ الخلية ويوجد به : —

١ – الميتوكوندريا (المصورة الحية) (Mitochondria)

وهي رئة الخلية إذ فيها تحصل أكسدة الجلوكوز (سكر الدم) إلى ثاني أوكسيد كربون وطاقة بواسطة عمليات كيميائية معقدة .. وتحصل الأكسدة بأخذ الأوكسيجين من الدم بواسطة الهيموجلوبين .

وتتم هذه العملية العجيبة ضمن أربعين خطوة كيميائية ويحتفظ الجسم بالطاقة الناتجة على شكل طاقة مخزونة في مادة الـ (A. T. P.) وإلا فإن الطاقة الآتية من أكسدة الجلوكوز كفيلة بإحراق جميع خلايا الجسم .

٢ – الميكروسرم أو الريبوزوم (Ribosome)

وهو مادة عجيبة مكونة من حامض بروتيني هو (ر . ن . أ (R. N. A.)) وهو مركز صناعة البروتينات في الخلية وهو الذي يصنع بروتينات الجسم كما أنه هو الذي يصنع مادة الالبومين (الزلال) والبروثرمبين والمواد المساعدة على تخثر الدم .

كما أنه المركز الأساسي لإزالة السموم والمواد الغريبة سواء كانت هذه السموم ناتجة عن هضم المواد الغذائية أم المواد التي تتكون في الجسم أثناء العمليات المعقدة كالتمثيل الغذائي والأكسدة أم أن هذه المواد أخذناها كعقاقير وأدوية أو كحول أو خلافه .

وكيفما كانت طريقة دخول السموم إلى الجسم فإن الريبوزوم يقوم بمهمة القضاء على هذه السموم بتحويلها إلى مواد غير سامة .

يا له من مصنع عجيب لا يبلغ حجمه ميكروناً واحداً (الميكرون واحد من الألف من الملليمتر أي واحد من المليون من المتر) .

٣ – لايزوزوم (Lysosome)

وهو مجموعة أجسام كثيفة بها أنزيمات هيدرولية (مائية) ووظيفتها كنس الخلية من المواد السامة والمواد المتحطمة أثناء عمليات التمثيل . كما أنها محطة ترسب الصبغات المختلفة الناتجة عن تحطيم كرات الدم الحمراء ومحطة ترسيب مادة الصفراء .

٤ – أجسام جولجي (Golgi Apparatus)

وهي مركز تجميع وتصدير المواد إلى القنيوات الصفراوية .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كيمياء الكبد الحيوية ووظائفه :

تمثيل الصفراء :

إن الجميع يعرفون أن الكبد هي التي تفرز مادة الصفراء التي تتجمع في القنيوات الصفراوية حتى تصبه في المرارة وهناك تتجمع وتتركز وتفرز من المرارة عند وصول الطعام الدهني إلى الاثني عشر .. ولكن القليل هم الذين يعرفون أن المادة الصفراوية ناتجة عن تحطيم كرات الدم الحمراء التي انتهى أجلها ومعدل أجل أية كرة حمراء هو ما بين ٩٠ إلى ١٢٠ يوماً .

وفي كل ساعة من عمرنا تتحطم ١٥٠ مليون كرة دم حمراء ويموت معظمها في الطحال (٨٠ في المائة) وبتحلل كرات الدم هذه يخرج الخضاب (الهيموجلوبين) وهو مكون من مادتين جلوبين وهو بروتين (Globin) وهيم وهو صبغة مادة الحديد .. وتتحول هذه الصبغة إلى مادة صفراء (بيلوروبين) (Bilirubin) .

وتقوم الكبد بإفراز هذه المادة الصفراء في ملايين القنيوات الصغيرة التي تتجمع في القناة الكبدية التي تصب في الحويصلة المرارية (Gall Bladder) حيث تتجمع الصفراء وتتركز . ثم تفرز من الحويصلة المرارية إلى الاثني عشر عند وصول الطعام الدهني إليه .

تمثيل الجلوكوز :

يقوم الكبد بتخزين الجلوكوز من الدم والممتص من الأمعاء ويحول الفائض منه إلى مادة للتخزين وهي مادة الجليكوجين بواسطة عمليات كيميائية معقدة .

كما أن الكبد يحول الجليكوجين إلى سكر جلوكوز ويطلقه في الدم عندما تقل نسبة السكر في الدم عن ٨٠ مجم .

وهكذا تبقى نسبة السكر في الدم ثابتة في حدود معينة لا تزيد عن ١٨٠ مجم حتى بعد أكلة سكرية ونشوية ولا تقل عن ٨٠ مجم حتى بعد صيام ساعات طويلة .

تمثيل البروتينات والأحماض الأمينية :

تقوم الكبد بتخزين الأحماض الأمينية الممتصة من الأمعاء والآتية بواسطة الوريد البابي . وتحويلها في مصنع الخلية الكبدية الميكروسوم أو الريبوزوم إلى بروتينات يحتاجها الجسم مثل الألبومين الزلال والبروترمبين ومجموعة الأنزيمات الضرورية لتخثر الدم .. كما تصنع الكبد العديد من المواد البروتينية كذلك تقوم الكبد بتحويل مادة النشادر السامة إلى مادة البولينا الأقل سمية . والتي تطرد بواسطة الكلي .

تمثيل المواد الدهنية :

تقوم الكبد بتمثيل المواد الدهنية الآتية من الجهاز الهضمي بواسطة الوريد البابي . وتدخلها في دورة كريب لإنتاج الطاقة . كما أن الكبد تقوم بصنع مادة الكوليسترول الضرورية لبناء كثير من الهرمونات مثل هرمونات الغدة الكظرية وهرمون البروجسترون وهرمون التستترون وهرمون الأوستروجين . كما تتحول هذه المادة (الكوليسترول) بواسطة أشعة الشمس فوق البنفسجية تحت الجلد إلى فيتامين د . وتقوم الكبد بإنتاج كميات من المواد البروتينية الدهنية كما تصنع المواد الدهنية الفسفورية الهامة للجهاز العصبي .

كما ترسل الكبد الدهنيات الفائضة عن الحاجة إلى أماكن التخزين في الجسم على هيئة شحم تحت الجلد وخاصة في البطن والأرداف .

ازالة السموم :

وللكبد وظيفة هامة وهي إزالة السموم من الجسم . ومصادر هذه السموم عديدة فمنها ما يتكون أثناء عمليات الهدم والبناء المستمرة في الجسم وقد ذكرنا منها مادة الصفراء (البيليوروبين) التي تتكون من تحطيم كرات الدم الحمراء .

ومنها ما يأتي عبر المواد المهضومة من الأمعاء مثل مادة النشادر . التي يضطر الكبد إلى تحويلها إلى مادة البولينا .

ومنها ما يأتي بواسطة العقاقير والأدوية التي نتناولها بعدة طرق .. فمنها ما نأخذه بطريق الفم ومنها ما نتناوله بطريق الحقن والابر ومنها سموم نتناولها كمزاج ومنها الخمور .

ونكتفي بهذا القدر والمقدمة عن الكبد ووظائفها ولننظر الآن في الخمر كيف تؤثر على الكبد وما الذي تسببه لها من أمراض . بعد أن عرفنا نبذة جيدة عن الكبد ووظائفها .

تأثير الخمر على الكبد :

تقول الدكتورة شرلوك أشهر أخصائية في أمراض الكبد في العالم في كتابها القيم أمراض الكبد الطبعة الرابعة ١٩٦٨«لا يوجد أي شك في أن تليف الكبد يصيب مدمني الخمور أكثر من غيرهم – ففي مقابل كل شخص مصاب بتليف الكبد من غير المدمنين نجد ٨ و ٦ أشخاص من المدمنين مصابين بالتليف الكبدي» .

«وفي البلاد الغربية نستطيع أن نقول بكل ثقة إن تليف الكبد يعتمد مباشرة على كمية الكحول المتعاطاة . إن إصابة الكبد وتحطمها يعتمد على كمية الكحول المتعاطاة وعلى المدة . فالاستمرار في تعاطي الكحول لمدة عشر سنوات يؤدي إلى إصابة شديدة بالكبد» .

وفي الولايات المتحدة يعتبر تليف الكبد الناتج عن شرب الخمور السبب الرابع للوفيات كما أن نسبة الوفيات الناتجة عن تليف الكبد الكحولي عالية جداً في

أوروبا وبالذات في فرنسا ووسط أوروبا حيث يستخدم النبيذ بكثرة على موائد الطعام (من كتاب «مواضيع في العلاج» إصدار الكلية الملكية للأطباء بلندن عام ١٩٧٨) .

وقد كان الاعتقاد السائد في الدوائر الطبية إلى ما قبل اكتشاف المجهر (الميكروسكوب) الالكتروني أنه لا بد لكي تؤثر الخمر على خلايا الكبد من مرور سنين طويلة مع استمرار تعاطي الخمور ، ولكن هذا الاعتقاد أصبح زائفاً بعد اكتشاف المجهر الالكتروني .

فالمجهر الالكتروني يرينا تغيرات هامة في كل مكونات الخلية الكبدية بمجرد تناول جرعة واحدة من الخمر وفي خلال أربع وعشرين ساعة من حين تناولها .

فالميتوكوندريا التي تحدثنا عنها وقلنا عنها إنها رئة الخلية وفيها يتحول الجلوكوز (سكر الدم) إلى طاقة وثاني أوكسيد الكربون وماء بعمليات أكسدة معقدة جداً .. هذه الميتوكوندريا تصاب بتغيرات مرضية وتفقد قدرتها على العمل خلال ٢٤ ساعة من تناول جرعة واحدة من الخمور .

صورة لكبد متليفة نتيجة شرب الخمور

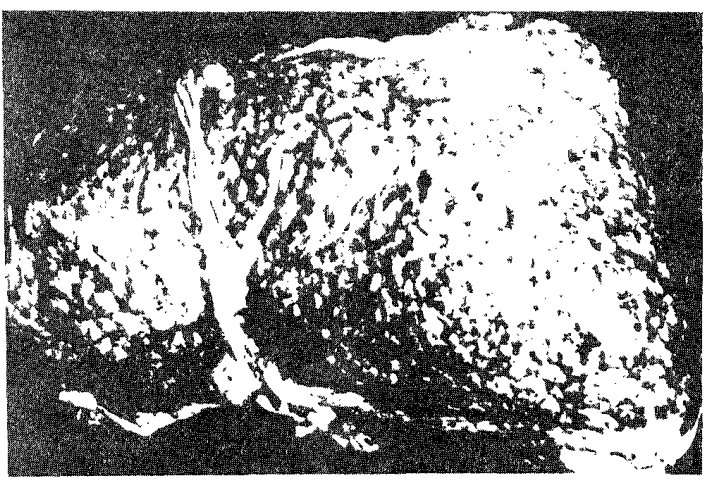

كما أن المصيبة الأعظم والأنكى تصيب النواة .. وتصيب بالذات الحامض النووي الذي به سر الحياة .. هذا الحامض العجيب الذي يحمل في طياته الصفات الوراثية من أجدادنا وآبائنا وأمهاتنا .. ويحمل لنا صفات الطول أو القصر وصفات البدانة أو النحافة ولون البشرة ولون العينين كما يحمل لنا كثيراً من الأمراض الوراثية وكثيراً من الاستعدادات للأمراض كما يحمل لنا الاستعداد للصفات الشخصية والأخلاقية .. وتتفاعل هذه مع البيئة لتكون أخلاقنا وشخصياتنا وأحلامنا وأمراضنا باختصار تكون مع البيئة كل شيء لدينا من ضعف وقوة ومن مرض وصحة .

وهذا الحامض النووي يتجمع على شكل الصبغيات (الكروموسومات) وهي المسؤولة عن انقسام الخلية . وإذا عرفنا أن عمر الخلية الكبدية يتراوح بين مائتين إلى أربعمائة يوم وأن هناك الملايين من الخلايا الكبدية التي تموت كل ساعة وتستبدل بغيرها عرفنا أهمية الانقسام وأهمية الصبغيات (الكروموسومات) إذ لولا الانقسام لما أمكن استبدال الخلايا التي هلكت ولاقت حتفها بخلايا جديدة .

وهكذا تؤدي الخمر إلى حتف الخلايا وهلاكها كما أنها تؤثر على الحامض النووي فيمنع الخلية من القدرة على الانقسام .. ولا يكون أمام الكبد من شيء إلا أن تستبدل الخلايا الكبدية بألياف جامدة ميتة لا تستطيع أن تؤدي شيئاً من وظائف الكبد .. التي أفضنا ذكرها في الصفحات القليلة الماضية .

وبعد ثلاثة أيام إلى عشرة من شرب جرعة واحدة من الخمر تظهر التغيرات الدهنية في الخلية الكبدية .

فنحن قد شرحنا كيف أن الكبد يقوم بتمثيل الدهون كما أن الكبد يقوم بتحويل هذه الدهون إلى مركب دهني بروتيني وإلى مركب دهني فسفوري .. فالدهون الممتصة من الأمعاء تتجمع في الخلايا الكبدية دون أن تتحول إلى طاقة بواسطة دورة كريب .. وتتجمع بهذا كمية كبيرة من الدهون كما تفقد الكبد قدرتها على صناعة المركبات الدهنية البروتينية والمركبات الدهنية الفسفورية .. ومحطة تكوين مثل هذه المركبات هو ميكروسوم (ريبوزوم) الخلية الكبدية .

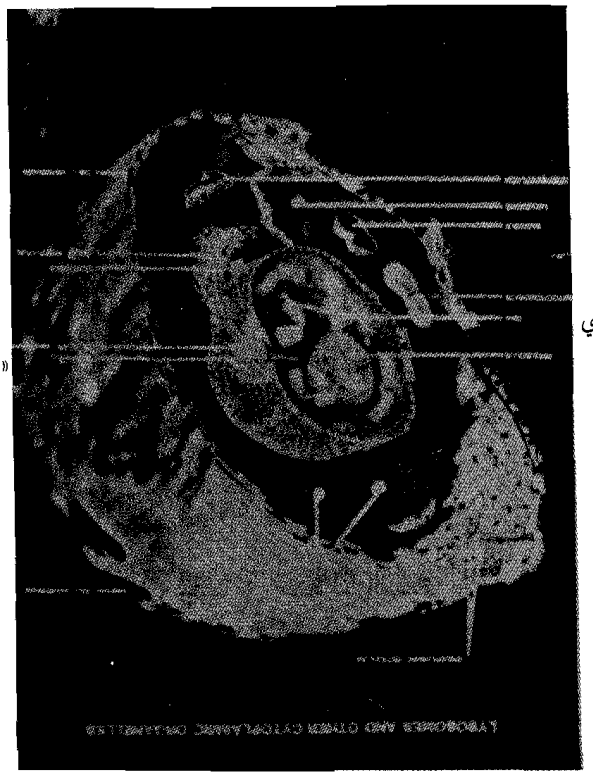

صورة توضيحية للخلية

كما تزداد كمية الدهون الآتية من المخازن الدهنية بالجسم ، (تحت الجلد) ولكن احتراقها وتحولها إلى طاقة أمر قد أصبح عسيراً على الكبد .

فيتجمع بذلك الدهن من ثلاثة مصادر :

(١) الدهنيات الغذائية الممتصة من الأمعاء .

(٢) فشل الكبد في إحراق الدهون وتحويلها إلى طاقة .. وكذلك فشل الكبد في تكوين مركبات دهنية بروتينية ومركبات دهنية فسفورية . كما تفشل الكبد في نقل الأحماض الدهنية إلى سائر الجسم .

(٣) زيادة كمية الدهون الآتية من المخازن الدهنية في الجسم .

وكل هذا بتأثير الكحول .

هكذا نرى بالميكروسكوب الالكتروني تغييرات مرضية في النواة . وتغييرات مرضية في الميتوكوندريا وتغييرات مرضية في ميكروسوم الخلية الكبدية . وتغييرات في جسم جولجي بل أن السيتوبلازم نفسه يرينا تغييرات دهنية .. إذ تتجمع الدهون في سيتوبلازم الخلية الكبدية .

ولولا المجهر الالكتروني لبقينا في ضلالنا القديم نعتقد أن الخمر لا يمكن أن تؤثر على الكبد إلا إذا تعاطاها الشخص لسنين وأحقاب طويلة .

ويقول الدكتور فولساندر في كتابه : مشاكل الكيمياء الحيوية في دراسة عن الكحول (Biochemical Problems in Alcohol Studies) أن جرعة واحدة من الكحول تستطيع أن تسبب دهنية الكبد . وكلما زادت كمية الكحول وزادت المدة الزمنية التي تتعاطى فيها كلما زادت دهنية الكبد . وفي خلال ٢٤ يوماً فقط من استخدام الكحول تزداد الدهون (ثلاثي الحلوين Triglycerides) إلى ثمانية أضعاف ما كانت عليه قبل شرب الخمور .

وها هو المجهر الالكتروني يكشف زيف معتقداتنا السابقة ، كما أن هناك اعتقاداً زائفاً أبانت المكتشفات العلمية الحديثة خطأه .. ذلك الاعتقاد بأن إصابة الكبد بالتليف عند مدمني الكحول ليس ناتجاً عن الآثار السمية المباشرة للخمر وإنما هو ناتج عن نقص البروتين والفيتامينات في غذاء مدمن الخمر .

ونحن لا نشك في أن مدمن الخمر يعاني من سوء شديد بالتغذية ولكن التأثيرات الكبدية ليست نتيجة سوء التغذية فقط . فقد ثبت أن سوء التغذية تسبب

التغييرات الدهنية فحسب [1] .. ولكن موت الخلايا والتأثيرات المرضية (الباثوليجية) على النواة وعلى الميتوكوندريا وعلى أجسام جولجي وعلى الميكروسوم .. كل هذه التغيرات هي نتيجة للآثار السمية المباشرة للخمر على الخلايا الكبدية .. وليس لها أدنى علاقة بسوء التغذية إذ تظهر هذه التغيرات إثر جرعة واحدة .. ولا يعقل أن يصاب شخص ما بأمراض سوء التغذية من جراء جرعة واحدة من الخمر .

كذلك هناك وهم شائع من أن بعض الخمور فقط هي التي تسبب التليف الكبدي فقد كان يظن أن البيرة والأنبذة هي التي تؤدي إلى التليف الكبدي ولكن الويسكي والجين لا تؤدي إلى ذلك .

ولكن الواقع الطبي يثبت أن الخمور كلها تؤدي إلى نفس النتيجة ولم يثبت قط أن هناك خمراً أقل ضرراً من خمر أخرى .

كما قد يظن البعض أن البيرة تعتبر أخف ضرراً من الخمور الأخرى لأنها أولاً تحتوي على نسبة منخفضة من الكحول وثانياً تحتوي على كمية ضئيلة من البروتين وفيتامين الياسين ولكن الكمية الموجودة .. من الفيتامين والبروتين ضئيلة جداً (١٠ مجم في كل لتر) وقد ثبت أن البيرة تؤدي إلى التليف (التشمع) الكبدي مثلها مثل الأنبذة والويسكي .

ولعل غير شاربي الخمر لا يعرفون أن كأساً من الويسكي (عادة كأس صغيرة تحتوي على ثلاثين سنتي) تساوي كأساً من البيرة (عادة كأس كبيرة تحتوي على نصف لتر أو باينت) .

---

(١) أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة جداً أن التغييرات الدهنية في الكبد هي نتيجة التأثيرات السمية المباشرة للكحول على الاستقلاب . فهي تزيد من الدهنيات الغذائية الممتصة من الأمعاء كما أن الكحول تذيب الدهون الموجودة في مخازن الجسم تحت الجلد وتطلقها على هيئة أحماض دهنية إلى الكبد حيث تتجمع فيها .. كما أن الكحول تمنع الجسم من استخدام الدهون في إطلاق الطاقة وتمنع أيضاً تحرك الدهون من الكبد .. وبذلك تتجمع الدهون في الكبد من كل حدب وصوب وتسبب دهنية الكبد .

وإذا رأيت مجلس شراب فإنك ترى هذا بيده كأس ويسكي وهذا بيده كأس شمبانيا وذلك بيده كأس بيرة .. وإذا قست كمية الكحول في كل من هذه الكاسات لوجدتها متساوية تماماً . .

فكأس الويسكي أو البراندي صغيرة وكأس الشمبانيا أو الأنبذة أكبر قليلاً أما كأس البيرة فكبيرة وتسع نصف لتر .

فإذا شرب امرؤ ما ثلاث كاسات من الويسكي أو ثلاث كاسات من النبيذ أو ثلاث كاسات من البيرة فإن النتيجة تكون واحدة ويرتفع الكحول في دمه إلى نسبة ٥٠ مجم في خلال ساعة ونصف من شرب هذه الكمية . كما أن بعض الأنبذة بها مادة ثاني أكسيد الكربون مثل الشمبانيا فبمجرد فتح قارورة الشمبانيا تسمع لها فرقعة وذلك لتطاير الغاز منها . كما ترى الخمر في الكأس وقد حفها الحبب كما وصفها أبو نواس وهذا الحبب ليس إلا ثاني أكسيد الكربون .

أما الويسكي فليس به ثاني أكسيد الكربون ولذا نرى معظم شاربي الويسكي يضيفون إليه الصودا والصودا شراب مليء بثاني أكسيد الكربون .

عندئذ يتساوى تماماً كأس الويسكي بكأس الشمبانيا حتى في الحبب الذي يغرم به مدمنو الخمور وشعراؤها .

أما فائدة ثاني أكسيد الكربون هذا أو بالأحرى مضرته هو أنه يزيد من قدرة الجهاز الهضمي على امتصاص الكحول .. ويجعل الامتصاص أسرع والوصول إلى مرحلة السكر والعربدة أقرب .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن مرضى سوء التغذية من غير المدمنين لا يصابون قط بالتليف الكبدي رغم إصابتهم بزيادة الدهن في الكبد مثل مرض كواشركور . وهو مرض يصيب الأطفال بعد سن الرضاعة عندما يكون غذاؤهم فقيراً جداً في المواد البروتينية وغنياً بالنشويات .. إذا أضفنا ذلك فالأدلة تتضافر في أن سوء

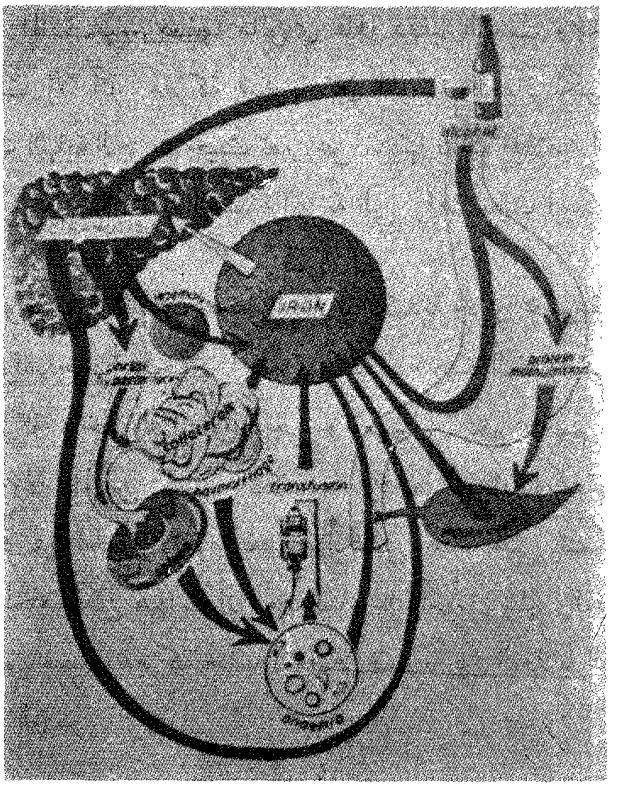

صورة توضح آثار الخمر على الجهاز الهضمي

التغذية ليس هو السبب في التليف الكبدي وليس هو السبب في التهاب الكبد الذي نجده عند متعاطي الكحول .

وإنما السبب في ذلك أن الكحول (الخمور) سم ناقع يصيب الخلايا الكبدية فيسبب مرضها وهلاكها . وإذا نظرنا في المجهر وفحصنا الخلايا الكبدية لشخص تعاطي الخمور نجد التغييرات التالية :

نرى مجموعة من الخلايا وهي في طريقها إلى حتفها ، بينما نرى مجموعة أخرى من الخلايا قد هلكت وماتت . ونرى مادة هلامية حمراء تحتل مكان الصدارة

من الخلية ، تلك المادة التي وصفها مالوري فإذا دققنا البحث وجدنا أن هذه المادة الهلامية ليست إلا آثار معركة ضارية بين الموت والحياة لمكونات الخلية الكبدية وتنتهي تلك النهاية الحزينة حيث تعبر عن نهايتها بتلك الهلامية التي لا شكل لها وتعبر عن ضراوة معركتها بتلك الحمرة القانية التي نراها تحت الميكروسكوب .

كما نرى مجموعة من الألياف تتخلل الخلايا الكبدية ونرى مجموعة من الخلايا الآكلة الوحيدة النواة تحيط بالخلايا الهالكة .. وظيفة هذه الخلايا هي أن تسرع لكنس ميدان المعركة وأخذ القتلى والجرحى وبلعهم .. نعم بلعهم فلا بد من إزالة آثار المعركة ولا بد من كنس المكان .. وهذه الخلايا وظيفتها أن تبادر إلى ميادين المعارك في الجسم وتقوم بعملية الكنس هذه حتى تتمكن الخلايا السليمة من إعادة البناء ولكن هيهات أن يعاد البناء على أساس سليم والخمر لا تزال تشرب . كل كأس يسبب معركة جديدة وقتالاً ضارياً بين الخلايا الكبدية وبين السم الناقع المسمى الخمر .

هيهات هيهات أن يتاح للخلايا البناء ما دام السم يصل إليه كل يوم إذن متى وكيف تستطيع الخلايا إعادة البناء ؟ الأمر سهل وميسور جداً في أول الأمر وذلك بالامتناع عن شرب الخمور وترك الأمر لخلايا الكبد السليمة تصلح ما أفسدته الخمور فتقوم الخلايا الآكلة بمسح ميدان المعركة وإزالة الآثار والأنقاض والركام ثم تقوم الخلايا الكبدية السليمة بإعادة البناء .

نعم يمكن ذلك ولو كان الشخص قد قام بمهاجمة خلاياه بالخمر لمدة عشر سنوات .

ولكن هل هناك مرحلة تكون الكبد قد أصيبت بحيث لا يمكن الاصلاح ؟ نعم هنالك أيضاً مرحلة يصبح الإصلاح فيها عسيراً . وذلك عندما تتليف الكبد ومع هذا فالاستمرار في شرب الخمر لا يؤدي إلا إلى المزيد من التلف والبوار .

ولا بد للإبقاء على ما تبقى من الخلايا الكبدية ولو كان قليلاً من التوقف فوراً عن شرب هذا السم الناقع المدعى الخمر .

ولكن هناك سؤالاً : كيف تدخل الخمر إلى الكبد ؟ وكيف تسبب هذه الآثار السمية المرعبة ؟

سنحاول أن نشرح ذلك ونبسط قدر الاستطاعة .. ولست أزعم أن العلم قد كشف الستار عن كل التفاصيل في هذا الصدد بل أن هناك كثيراً من المجاهيل ولا يزال العلم يكشف واحداً منها كل يوم .. والأمر العجيب حقاً أنه بازدياد التقدم العلمي ونموه وازدياد المعلومات تزداد الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة وتزداد بذلك المجاهيل فبقدر ما تعرف تكون مجهولاتك . فإذا عرفت قليلاً جهلت قليلاً وإذا عرفت كثيراً جهلت كثيراً .. أمر غريب أليس كذلك ؟ وليس له من جواب إلا أنه فوق كل ذي علم عليم .

تمتص الكحول من الجهاز الهضمي : المعدة ، والاثني عشر بسرعة فائقة وتذهب في الدورة الكبدية البابية بواسطة الوريد البابي إلى الكبد .. وفي خلال ساعة ونصف يكون الامتصاص تاماً منذ بدء تناول الكحول وكما شرحنا من قبل فإن الامتصاص يكون أسرع إذا كانت المعدة خالية وإذا كانت نسبة الكحول من ١٠ إلى ٢٠ في المائة .. كما أن ثاني أوكسيد الكربون في الخمر مثل الشمبانيا أو الصودا مع الويسكي تزيد من سرعة الامتصاص .

صورة بالمجهر للخلايا الكبدية وقد استبدلت بخلايا ليفية وخلايا ميتة تظهر على شكل هلامي

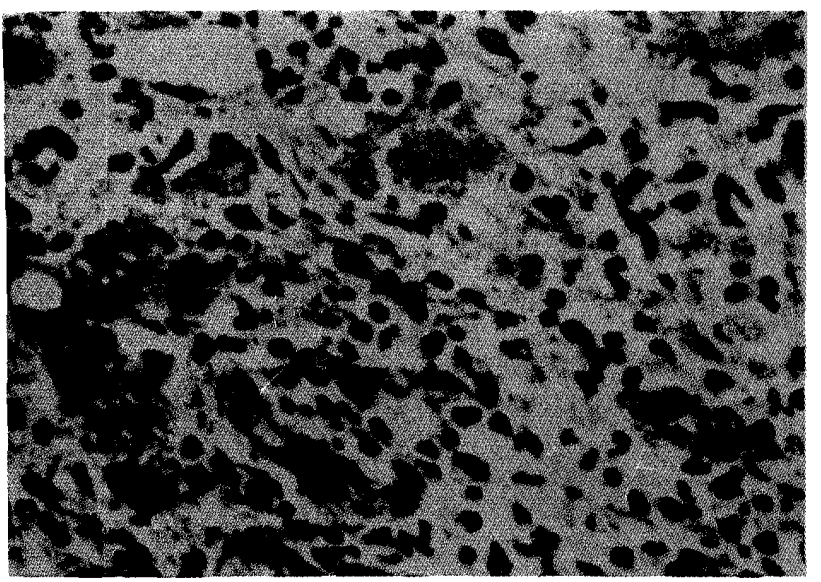

مادة هلامية حمراء وهي عبارة عن خلايا كبدية لاقت حتفها نتيجة شرب الخمور

فإذا وصل الكحول إلى الكبد تحول ذلك إلى مادة الاستيلدهيد بواسطة أنزيم في الكبد وهذا يتحول بواسطة أنزيم آخر إلى حامض الخليك .

ويتحول حامض الخليك بواسطة أنزيم يدعى كوانزيم «أ» إلى مركب حامض الخليك مع كوانزيم الذي يتحول بدوره إلى أحماض دهنية أو يدخل دورة كريب . أو إلى ثاني أكسيد الكربون وماء وطاقة .

وتزداد بذلك كميات الدهون في الكبد . كما تفقد الكبد قدرتها على تكوين مركبات دهنية بروتينية أو مركبات دهنية فسفورية .

ويتحول حامض البروفيك إلى حامض اللبنيك بدلاً من دخوله دورة كريب الهامة .

وبالتالي تزداد حموضة الدم كما يقل تحول البيروفيك إلى دورة كريب وبالتالي تظهر آثار نقص السكر في الدم .

Ethanol	الكحول الأثيلي
↓ Alcohol Dehydrogenase	↓
Acetyl dehyde	أستيلدهيد
↓ Aldehyde Dehydrogenase	↓
Acetic Acid	حامض الخليك (الخل)
↓	↓
+ Co.a	حامض الخليك مع كوانزيم
	↓
	دهون دورة كريب ← ثاني أوكسيد كربون وماء وطاقة

Acetyl co.a ⟶ Krebs Cycle ⟶ $CO_2 + H_2O$ + Energy

أما الدهون (الأحماض الدهنية والتراجلسريد) فتزداد في الكبد وتزداد في الدم مما يسبب دهنية الدم .

وتترسب بالتالي الدهون في جدر الأوعية الدموية كلها شاملة بذلك الأوعية التاجية التي تغذي القلب مما يسبب تصلب الشرايين والذبحة الصدرية والنوبات القلبية والنوبات الدماغية .

أما التأثيرات السمية المباشرة للكحول على الميتوكوندريا والنواة وعلى الميكروسوم وأجسام جولجي فأمور معقدة لم يكشف العلم عنها بعد .. ولكنها تحدث بواسطة تأثيرات الكحول على الأنزيمات (الخمائر) الموجودة بها .

كما تسبب الخمر سوء تغذية شديد . أما كيف يتم ذلك ؟ فأمر ميسور شرحه .

تسبب الخمور التهابات شديدة في الجهاز الهضمي ابتداء بالفم وانتهاء بالأمعاء مروراً بالبلعوم فالمريء فالمعدة كما سبق وأن ذكرنا .

ونتيجة لذلك تقل شهية المريض ويتكرر القيء كما أن كثيراً من المدمنين لا يهتمون بالطعام أصلاً لانشغالهم بالخمر كما أن المدمن يفقد عمله في الغالب نتيجة إدمانه فيقل دخله . وتقل قدرته على شراء الغذاء الجيد ويكوّن غذاء المدمن فقيراً في البروتينات والفيتامينات .

كما تقل قدرة الجهاز الهضمي على الامتصاص نتيجة الالتهابات المتكررة .

كما أننا نعلم أن الكحول مادة تحتوي على سعر حراري عال . ويحتوي كل جرام على سبع وحدات حرارية . وهذه تحتاج إلى كمية هائلة من فيتامين ب ١ (الثيامين) .

كما أن الحاجة إلى مادة الكولين التي تفرزها الكبد تزداد لمواجهة زيادة الدهون في الكبد . والكبد مريضة نتيجة تأثير الكحول وتقل قدرتها على صنع هذه المادة وإفرازها .

هكذا نرى الكحول تزيد من حاجة الجسم إلى بعض المواد الهامة في الوقت الذي تمنع الجسم فيه من صنع هذه المواد .. كما أنها تمنع الشخص بفقدان الشهية والقيء المتكرر من القدرة على أخذ الطعام الجيد .. فإذا صادف وأخذ ذلك الطعام فإن المعدة والأمعاء والبنكرياس ترفض أن تهضمه . ثم ترفض الأمعاء بعد ذلك أن تمتصه دائرة مغلقة . ليس منها فكاك . لا المال موجود لشراء طعام جيد فإذا وجد المال فالشهية غير موجودة ، فإذا أرغم المرء نفسه على ذلك فالمعدة والأمعاء والبنكرياس ترفض أن تهضم ما أعطيت وتقيأته . ثم تأتي الأمعاء الدقيقة وترفض أن تقوم بمهمتها ألا وهي الامتصاص .. فإذا وصل إلى الكبد كانت إصابتها وانشغالها بما هي فيه من نوائب تمنعها من أداء وظائفها المتعددة .. فيقل جلوكوز الدم كما يقل تمثيل المواد الدهنية فتزداد كما يقل صنع البروتينات ويقل صنع الفيتامينات التي تصنع في الكبد .

هكذا تتجمع المصائب من كل حدب وصوب ، فتظهر آثار نقص التغذية الشديدة بالإضافة إلى آثار التليف الكبدي .

وسنوجز هذه الآثار فيما يلي :

١ – خلل وظائف الكبد :

ووظائف الكبد متعددة كما أسلفنا فتمثيل المواد السكرية يضطرب ويقل مخزون الكبد من الجليكوجين ولذا يقل سكر الدم حين الحاجة إليه ويصاب الشخص بنوبات إغماء نتيجة نقص السكر في الدم كما يصاب بهياج شديد قبل ذلك وارتعاش . ويتصبب منه العرق وتتسع حدقة العين . أما إذا كان المريض مصاباً بمرض السكر ويتعاطى أقراصاً مثل الدايبنز فإن سكر الدم ينخفض انخفاضاً مفاجئاً ويسبب الإغماء .

أما إذا كان المريض يتناول مادة البيجوانيد مثل الفينفورمين أو الميتفورمين

لمعالجة السكر فإن المصيبة تكون أعظم .. فتزداد حموضة الدم لدرجة خطيرة كما تزداد نوبات الإغماء نتيجة نقص السكر في الدم .

أما تمثيل المواد البروتينية فيضطرب أيما اضطراب ومن المعروف أن الكبد هي أهم مصنع لهذه المواد فهي تصنع الالبومين (أهم مادة في بلازما الدم) كما تصنع أيضاً الجلوبيولين (مادة هامة في البلازما) وتصنع أيضاً مادة البروثرميين كما تصنع العديد من الانزيمات (الخمائر المسؤولة عن التخثر مثل العامل السابع وعامل هاجمن) .

وينتج عن ذلك نقص في بروتينات بلازما الدم مما يؤدي إلى الاستسقاء والأوديما (الانتفاخ المائي) كما يؤدي نقص البروثرمبيين وخمائر التخثر إلى كثرة النزف من الجسم وقد يفيد حقن المريض بفيتامين ك وقد لا يفيد وخاصة إذا كانت الإصابة بالكبد بالغة .

أما تمثيل المواد الدهنية فيضطرب أيما اضطراب وتزداد الدهون (الأحماض الدهنية والتراجلسيريد) بالكبد والدم في الوقت الذي تقل فيه قدرة الكبد على صنع المواد الدهنية – البروتينية كما تقل قدرتها على صنع المواد الدهنية الفسفورية . أما وظيفة الكبد الهامة بإفراز الصفراء (البيليوروبين) الناتجة عن تحطم كرات الدم الحمراء التي انتهى أجلها في الطحال فتتأثر من عدة نواح .. ففي حالات الإدمان تتضخم الطحال وتزداد قدرتها على تحطيم كرات الدم الحمراء فتحطم أكثر من ١٥٠ مليون كرة دم حمراء في الساعة وهو الحد الأعلى الطبيعي بل وقد تصل قدرة الطحال على تحطيم أضعاف هذه الكمية فتصل إلى ثلاثمائة مليون كرة دم حمراء في الساعة .

وبذلك تزداد كمية البيليوروبين (الصفراء) الناتجة من تحطيم هذه الكرات الحمراء .

هذه واحدة أما الثانية فهي أن الكبد تفقد قدرتها على إفراز هذه المادة إلى المرارة .. فترتفع نسبة الصفراء (البيليوروبين في الدم) من حدها الأصلي ١ مجم في

كل مائة سنتي من الدم إلى ٣ أو ٤ مليجرامات . ويؤدي ذلك إلى اصفرار الجسم واصفرار الملتحمة واصفرار إفرازات الجسم عامة وأهمها البول .

وإذا ارتفعت نسبة البيليوروبين في الجسم أدى ذلك إلى حكة شديدة . كما تفقد الكبد قدرتها على إزالة السموم من الجسم وأهم هذه السموم هي مادة النشادر (الأمونيا) التي تتكون في الأمعاء من التخمر البكتيري للمواد البروتينية وتزداد هذه الكمية من المواد السامة الأخرى . فتسبب النوبات الكبدية الدماغية .

ويؤدي ارتفاع نسبة السموم في الدم إلى التأثير على نشاط المخ . وخاصة المناطق المخية العليا . فتقل سرعة الموجات الكهربائية من ١٣ للشخص السوي إلى ثلاثة أو أربعة وتكون هذه الموجات بطيئة وعالية الذبذبة وترتعش اليدان وترتجفان ويكون ارتجافهما شبيهاً بارتجاف أجنحة الطائر كما تكون الراحتان محتقنتين . وتضطرب العاطفة والسلوك نتيجة الآثار السمية على المخ .. ويكون المريض جذلاً ثم تنقلب حالته فجأة إلى الغم والحزن والسوداوية .. كما يفقد قدراته العقلية بالتدريج ويكون سلوك المريض شاذاً وقد يتبول في الطريق العام .

وتختلف هذه الحالة عن حالة السكران وليست ناتجة عن تأثير الكحول على الجهاز العصبي وإنما هي ناتجة عن آثار المواد السامة من الكبد .. وقد يكون المريض أقلع عن شرب الخمر منذ سنوات ولكن التليف الذي وصل إليه الكبد كان متقدماً ولم يمكن إصلاحه .

كما أن قدرة المريض على الكتابة تفقد وتضطرب يده أيما اضطراب عند إمساكه القلم ولا يستطيع أن يكتب بخط واضح مفهوم .

كما أن قدرته على رسم الأشكال البسيطة مثل رسم نجمة أو تشكيلها بأعواد الكبريت تفقد تماماً .

وتنتهي هذه الحالة بالغيبوبة فالإغماء التام .. ويكون التنفس بالغ الصعوبة كما تكون البطن منتفخة نتيجة الاستسقاء .. وترتفع درجة حرارة المريض .

صورة لمريضة مصابة باليرقان (الصفراء) نتيجة ازدياد كمية البيليروبين في الدم والتي تكثر عند مدمني الخمور .

وكلما سحب سائل الاستسقاء من التجويف البطني يتجمع بسرعة مذهلة .. تشبه تلك السرعة التي يتجمع بها السائل في حالة الإصابة بالسرطان البريتوني .

ويكثر الإسهال والقيء ويفقد المريض مادة البوتاسيوم .. كما تحدث حالات نزف شديد من المريء والمعدة .

وأي واحد من هذه المضاعفات قد يؤدي إلى الوفاة .

وإذا وصلت حالة المريض إلى هذه المرحلة الخطيرة وهي مرحلة النوبات الكبدية فإنه لا يوجد أي علاج يستطيع أن يشفي المريض من حالته .

ولكن هناك علاجات كثيرة تخفف من تلك الحالة وقد يعيش المريض عدة سنوات بالعلاج المتواصل رغم حالته الخطيرة .. ولكنه في النهاية يلاقي حتفه .

ومعظم الحالات لا تعيش أكثر من سنتين بعد الإصابة بالنوبة الكبدية الدماغية .. وواقع الأمر أن كثيراً من هذه الحالات تتوفى بعد أول نوبة .

٢ – آثار التليف الميكانيكي :

بما أن الوريد البابي الذي يحمل الدم من الجهاز الهضمي والطحال يصب في الكبد فإن الضغط في هذا الوريد يزداد عند وجود التليف بالكبد .. إذ أن التليف يضغط على هذه الأوردة في الكبد ويعيق مرور الدم بها فيرتفع الضغط . ويؤدي ارتفاع الضغط هذا إلى :

أ – تضخم الطحال :

وتتضخم الطحال فتبلغ عدة أضعاف حجمها ووزنها العادي .. ولا نستطيع أن نحس الطحال السليمة بالفحص الاكلينيكي إلا بعد أن يتضاعف وزنها ثلاث مرات .. أما مريض التليف الكبدي فتتضخم طحاله إلى عشرات المرات ويؤدي تضخم الطحال إلى زيادة قدرتها في تحطيم كرات الدم الحمراء فتزداد بذلك الأنيمياء (فقر الدم) كما تزداد بذلك كمية البيليوروبين (الصفراء) بالدم .

ب – ازدياد الضغط بالوريد البابي ومنع الدم من التدفق في الكبد إلى الوريد الأجوف السفلي يؤدي إلى أن يبحث الدم عن وسائل وطرق أخرى يصل بها إلى الوريد السفلي فيزداد الاتصال بين الدورة البابية والدورة العادية .

وتتضخم لذلك الأوعية الدموية في أسفل المريء وتكثر البواسير كما تكثر الأوعية الدموية على جدار البطن . وهذه الثلاثة تشكل أهم وسائل الاتصال بين الدورة البابية والدورة العادية .

صورة لمريض
مصاب بالاستسقاء
لاحظ انتفاخ البطن
وامتلائها بالسائل البريتوني
ولاحظ تمدد الأوعية
الدموية على جدار البطن
نتيجة زيادة الضغط في
الدورة البابية الكبدية
الناتجة عن تليف الكبد .

وهكذا يجد الدم طريقة أخرى إلى الوصول إلى الوريد الأجوف السفلي بعد أن سدت أمامه المنافذ في الكبد .. ولكن لهذا الطريق الجديد ثمناً باهظاً .

ج - النزف المتكرر :

وأول ثمن لذلك هو البواسير المزعجة التي تنزف نزفاً شديداً من حين لآخر كما أن الاتصال بين الدورتين في المريء يؤدي إلى بواسير أخرى هناك هي دوالي المريء ويؤدي ذلك إلى نزف شديد من المريء .

وقد يكون من العسير إيقافه وقد تنتهي بهلاك المريض وملاقاته حتفه . وتزداد الإصابة بالنزف للأسباب التالية :

١ – قلة المواد الهامة التي تصنعها الكبد السليمة عادة لمنع النزيف وهي البروترومبين والصفائح والأنزيمات الهامة في التخثر مثل عامل سبعة .

٢ – نقص امتصاص فيتامين ك من الأمعاء .

٣ – ازدياد تحطيم الصفائح في الطحال المتضخمة .

٤ – الدوالي الموجودة في المريء والتي تنزف بمجرد أكل المواد الجافة أو بوصول مادة حامضة أو بتكرر القيء .

٥ – البواسير الموجودة في الشرج .

وهذا النزف المتكرر يؤدي إلى فقر الدم .

والمصيبة أن فقر الدم هنا يأتي من كل جهة ومن كل حدب وصوب :

١ – نقص امتصاص الحديد في الطعام .

٢ – نقص امتصاص الفيتامينات المطلوبة مثل حامض الفوليك وب ١٢ .

٣ – نقص المواد البروتينية اللازمة لبناء كرات الدم الحمراء .

٤ – زيادة تكسير وتحطيم كرات الدم الحمراء في الطحال .

٥ – نقص عمر كرات الدم الحمراء من معدلها ١٠٠ يوم إلى ٥٠ يوماً .

٦ – النزف المتكرر الذي يفقد الجسم كمية ضخمة من الدم لا يمكن تعويضها ويؤدي ذلك إلى فقر الدم الشديد والشحوب ويؤثر فقر الدم على القلب فيصيبة بالوهط فتتمدد عضلة القلب ونسمع لغطاً عندما نضع السماعة على قلب المريض .

كما تؤثر الأنيمياء (فقر الدم) على تغذية المخ إذ أن الخضاب (الهيموجلوبين) هو المادة التي تحمل الأوكسجين من الرئتين وتوزعه على أنسجة الجسم وخلاياه .

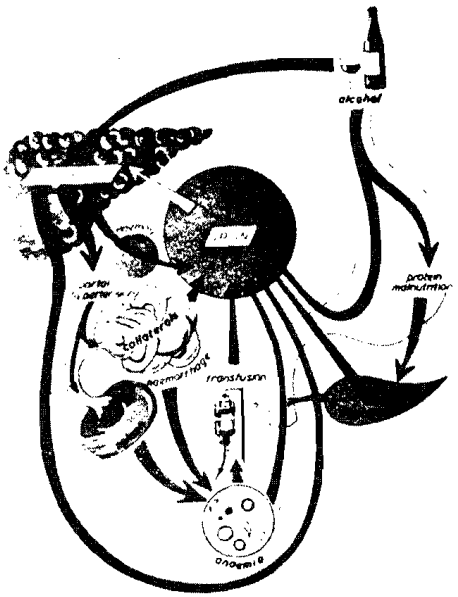

آثار الكحول على الجهاز الهضمي ، وعلى الكبد بصورة خاصة حيث تسبب تليف الكبد مما يسبب ارتفاع ضغط الدم في الدورة البابية الكبدية التي ينتج عنها تضخم الطحال والبواسير ودوالي المريء حيث يتكرر النزف منهما ، مما يسبب فقر دم شديد .

والمخ حساس جداً لنقص الأوكسجين .. كما يقل أيضاً الجلوكوز (سكر الدم الذي هو الغذاء الأساسي للمخ) .

فيتأثر المخ من كل ناحية .

تأثير مباشر للكحول قد أفضنا في شرحه .

وتأثير غير مباشر عن طريق تصلب الشرايين الذي تسببة الكحول .. وعن طريق الأنيمياء التي تسببها الخمور وعن طريق نقص السكر في الدم الذي تسببه

هذه السموم – وعن طريق النشادر والمواد السامة الأخرى التي لا تستطيع الكبد التخلص منها نتيجة لإصابة الكبد بالتليف نتيجة شرب الخمور .

فيا لها من حالة رثة كريهة .

الأمراض تعتور كل الأجهزة .. ومرض أي جهاز يؤثر على بقية الأجهزة . والجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

دائرة مقفلة ومرض أي عضو يؤدي إلى أمراض أخرى في أعضاء أخرى وهكذا .

أنظر إلى جلد مريض مدمن الخمر مثلاً تجده شاحباً نتيجة فقر الدم وتجده جافاً متشققاً نتيجة نقص الفيتامينات ومنها مرض البلاجرا الخبيث وتجد الجلد مصفراً نتيجة لارتفاع نسبة الصفراء (البيليوروبين) بالدم بسبب تليف الكبد وتجد بالجلد آثار نزف تحت الجلد نتيجة نقص المواد الهامة التي تمنع النزيف .

وتجد تمدداً في الأوعية الدموية الشعرية مما يسبب وجود عناكب دموية منتشرة على جلد الرقبة والوجه وأعلى الصدر . وتعتبر هذه علامة مميزة لتليف الكبد ويبحث عنها الطبيب عند فحصه للمريض .

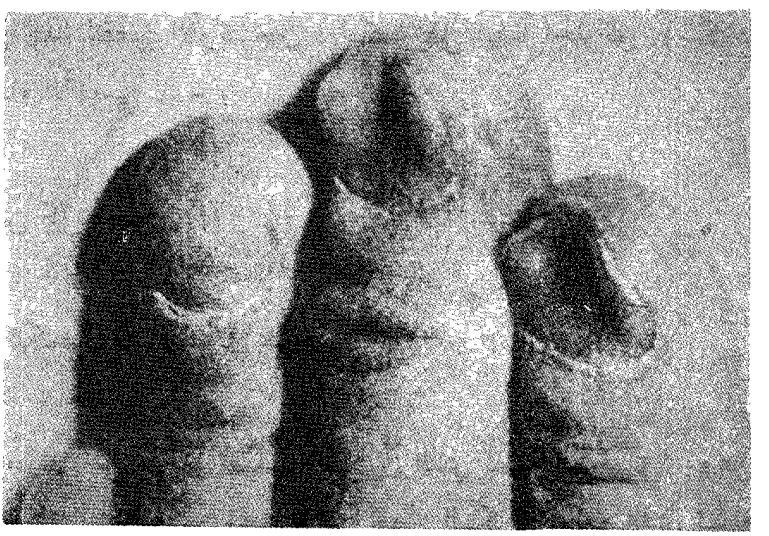

صورة لأظافر مريض أصيب بفقر دم نتيجة نقص الحديد ، لاحظ أن الظفر يشبه الملعقة

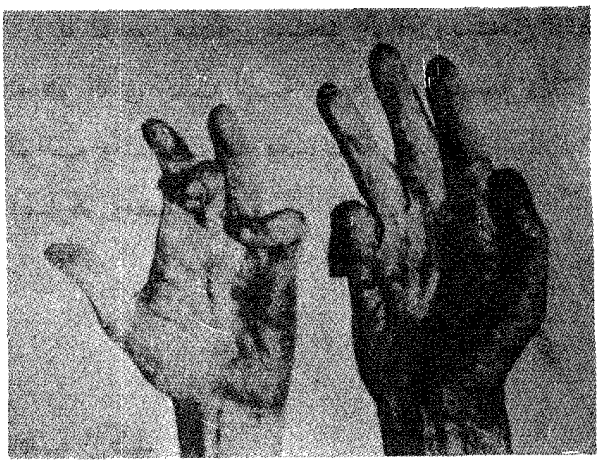

تقلصات «دوبترين» (Duptyrcne Contractures) وهي تقلصات وتليف باليدين نتيجة شرب الخمور وتليف الكبد .

كما تحتقن راحة مريض تليف الكبد أما أطراف أصابعه فتكون مثل رأس العصا أما أظافره فتكون بيضاء متشققة .

كما توجد انقباضات وتليفات في راحة اليد وفي الساعد تسمى تقلصات دوبترين أما ثدي مريض تليف الكبد فيتضخم عند الرجل ويصبح كثدي امرأة .. نعم كثدي امرأة وهو ما هو معروف باسم تضخم الثدي كما تضمر الخصية عند الرجل ويفقد قدرته على العمل الجنسي .

أما المرأة فتتوقف دورتها الدموية ويقف الحيض (الطمث) . كما يزداد نمو الشعر في ساقها ويدها ووجهها وتفقد رغبتها في الجنس .

عجيب أي عجيب يتجه الرجل نحو الأنوثة وتتجه المرأة نحو الذكورة . وكل ذلك نتيجة تليف الكبد واضطراب وظائفه .

وما ذلك إلا نتيجة الانغماس في شرب الخمور .

يا لها من عقوبة رهيبة يعاني منها شارب الخمر طوال حياته . مقابل لحظات يظن فيها أنه يسعد نفسه أو ينسى شقاءه وما درى أن الشقاء كل الشقاء هو في معاقرة ابنة الحان .

يا له من مسكين يستحق الرثاء ويستحق الشفقة ويستحق المساعدة .. نعم إنه هو الذي جلب لنفسه بيديه هذه المصيبة ولكن علينا مساعدته في شرح هذه النوائب والمصائب له ومساعدته في العلاج للإقلاع عن شرب الخمر وإقناعه بمضارها ومصائبها .

دهنية الكبد :

إن أهم أسباب دهنية الكبد هو تناول الكحول وخاصة عندما تكون مصحوبة بسوء التغذية و بمجرد تناول مائة جرام من الكحول يومياً لبضعة أيام يؤدي ذلك إلى دهنية الكبد وذلك يعادل لترين ونصف من البيرة أو ربع لتر من الويسكي أو البراندي أو الجين .

وبفحص الخلية الكبدية يتبين أن هناك تغييرات مرضية في كل مكونات الخلية الكبدية عند فحصها بالمجهر الالكتروني .

فالميتوكوندريا وهي رئة الخلية تفقد قدراتها خلال ٢٤ ساعة من تناول الخمور .

كما أن ريبوزوم الخلية – وهو مكون من الحامض النووي الريبوزي – يتأثر تأثراً شديداً . وريبوزوم الخلية الكبدية [ويدعى أحياناً ميكروسوم أو شبكية (الاندوبلازم)] هو المركز الرئيسي لإزالة السموم من الجسم فعن طريق الأنزيمات الخاصة به يمكن تحويل المادة السامة إلى مواد غير سامة أو على الأقل مواد أقل سمية .. كما أن الريبوزوم هو مصنع الخلية الكبدية .. وفيه تصنع بروتينات الجسم الهامة مثل الألبومين (زلال) الهام جداً لبلازما الدم والبروثرمبين البالغ الأهمية لتخثر الدم ومنع النزف .

فإذا أصيبت الخلايا الكبدية ومكوناتها تجمع الدهن من عدة مصادر كما سبق وأن ذكرنا وهي :

١ – الدهنيات الغذائية الممتصة من الأمعاء .

٢ – فشل الكبد في إحراق الدهون وتحويلها إلى طاقة . كما تفشل الكبد في تحويل الدهون إلى مركبات دهنية بروتينية أو مركبات دهنية فسفورية .

٣ – زيادة كمية الدهن الآتية من مخازن الجسم الدهنية .

ولذا تكون الصورة الاكلينيكية لدهنية الكبد قبل حصول المضاعفات هو ما يأتي :

تضخم الكبد :

فشل بعض وظائف الكبد المخبرية مثل فحص(B.S.P.)وهو فحص يتم بحقن المريض بمادة ملونة في الدم ثم أخذ عينة من الدم بعد مضي ٤٥ دقيقة فنجد أن هذه المادة قد اختفت لأن الكبد السليمة قد أخذتها . فإذا زادت كمية المادة عن ٥٠ ./ فإن ذلك يدل على فشل وظيفة الكبد في إزالة السموم . وهي كما نعلم وظيفة ريبوزوم الخلية الكبدية .

كما تظهر بعض الفحوصات الأخرى بعض التغييرات وأهمها أخذ عينة من الكبد وفحصه بالميكروسكوب فيرينا المواد الدهنية داخل الخلايا الكبدية . أما إذا تقدم المرض فنرى خلايا الكبد وقد تحطمت أو نرى آثار معارك تحطمها كما وصفها مالوري . وهي المادة الهلامية الحمراء التي تظهر وسط الخلايا الكبدية .

فإذا استمر المرء في تعاطي الكحول تحولت الصورة إلى دهنية الكبد المزمنة نرى بالميكروسكوب خلايا الكبد مليئة بالدهون كما نرى خلايا أخرى خالية من محتويات الخلية تماماً وهو ما يعبر عنه بالهلامية .

وهذه المرحلة تعتبر لا رجعة فيها فلا تعود الكبد لحالتها الطبيعية حتى لو توقف المرء عن تعاطي الكحول .

وهذه المرحلة لا تحصل إلا بتعاطي الكحول لمدة ثمان إلى عشر سنوات ..

فإذا استمر المرء في التعاطي رغم وصوله إلى هذه المرحلة المنذرة بالخطر الشديد فإن كبده تتحول إلى كومة من المواد الليفية الميتة .

أما إذا توقف المرء عن تناول الكحول فإن المرض يتوقف عند حده . وقد وضح ماركوفا صوراً عديدة لكبد شاب تعرض لاستنشاق الكحول مما أدى إلى دهنية الكبد . فقد توقف الشاب عن تناول الكحول أو التعرض لاستنشاقه . فبقيت كبده في نفس الحالة لمدة سنين طويلة .

وهناك حالات خاصة من دهنية الكبد متعلقة بشرب الخمور وهي :

(١) دهنية الكبد الصلبة الضخمة للشباب :

وتصيب خاصة الشابات أكثر من الشبان عندما يتعاطين كميات كبيرة من الكحول المركزة في الأشربة التي تحتوي على نسبة عالية من الكحول مثل الويسكي أو البراندي والجين .

وتكون الإصابة شديدة بالكبد وتنتهي سريعاً بالوفاة أما علاجها فميسور إذا توقف المريض في الوقت المناسب عن شرب الخمور وأعطي غذاء خالياً من البروتينات كما يعطى له جلوكوز بالوريد ولاكتولوز بالفم مع تهدئته بعقار الفاليوم .

(٢) مرض زيف :

وهو مرض وصفه الدكتور زيف عام ١٩٥٨ .. يصيب شاربي الخمور وعادة المدمنين منهم فتتضخم الكبد ويصاب المريض باليرقان (الصفراء) كما تزداد كمية الدهون في الدم زيادة شديدة . وتنحل كرات الدم الحمراء بكميات هائلة حتى تسبب فقر دم شديد انحلالي (أنيمياء انحلالية) .

وتكون الكبد متضخمة ومؤلمة وخاصة عند اللمس كما يصاب المريض بأوجاع شديدة في أعلى البطن وعادة ما تحصل هذه الحالة عند تعاطي كميات ضخمة من الكحول وخاصة من هو مصاب بسوء التغذية .

ولكن لحسن الحظ تختفي هذه الحالة وتشفى تماماً بعد أربعة أسابيع إلى ستة من التوقف عن شرب الخمور .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث عشر

الخمر وأمراض القلب والدورة الدموية

تسبب الكحول العديد من أمراض القلب بعدة طرق :

فمنها ما تسببه نتيجة نقص الفيتامينات مثل فيتامين ب ١ (الثيامين)(Thiamine) وهو المرض المشهور باسم بري بري (Beriberi) ومنها ما تسببه نتيجة للتأثير السمي المباشر على عضلة القلب مثل اعتلال عضلة القلب الكحولي (Alcoholic Cardiomyopathy) ومنها ما تسببه عن طريق زيادة دهنية الدم (Hyperlipideamia) وتصلب الشرايين ويؤدي ذلك بالتالي إلى الذبحة الصدرية (Angia Pectoris) أو إلى جلطة القلب (Coronary Thrombosis)

كما أن منها ما يؤثر بطريق غير مباشر مثل فقر الدم الشديد الذي يصحب كثيراً من حالات الادمان .. ومنها انخفاض ضغط الدم (Postular Hypotension) عند الوقوف والناتج من إصابة الجهاز العصبي التعاطفي (Sympathetic Nervous System) والذي يتحكم في انقباض الأوعية الدموية .. فإذا أصيب هذا الجهاز نتيجة شرب الخمور أدى ذلك إلى فقد التحكم في انقباض الأوعية الدموية فيؤدي ذلك إلى انخفاض ضغط الدم عند الوقوف من وضع الاستلقاء . ويؤدي هذا الانخفاض المفاجئ إلى نقص في الدورة الدموية المغذية للمخ وللقلب فينتج عن ذلك إغماء وقد تكون السبب والبداية في جلطة في الأوعية الدموية للمخ فيسبب ذلك شللاً – فالج – وجلطة في الأوعية الدموية للقلب أي جلطة القلب .

مرض البري بري (Beriberi)

وهو مرض مشهور وأكثر وقوعه في جنوب شرق آسيا وفي المساجين وأسرى الحرب ومدمني شرب الخمور .

والسبب في ذلك هو نقص فيتامين ب ١ (الثيامين) (Thiamine) الموجود في قشرة القمح وقشرة الأرز وفي كثير من الفواكه والخضروات والحليب واللحوم . ويظهر هذا المرض عند من يعتمدون في غذائهم على الأرز المبشور أي بعد إزالة قشرته ويظهر عند أسرى الحرب لسوء تغذيتهم كما يظهر عند المسجونين وبين الفقراء في جنوب شرق آسيا بل إنه يصيب الطفل الرضيع إذا كانت الأم تعاني منه فإن لبنها يصبح فقيراً في هذا الفيتامين وينتج عن ذلك الإصابة بمرض البري بري .

أما مدمنو الخمور فيصابون بنقص هذا الفيتامين نتيجة للعوامل التالية :

١ - سوء التغذية الناتجة عن شرب الكحول :

فمدمن الخمور فاقد لشهيته نتيجة التهاب المريء والمعدة المزمن ، كما أن تكرر القيء يفقد الجسم كثيراً من المواد الهامة . ويضاف إلى ذلك أن مدمن الخمور ينفق أمواله في شراء الخمر ولا يهتم بشراء الطعام الجيد .. وهكذا تتضافر العوائق المالية مع العوامل المرضية في تسبب سوء التغذية .

٢ - سوء الهضم والامتصاص :

ويضيف هذان عوامل جديدة لسوء التغذية .. فهضم الطعام سيئ نتيجة التهاب المعدة وامتصاصه عسير نتيجة التهاب الأمعاء .. كما أن إصابة الكبد تجعل المخزون من الفيتامينات فيها قليل جداً .

الكحول مادة ذات سعر حراري عالٍ وكل جرام من الكحول يطلق سبع وحدات حرارية ومن المعروف أن المواد الكربوهيدراتية - النشوية (Carbohydrates) تحتاج إلى كميات وافرة من فيتامين ب ١ حتى يمكن تمثيلها وتحويلها إلى طاقة وماء وغاز ثاني أكسيد الكربون .

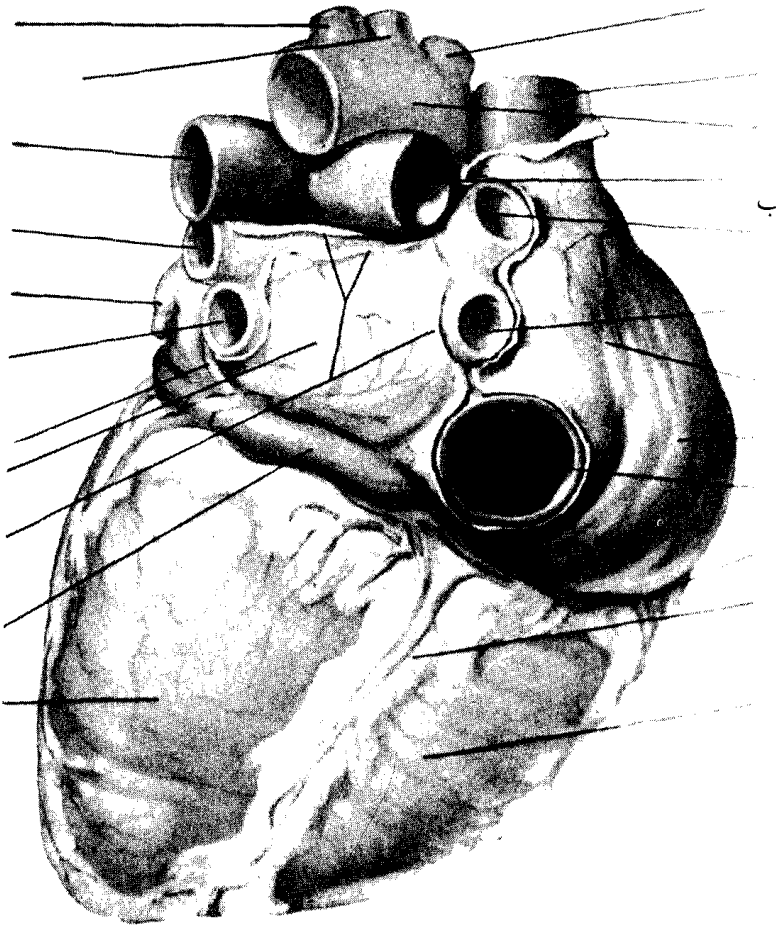

صورة تشريحية للقلب

أما الكحول فإنه يحتاج إلى أضعاف تلك الكمية من فيتامين ب ١ (الثيامين) .

ونحن نعرف أن جلوكوز الدم – سكر عنب – تأخذه خلايا الجسم وتحوله إلى طاقة وماء وثاني أكسيد كربون عبر عمليات كيميائية معقدة (أكثر من أربعين معادلة كيميائية) . ويتحول الجلوكوز ضمن هذه العمليات المعقدة إلى حامض البيروفيك (Pyrivic Acid) الذي يحتاج إلى فيتامين ب ١ لتحويله إلى حامض الاوكسال أستيك (Oxal Acetic) أو إلى حامض الخليك (Acetic Acid) اللذين يدخلان في دورة كريب الهامة .

حامض البيروفيك $\xleftarrow{\text{فيتامين ب١}}$ + ثاني أكسيد كربون $\longleftarrow$ حامض الأوكسال أستيك

ونتيجة لنقص فيتامين ب ١ في الجسم يزداد لذلك حامض البيروفيك في الجسم وفي الدم ويرتفع من نصف مليجرام في كل مائة سنتي من الدم إلى مليجرامين في كل مائة سنتي من الدم وتزداد بذلك حموضة الدم . ويؤثر هذا بالتالي على إنتاج الطاقة المطلوبة لعضلة القلب وهذا هو السبب في تأثرها .

ويحتاج الشخص البالغ إلى مليجرامين من هذا الفيتامين بينما يحتاج الطفل إلى مليجرام واحد .. وتزداد حاجة الأم أثناء الحمل أو الرضاعة .

ويسبب نقص هذا الفيتامين الإضطراب الذي شرحناه في إنتاج الطاقة من المواد النشوية أي من جلوكوز الدم على وجه الخصوص الذي هو الغذاء الأمثل للقلب والغذاء الوحيد للجهاز العصبي كمصدر للطاقة .

فإذا اضطرب مصدر الطاقة لهذين الجهازين الهامين تسبب ذلك في إصابتهما بالأمراض التالية :

الجهاز العصبي :

وسنوجز القول في ذكرها لأننا سبق وأن ذكرناها في باب أمراض الجهاز العصبي وهي :

١ – التهاب الأعصاب الطرفي المتعدد (Polyneuropathy) المؤدي إلى شلل الأطراف العلوية أي اليدين والساعدين والأطراف السفلية أي القدمين والساقين .

٢ – مرض فيرينكية الدماغي (Wernicke Encephalopathy) الذي يصيب المنطقة الوسطى من المخ مع إصابة أعصاب عضلة العين وعصب الرؤية .

٣ – التهاب عصب الرؤية (Optic Neuritis) المؤدي إلى العمى .

الجهاز الدوري والقلب :

يندفع الدم في الأوردة ويصب بواسطة الوريدين الأجوف العلوي والسفلي في الأذين الأيمن ومنه إلى البطين الأيمن من القلب . فيقذفه البطين الأيمن إلى الشريان الرئوي حيث ينقي الدم من ثاني أوكسيد الكربون ويحمل الأوكسجين

صورة لتمدد عضلة القلب مع وجود جلطات بها نتيجة تسمم كحولي بعضلة القلب .

الضروري للأنسجة من الرئتين إلى القلب ثانية فينصب في الأذين الأيسر ومنه إلى البطين الأيسر الذي يضخه إلى باقي الجسم بواسطة الشريان الأورطى (الأبهر) .

وتستغرق هذه الدورة حوالي ١٣ ثانية في معدلها فتسرع إذا جرى الشخص مثلاً فتقل مدتها إلى ٩ ثوانٍ أو تقل سرعتها أثناء النوم فتصل مدتها إلى ١٨ ثانية . كل هذا للشخص البالغ السوي الخالي من الأمراض أما مدمن الخمر فتسرع الدورة الدموية وتصل إلى ٦ ثوان أي أن الدم يأتي من الأوردة ويصب في القلب ومنه إلى الرئتين ثم يعود إلى القلب ومنه إلى الجسم بالشرايين في ست ثوان فقط أي عشر دورات كاملة في الدقيقة . وهذا الفحص يسمى دورة الساعد إلى اللسان أي تحقن المريض بمادة في الوريد باليد أو الساعد فتكمل الدورة ويطعمها المريض في لسانه بعد كذا ثانية .

ومعنى سرعة دورة الدم أي أن القلب يضطر إلى ضخ كميات مضافة فالقلب يضخ في العادة ٥ لترات من الدم في الدقيقة عندما يكون الشخص مرتاحاً أي لا يبذل أي مجهود وإذا بذل مجهوداً عضلياً زاد ذلك وخاصة التمرينات الرياضية كالجري وغيره .

أما في حالة المدمن فيضخ الدم عشرة إلى عشرين لتراً في الدقيقة حتى وإن كان الشخص مستلقياً . ودون أن يبذل أي مجهود عضلي . أي أن عمل القلب يتضاعف .

ويضخ القلب السليم ثلاثمائة لتر من الدم في الساعة على الأقل أو ٧٢٠٠ لتر في اليوم أما مدمن الخمر فيضخ أضعاف هذه الكمية .. وتصور أنت عضلة صغيرة تدفع بعشرة آلاف لتر يومياً دونما توقف أو كلل . وتدفعها عبر آلاف الأنابيب والقنوات التي نسميها بالأوعية الدموية وضد ضغط دم عالٍ أي ضد مقاومة تبلغ ١٢٠ مليمتراً من الزئبق أو ١٥٠٠ مليمتر من الماء .

إن هذه العضلة العجيبة المعجزة تقوم بهذا العمل الجبار دون أن تشكو أو تئن طالما أنها تجد الطاقة الآتية من سكر الدم – الجلوكوز – ولكن كما شرحنا كيف تعطل الكحول إنتاج هذه الطاقة الضرورية جداً لعمل القلب الجبار .. فتكون النتيجة أن يتضاعف عمل القلب بينما الوقود الموجود لأداء هذا العمل قد قل .. ويحاول القلب جاهداً أن يعوض النقص بأن يتمدد ويتضخم فتتضخم نتيجة لذلك عضلة القلب وتزداد من وزنها الطبيعي ثلاثمائة جرام إلى أضعاف ذلك .

وعندما نقوم بفحص عضلة القلب بالميكروسكوب – المجهر – نرى الخلايا العضلية للقلب متمددة وبها فراغات مليئة بسائل مائي كما نرى بعض الخلايا وقد استبدلت بألياف جامدة .

وعند فحص المريض نجد أن النبض سريع جداً كما نجد أن الفرق بين الضغط الانقباضي (Systolic B.P.) والضغط الانبساطي (Diastolic B.P.) كبير ونجد الأوداج منتفخة (Jugular Venous Pressure) كما نجد أقدام المريض متورمة بسبب الأوديما (Oedoma) وعند الاستماع إلى القلب بالسماعة الطبية نسمع لغطاً – نفحة – انقباضياً (Systolic Murmer) وهكذا نرى بوضوح أن المريض يعاني من هبوط القلب (Heart Failure) وتكون الكبد متضخمة كما قد تكون البطن منتفخة بالاستسقاء .

وتصاب الكبد من عدة نواحٍ فقد أسلفنا القول في إصابة الكبد نتيجة شرب

الخمور وبسطنا فيها القول . ويضاف إلى ذلك الاحتقان الناتج من هبوط القلب .

وقد لوحظ أن كثيراً من هؤلاء المدمنين يتوفون بسرعة مذهلة نتيجة هبوط القلب حتى في أرقى المستشفيات ورغم العناية الطبية الفائقة .. وتحدث الوفاة أحياناً خلال ٢٤ ساعة منذ بدء الأعراض وتعالج هذه الحالة بعلاج هبوط القلب المعروف أي الراحة التامة مع أخذ الدويجوكسن ومدرات البول بالإضافة إلى حقن المريض بفيتامين ب ١ في الوريد أو في العضل .

وسرعان ما يشفى مريض البري بري الناتج عن سوء التغذية أما مريض البري بري الناتج عن إدمان الكحول فإنه قد لا يشفى لأن عضلة القلب قد تكون مصابة باعتلال آخر ناتج عن سمية الكحول نفسه .

اعتلال عضلة القلب الكحولي (Alcoholic Cardiomyopathy)

تصاب عضلة القلب بالاعتلال نتيجة الآثار السمية للكحول وهذا النوع لا يشفى بإعطاء المريض فيتامين ب ١ . وذلك عكس مرض البري بري الذي يشفي المريض بإعطائه فيتامين ب ١ .

وتتضخم عضلة القلب وتتمدد الألياف العضلية كما نجد تحللاً مائياً (Hydropic Degeneration) في خلايا القلب عند فحصها بالميكروسكوب – المجهر – ونجد أن الفراغات بين الخلايا ممتلئة بالماء وهو ما يسمى الأوديما (Oedoma) كما نجد جلطات في جدار القلب من الداخل في كل من الأذين والبطين . ويصحب ذلك في العادة تليف الكبد .

وكل أنواع الخمور تصيب القلب بالاعتلال ولكن أخطرها وأسرعها إلى إحداث الوفاة هو الكحول المثيلي – كحول نشارة الخشب .

وللأسف فإن هذا الكحول الموجود في مزيل الطلاء والذي يمكن صنعه من تقطير نشارة الخشب يضاف إلى العرق في الأماكن التي تصنع فيها الكحول سراً . وقد حصلت منه وفيات عديدة في الولايات المتحدة أثناء المنع أي فيما بين عام ١٩١٩– و ١٩٣٣ .

كما أننا شاهدنا حالتي وفاة من هذا الكحول اللعين .

وغالباً ما تحصل الوفاة خلال ٢٤ إلى ٤٨ ساعة منذ بدء الأعراض .

وقد تحصل الوفاة بنفس السرعة عند شاربي الخمور الأخرى التي ليس بها كحول مثيلي .

وقد اشتهر رجال قبائل البانتو (Bantu) في جنوب إفريقيا بشرب الخمور وتسمى هناك شراب الكافر (Kaffir Drink) ووجد أن عدداً ليس بالقليل يصاب باعتلال عضلة القلب الكحولي كما أن كثيراً منهم يصاب بتليف الكبد .

وعند فحص المريض نجد تضخماً في القلب ولغطاً انقباضياً (Systolic Murmer) ولكن سرعة القلب والدورة الدموية أقل بكثير من سرعتها في مرض البري بري الذي أفضنا في ذكره .. بل إن عضلة القلب نتيجة للوهن الذي أصابها لا تستطيع ضخ كميات الدم المعتادة أي ثلاثمائة لتر في الساعة . بل تضخ أقل من ذلك وهذا ما يسمى هبوط القلب ذي الضخ القليل(Low Output Failure) عكس ذلك الهبوط الذي يحصل في مرض البري بري الذي يضخ القلب فيه كمية هائلة من الدم (High Output Failure)

وعند فحص النبض نجده مضطرباً وبه ضربات زائدة : (Extrasystoles) عكس تلك الموجودة في البري بري إذ يكون النبض سريعاً ومنتظماً أما هنا فهو غير منتظم وقد يصاب القلب بذبذبة أذنية (Auricular Fibrillation)

وقد يظهر اعتلال مفاجئ بعضلة القلب بصورة وباء عند من يشربون البيرة ونبيذ التمر .

كما ظهر ذلك عند شاربي نبيذ الطارئ وهو مشروب متخمر من شجرة تشبه النخلة وتوجد في أماكن متفرقة من العالم .

أما العلاج فيكون بالراحة التامة والتوقف عن شرب الخمور البتة وأخذ علاج القلب المعروف لدى الأطباء مثل الديجوكسين ومدرات البول والأوكسجين .

ويعطى المريض غذاء جيداً غنياً بالبروتينات والفيتامينات وخاصة فيتامين ب ١ الذي يعطى على هيئة حقن في الأيام الأولى ثم على هيئة أقراص بعد ذلك .

دهنية الدم والكحول :

إن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة في دهنيات الدم فترتفع نسبة التراجلسريد (Triglycerides)وهي مادة دهنية تتكون بالتفاعل بين الجلسرين وأحماض دهنية : ٣ أحماض دهنية + جلسرين (حلوين) = ثلاثي الجلسرين .

كما ترتفع نسبة الكوليسترول (Cholesterol) وذلك لأن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة كمية الدهون الممتصة من الأمعاء إلى الكبد كما أن الكبد تفقد قدرتها على أكسدة الأحماض الدهنية وتحويلها إلى طاقة فتتجمع هذه الأحماض على هيئة تراجليسريد باتحادها مع الجلسرول .

وتفقد الأنسجة أنزيمها الخاص بإزالة المواد الدهنية أو تتعطل وظيفة هذا الأنزيم (Lipoprotein Lipase)

فيؤدي ذلك إلى عدم قدرة الأنسجة على تخزين الدهون .

وهكذا تتضافر هذه العوامل لتسبب الزيادة الملحوظة في دهنية الدم لدى من يتعاطون الخمور ومن المعروف أن بعض الأشخاص لديهم استعداد وراثي لزيادة الدهون في الدم فإذا ما شرب مثل هذا الشخص الخمور فإن عليه أن يواجه متاعب عديدة لا حصر لها إذ سرعان ما ترتفع نسبة الدهون في دمه إلى أرقام عالية جداً وتترسب في جدار الأوعية الدموية مما يؤدي إلى تصلب الشرايين ومن ثم إلى جلطات .

يصاب بعض مدمني الخمور بمرض زيف (Zeive's Syndrome) وهو مرض خطير لا يصيب سوى المدمنين . وقد ذكرناه في باب أمراض الكبد ولكن نعيد فنوجز شرحه .

تظهر على المريض علامات فقر دم شديد نتيجة تكسر كرويات الدم الحمراء في مجرى الدم وفي الطحال بكمية هائلة تفوق تلك التي تتحطم في الشخص الطبيعي مرات عديدة .

ففي الشخص الطبيعي يحتوي كل مليمتر من الدم – والمليمتر واحد من الألف من اللتر – على خمسة ملايين كرة دم حمراء وبالجسم الإنساني خمسة لترات من الدم ومعدل عمر كرة الدم الحمراء هو مائة وعشرة أيام وتتحطم في كل ثانية ٢,٥٠٠,٠٠٠ – مليونين ونصف – كما يخلق الله مثلها في كل ثانية . أو مائتي مليار كرة دم حمراء يومياً أما المريض بفقر الدم الانحلالي (Hoemolytic Anaemia) فتتحطم أضعاف هذه الكمية فتصل الكمية المحطمة ومثلها المخلوقة من جديد ألفاً وأربعمائة مليار كرة دم حمراء يومياً .

وفي مرض زيف المذكور تزداد الكمية التي تتحطم من كرات الدم الحمراء حتى ينتج عن ذلك فقر دم – أنيما – شديدة .

وينتج عن زيادة تحطيم كرات الدم الحمراء وما بها من خضاب هيموجلوبين ينتج عن هذه الزيادة الكبيرة في الخضاب الهيموجلوبين (Haemoglobin) زيادة كبيرة في المادة الصفراء التي تتكون من عملية تحطيم الخضاب فتزداد هذه المادة الصفراء المسماة بيليروبين (Bilirubin) في الدم زيادة كبيرة مما يسبب اصفرار الجسم والملتحمة بالعينين ويكون لون البول شديد الصفرة بل ويضرب قليلاً إلى الحمرة .

وتتضخم الكبد وتكون مؤلمة عند اللمس ويشتكي المريض من ألم في الشق الأيمن لأعلى البطن .

وترتفع دهنية الدم في هذا المرض ارتفاعاً شديداً .

كما يصاب كثير من هؤلاء المرضى بالتهاب البنكرياس الحاد (Acute Pancreatitis) وهو مرض خطير يؤدي إلى الوفاة .

علاقة ارتفاع دهنية الدم بتصلب الشرايين

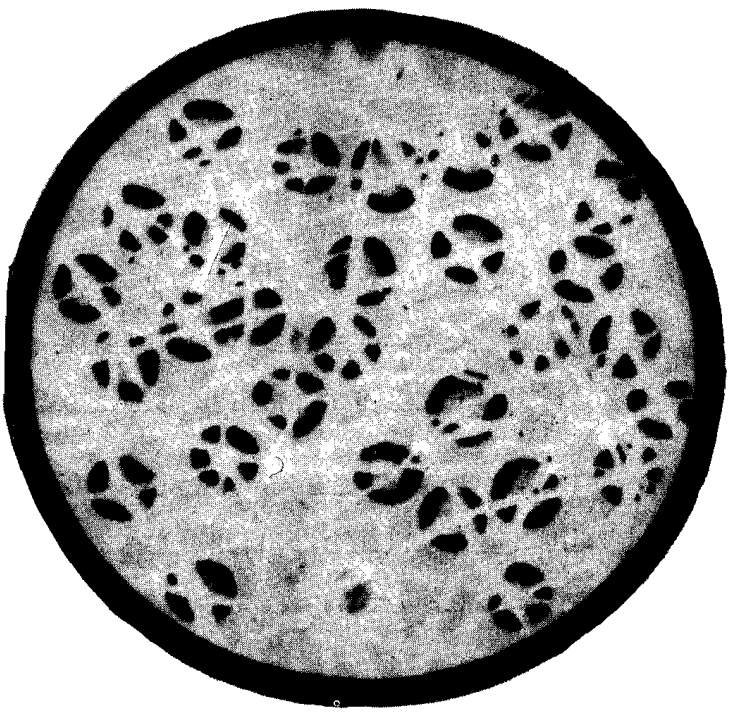

صورة لجلطة دموية

إن هناك علاقة وثيقة بين زيادة دهنية الدم وبين الإصابة بتصلب الشرايين . فتتجمع الدهنيات وخاصة الكوليسترول تحت غشاء الأوعية الدموية مما يسبب ضيقها وتصلبها .

وإذا لم يكن الغشاء الداخلي للوعاء الدموي (Intima) ناعماً فإن صفائح الدم تترسب على الجدار وتتكسر وتسبب تخثر الدم (Thrombosis) أي الجلطة .

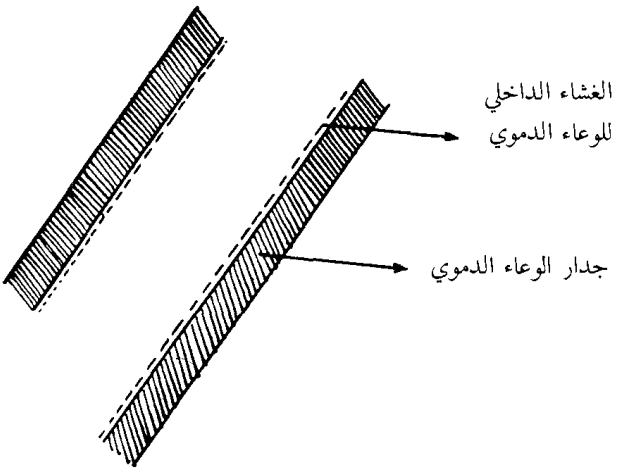

وعاء دموي : مقطع طولي لشريان سليم

وأنت ترى من الرسم أن الشريان يضيق نتيجة ترسب الدهنيات على الغشاء الداخلي للشريان (Intima) فتترسب الصفائح وتتكسر فتفرز خمائرها – أنزيماتها – الخاصة بالتجلط والتخثر (Clotting) فتحصل الجلطة .

وأهم هذه الجلطات هو ما يصيب الأوعية التاجية وهي الأوعية التي تغذي عضلة القلب ويعتبر ضيق الشرايين وتصلبها أهم سبب لجلطة القلب كما تعتبر أهم سبب لجلطات الأوعية الدموية للمخ وما ينتج عنها من شلل ووفاة .

وتعتبر هذه الجلطات أهم سبب للوفاة على الإطلاق وتسمى في الولايات المتحدة القاتل رقم واحد .

ولا شك أن شرب الخمور يرفع نسبة الدهون في الدم . وهذا بالتالي يؤدي إلى ترسيب تلك الدهنيات تحت الغشاء الداخلي للأوعية الدموية فيضيق الوعاء الدموي ومن ثم يؤدي الضيق إلى الاختناق والجلطة .

وهكذا يتبين أن الخمور تؤدي إلى جلطات القلب والمخ وإلى تصلب الشرايين بصورة عامة .

وليست كما كان يظن في السابق حتى في الدوائر الطبية من أنها توسع الشرايين التاجية .

ورغم أن الخمور تساعد مؤقتاً على تمدد الأوعية الدموية في الجسم عامة وعلى الأخص الأوعية الدموية المنتشرة تحت الجلد . إلا أنها تفقد هذا التأثير بالنسبة للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب .

فإذا جمعنا أثر الخمور مع أثر التدخين وكلاهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ، إذ أننا نادراً ما نجد من يشرب الخمر ولا يدخن أما العكس فقد نجده فإن الأمر يصبح خطيراً .

والتدخين بما فيه من مادة النيكوتين يسبب ضيقاً شديداً في الأوعية الدموية عامة ويرفع ضغط الدم ويزيد وجيب القلب – ضربات القلب – وتتعاون المادتان الخبيثتان في تضييق الشرايين واحدة بترسيب الدهون كما هو في الخمر والثانية بانقباض في العضلة الموجودة في جدار الوعاء الدموي وهو ما تفعله السجائر .

وبهذه الصورة تكون الخمور وخاصة مع السجائر أحد أهم الأسباب المؤدية إلى الذبحة الصدرية (Angina Pectoris) .

مقطع طولي في وعاء دموي لشريان ترسبت على جداره الدهنيات

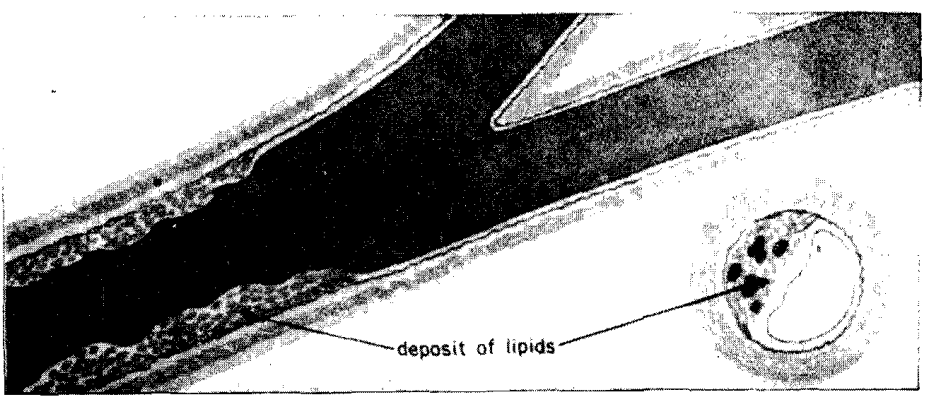

مقطع عرضي

مقطع طولي

وجلطة القلب (Coronary Thrombosis)

وقد زادت جلطات القلب في العالم زيادة مرعبة وأصبحت أهم سبب للوفاة على الإطلاق ولم تعد تصيب المتقدمين في السن كما كان ذلك في الماضي بل إنها صارت تصيب الشباب أيضاً . وقد كان من أندر النادر أن تصاب امرأة شابة بجلطة القلب أما الآن فلم يعد ذلك نادراً وقد رأينا نحن حالة من هذا النوع . وكانت تلك المرأة الشابة المصابة قد تعلمت التدخين وهي في سن الخامسة .. نعم في سن الخامسة من العمر وابتدأت تشرب الخمور عندما كانت في السادسة عشرة وانتهى بها الأمر إلى الجلطة في سن السادسة والعشرين ولعل القارئ سيذهل إن قلت له إن هذه المرأة لم نشاهدها في أوروبا وإنما شاهدناها في بلاد عربية مسلمة .

وجلطة القلب هي السبب الرئيسي لموت الفجاءة إذ أن ستين في المائة من الوفيات الناتجة من جلطة القلب تحصل في الساعات الأولى من الإصابة وثمانين في المائة من الوفيات تتم قبل مضي أربع وعشرين ساعة على الجلطة .

وكلما تقدم الطب زادت هذه النسبة وارتفعت الإصابة بجلطات القلب – وانخفض السن الذي يصاب به المرء .

وهكذا يزداد موت الفجاءة مصداقاً لحديث رسول الله عن زيادة موت الفجاءة في آخر الزمان .

وقد زاد زيادة مرعبة حتى سمي ذلك المرض القاتل رقم واحد . ورغم تقدم الطب وتقدم وسائله إلا أن هذا القاتل يغتال الملايين من البشر في جميع أصقاع الأرض وخاصة البلاد المتقدمة مثل الولايات المتحدة .

هذا ما علمناه من تأثير الخمور على دهنيات الدم وعلى الجلطات ، فهل لدهون الخنزير على وجه الخصوص مثل هذا التأثير .

لم تتضح بعد حسب علمي أي دراسة عن هذا الموضوع . وإن كانت الدهون الحيوانية متهمة على العموم .. ودهن الخنزير(Lard)به كثير من ثلاثي الجلسرايد

(Triglycerides) وهو مكون من جلسريل + باميتات وبه مواد أخرى كالوليسترول فهل لهذه الدهنيات على وجه الخصوص تأثير خاص ؟

لا أستطيع أن أقول إن هناك دراسات خاصة بذلك . ولكن من المؤكد أن هذه الدهنيات هي مما يسبب تصلب الشرايين وارتفاع دهنية الدم والجلطات .

وربما يظهر في القريب أن لدهون الخنزير خصوصية في ذلك . ولن نسبق الحوادث ولكن غداً لناظره قريب .

هبوط ضغط الدم (Postural Hypotension)

يسبب شرب الخمور انخفاضاً في ضغط الدم عند الوقوف من وضع الاستلقاء ويؤدي ذلك إلى الشعور بالدوخة فإذا انخفض كثيراً أدى إلى الإغماء . وقد يصاب المريض أثناء ذلك بجلطة في المخ أو في القلب نتيجة نقص الدم إلى تلك الأعضاء .

وخاصة إذا كانت تلك الأوعية مصابة بتصلب الشرايين كما هو معهود في كثير من المدمنين نتيجة زيادة دهنية الدم وأما سبب الانخفاض في ضغط الدم فذلك لأن الأوعية الدموية تنبسط وتنقبض حسب حاجة الجسم . فإذا وقف المرء فإن هذه الأوعية تنقبض حتى لا ينخفض ضغط الدم .

وضغط الدم ناتج عن اندفاع الدم في الأوعية الدموية ومقاومة الأوعية لمروره فأنت إذا دفعت الماء في أنبوبة فإن ذلك سيولد ضغطاً على جدار الأنبوبة . ولكن الأنبوبة ثابتة القطر ولا تستطيع أن تضيق قطرها أو توسعه أما الأوعية الدموية فقد منحها الله القدرة على الانقباض أو الانبساط حسب الحالة المطلوبة وذلك بواسطة الجهاز العصبي المسمى الجهاز السمبتاوي ـ أي التعاطفي (Sympathatic Nervous System) ويقوم الجهاز السمبتاوي بتغذية جميع الأوعية الدموية ويفرز مادة

الإدرينالين والنورادرينالين اللتين تقومان بتضييق أو توسيع مجرى الدم في الوعاء الدموي وذلك بجعل العضلة الموجودة في الوعاء الدموي تنقبض أو تنبسط .

ولكن شرب الخمور يصيب هذا الجهاز العجيب في الصميم فتنشل الأعصاب السمبتاوية وتبقى الأوعية الدموية بدون تحكم وكأنها أنبوبة من حديد . فإذا وقف المرء تجمع الدم أسفل الجسم وانخفض بذلك ضغط الدم فيقل الدم الذاهب إلى المخ أو القلب مما يسبب الإغماء والذبحة الصدرية .

فإذا كان الانخفاض في الضغط شديداً أدى ذلك إلى الجلطة .

كما أن للخمور تأثير آخر وهو تمدد الأوعية الدموية بالجلد والعضلات والأحشاء مما يسبب هبوطاً في ضغط الدم .

وهكذا تتضافر الطريقتان في تسبب هبوط الضغط .

والعلاج يكون بالتوقف الفوري عن شرب الخمور وعدم الرجوع إليها مطلقاً .

كما تعطى بعض المواد التي ترفع الضغط أو تلبس أربطة ضامة أو شراب ضام عند النوم بحيث إذا وقف المرء لم ينخفض الضغط انخفاضاً شديداً .

وينصح المرء بعدم الوقوف مباشرة من وضع المستلقي . بل عليه أن يجلس أولاً لعدة دقائق ثم يقف بعد ذلك .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع عشر

أمراض الدّم الناتجة عن شرب الخمور

الدم سائل لزج شفاف أحمر اللون يكون وردياً إذا كان محملاً بالأوكسجين في الشرايين نتيجة تأكسد ـ الهيموجلوبين ـ الخضاب كما يكون قاتماً عند حمله ثاني أوكسيد الكربون في الأوردة . وهو قلوي التفاعل وكثافته النسبية أكثر من كثافة الماء فتبلغ كثافته ١٠٦٠ .

ويتكون الدم ـ كما هو معروف ـ من سائل ـ بلازما ـ الدم ومن خلايا وتتكون الخلايا من :

١ – كرات دم حمراء .
٢ – كرات دم بيضاء .
٣ – صفائح .

ويكون الدم ٨ في المائة من جسم الإنسان . وبالإنسان البالغ خمسة لترات من الدم تكون البلازما منها ٥٦ بالمائة وتكون الخلايا الـ ٤٤ الباقية .

وتتكون البلازما ـ سائل الدم ـ من ماء وأملاح وبروتينات هامة هي الزلال ـ الألبومين ـ (Albumen) والجلوبيولين (Globulin) والفيبرونيوجين (Fibrinogen) ـ مولد الليفين ـ .

كما تحمل كل الأنزيمات ـ الخمائر ـ الهامة والهرمونات .

ووظائف الدم عديدة وأهمها ما يلي :

(١) نقل المواد الغذائية المهضومة من الجهاز الهضمي إلى الكبد وإلى كافة أجزاء الجسم .

(٢) نقل الأوكسجين من الرئتين بواسطة الخضاب الهيموجلوبين (Haemoglobin) الموجود بكرات الدم الحمراء إلى خلايا الجسم فتقوم الخلايا بحرق الجلوكوز الذي يحمله الدم أيضاً وتحويله إلى طاقة وثاني أوكسيد الكربون وماء .. ومرة أخرى يقوم الدم بتحويل هذه المنتجات كلها فهو ينقل الحرارة والدفء إلى أجزاء الجسم كلها كما أنه ينقل الماء إلى الكلي لإفرازه وينقل ثاني أوكسيد الكربون بواسطة الخضاب ـ الهيموجلوبين ـ إلى الرئتين لإفرازه مع هواء الزفير .

(٣) نقل مواد الإخراج أي المواد السامة التي تنتج عن تمثيل الغذاء أو غيره من المواد التي تدخل الجسم سواء بواسطة الحقن عضلية أو وريدية أو بطريق الفم وأهم هذه المواد هي البولينا التي تنتج من تمثيل المواد البروتينية وثاني أوكسيد الكربون الذي ينتج من انتاج الطاقة من المواد النشوية أو الدهنية أو البروتينية . وقد ذكرنا أن ثاني أوكسيد الكربون ينقل إلى الرئتين أما البولينا فتنقل إلى الكلي لإفرازها . كما تنقل مواد أخرى مثل ملح الطعام والماء مع العرق بواسطة الجلد .

(٤) نقل الهرمونات فتنقل هرمونات الغدد الصماء الهامة مثل الغدة النخامية الواقعة في أسفل الجمجمة والغدة الدرقية الموجودة في العنق والغدتين الكظريتين الموجودتين فوق الكليتين والخصيتين أو المبيضين حسب الجنس ذكر أم أنثى وجزر لانجرهان (Langerhan) بالبنكرياس التي تفرز مادة الأنسولين ذات الأهمية البالغة .

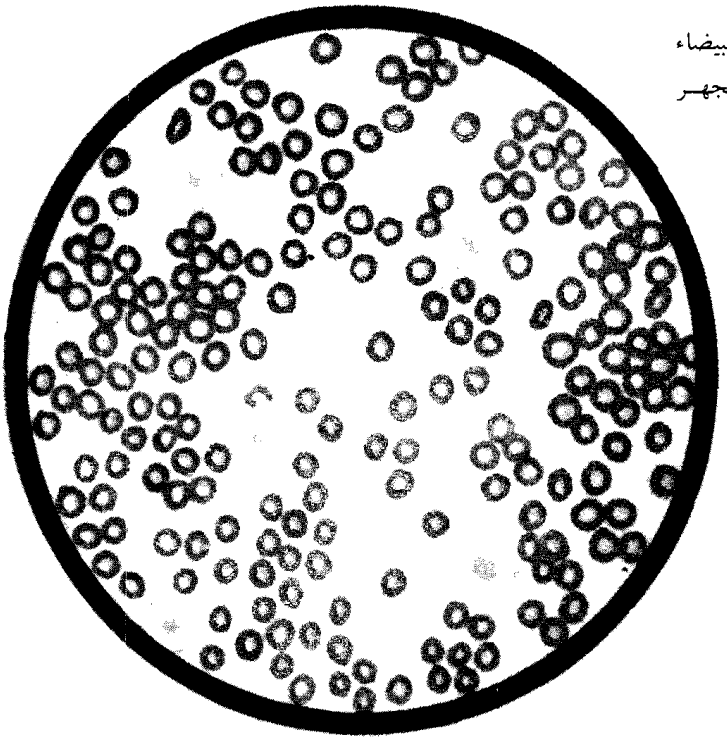

كرات الدم الحمراء والبيضاء كما تظهر تحت المجهر «الميكروسكوب» .

(٥) المحافظة على كمية السوائل الموجودة بالجسم وعلى درجة قلوية الدم والجسم .

(٦) تكوين وسائل الدفاع عن الجسم وذلك بواسطة كرات الدم البيضاء ، والمضادات البروتينية .

وتتكون الخلايا من :

١ – كرات الدم البيضاء (White Blood Corpuscles)

٢ – كرات الدم الحمراء .

٣ – الصفائح .

ونبدأ نبذة بسيطة عن كرات الدم الحمراء :

ويحمل كل ملليلتر من الدم ـ والمليلتر واحد من الألف من اللتر ـ خمسة ملايين كرة دم حمراء وعددها في جسم بالغ هو ٢٥,٠٠٠ مليار (والمليار ألف مليون) في أي لحظة من اللحظات ..

ويخلق الله ويميت منها في كل يوم مائتي مليار وفي كل ثانية مليونين ونصف كرة دم حمراء وفي حياة المرء يخلق الله ويميت ما يقارب خمسة مليون مليار أي خمسمائة كيلوجرام ..

وكرات الدم الحمراء عبارة عن خلايا لا أنواء لها وهي مستديرة كالأقراص .. ووظيفتها الأساسية هي نقل الأوكسجين من الرئتين إلى خلايا الجسم والوظيفة الأقل هي نقل ثاني أوكسيد الكربون من خلايا الجسم إلى الرئتين .

وأهم مادة موجودة في كرة الدم الحمراء الخضاب ـ الهيموجلوبين ـ وهي مكونة من بروتين وهو الجلوبين (Globin) والصبغة وهي الهيم (Haem) والصبغة مكونة من مادة الحديد ومواد كيماوية أخرى .

وتأتي أهمية الحديد في الخضاب من مقدرته على حمل الأوكسجين من الرئتين إلى الخلايا حيث يستعمل لتحويل الجلوكوز أو الدهنيات إلى طاقة وثاني أوكسيد كربون وماء مثل أي عملية احتراق عادية تحتاج إلى أوكسجين ليتم الاحتراق . ولكن الاحتراق هنا يتم ببطء وضمن أربعين عملية كيميائية معقدة حتى لا تنطلق الطاقة فتحرق الجسم بنارها . وإنما تنطلق على فترات حسب الحاجة إليها ويخزن الباقي على هيئة مادة فسفورية تدعى الـ أ . ت . ب . (A. T. P.)

وتصنع كرات الدم الحمراء في نخاع العظام .

وخاصة المفلطحة منها (Flat Bones) وأطراف العظام الطويلة عند البالغين أما الأطفال أو في حالات فقر الدم الشديد فإن النخاع بأكمله يشترك في صنع كرات الدم الحمراء . كما قد تساهم الكبد والطحال في مثل هذه الحالات .

وأهم عامل يؤدي إلى زيادة إنتاج كرات الدم الحمراء هو نقص الأوكسجين . ويستطيع النخاع أن يزيد من إنتاج كرات الدم الحمراء من مائتي مليار يومياً إلى ألف وأربعمائة مليار إذا لزم الأمر .

ويحتاج النخاع إلى المواد التالية كي يصنع كرات الدم الحمراء :

١) بروتينات
٢) حديد
٣) فيتامين ب ١٢ وحامض الفوليك

كما يحتاج إلى مواد أخرى بكميات ضئيلة مثل الكوبالت وفيتامين ـ ج .

أمراض كرات الدم الحمراء عند مدمن الخمر :

بما أن صنع كرات الدم الحمراء يحتاج إلى عناصر غذائية هامة هي البروتينات والحديد وفيتامين ب ١٢ وحامض الفوليك مع مواد أخرى بكميات ضئيلة مثل الكوبالت فإن أي نقص في هذه المواد يؤدي إلى نقص خطير وعيب في كرات الدم المصنوعة .

ونحن قد أسلفنا القول بأن شارب الخمر يعاني من نقص شديد في التغذية فهو يعاني من فقدان الشهية ومن القيء المتكرر ومن التهاب المريء والمعدة والأمعاء وما ينتج عن ذلك من سوء الامتصاص . كما أن الكبد نفسها تكون مصابة عند مدمني الخمور إصابات بالغة . والكبد مصنع هام لكثير من البروتينات ومخزن مهم للحديد . وحامض الفوليك وفيتامين ب ١٢ أي كل العناصر المطلوبة لصنع كرات الدم الحمراء .. فإذا أصيبت الكبد قل إنتاج البروتين وانخفض المخزون من الفيتامينات الهامة مثل ب ١٢ وحامض الفوليك ومن الحديد .

فقر الدم الناتج عن نقص الحديد :

ويؤدي التهاب المعدة إلى نقص إفراز كلور الماء ـ الهيدروكلوريك ـ الذي يساعد على امتصاص الحديد في الأمعاء كما أن مدمن الخمر يفقد شهيته ويفقد رغبته في الطعام وحتى إذا وجدت لديه الرغبة وقليلاً ما توجد فإنه ينفق ماله كله على الخمر بدلاً من الطعام الجيد .. وهكذا تتضافر هذه العوامل : تكرر النزف من دوالي المريء أو من البواسير (Piles) الناتجة عن تليف الكبد ويؤدي ذلك إلى نقص شديد بالحديد المخزون بالجسم .

ويؤدي نقص الحديد إلى تكون عدد أقل من كرات الدم الحمراء كما أن كرات الدم الحمراء تكون أصغر من حجمها الطبيعي ويكون الخضاب في كل كرة حمراء أقل من الطبيعي وهـذا يؤدي إلى نوع مـن فقر الـدم يدعى (Microcytic Aneamia) أي فقر الدم ذي الخلايا الصغيرة القليلة الصبغة . وبما أن الخضاب ـ الهيموجلوبين ـ هو الناقل للأوكسجين من الرئتين إلى الخلايا فإن نقص الخضاب يؤدي بالتالي إلى نقص الأوكسجين في الأنسجة والخلايا ويؤدي ذلك إلى إصابة الخلايا التي تتأثر بأي نقص في الأوكسجين وأهمها خلايا المخ ثم القلب . ولذا يعاني مريض فقر الدم من الإصابة بالإرهاق العقلي والجسدي . وقد تتضخم عضلة القلب كما قد نسمع لغطاً عند الاستماع إلى القلب بالسماعة الطبية ويكون اللغط نفخة انقباضية وعادة ما تكون قصيرة .

ويدخل الحديد في تركيب بعض الخمائر ـ الأنزيمات ـ الهامة لتنفس الخلية مثل أنزيم صبغ الخلية . والأنزيمات المؤكسدة
(Cytochrome, Cytochrome Oxidases)

كما يدخل الحديد في تركيب خضاب العضلات ـ الميوجلوبين (Myoglobin) ويؤدي كل ذلك إلى نقص الأوكسجين بالخلايا والأنسجة والعضلات .

فقر الدم الخبيث (Pernicious Anaemia)

إن هذا المرض الخطير يحدث نتيجة نقص فيتامين ب ١٢ ويحصل إما نتيجة مرض وراثي أو نتيجة لالتهاب المعدة المزمن الذي يؤدي إلى فقدان حامضية المعدة .. فتصبح المعدة في هذه الحالة غير قادرة على إفراز حامض كلور الماء الهيدروكلوريك .

وبما أن شرب الخمور يعتبر من أهم أسباب التهاب المعدة المزمن المؤدي إلى حالة اللاحامضية ، فإن شرب الخمور هو أحد أهم الأسباب المؤدية إلى هذا المرض الخطير الوبيل .

والمعدة عند الشخص السليم تفرز مادة تسمى العامل الداخلي (Intrinsic Factor) الذي يتحد بفيتامين ب ١٢ ويمتص في الأمعاء الدقيقة أما المعدة المريضة المصابة بالتهاب المعدة المزمن المؤدي إلى حالة اللاحامضية (Achlorohydria) فإنها لا تستطيع إفراز هذا العامل الداخلي (Intrinsic Factor) وبالتالي لا تستطيع الأمعاء الدقيقة أن تمتص فيتامين ب ١٢ الموجود في الطعام .

ونتيجة هذا العيب المشين يفقد النخاع ـ مصنع كرات الدم الحمراء ـ قدرته على إنتاج أعداد وفيرة من كرات الدم الحمراء وتبقى الخلايا الأم في النخاع كما هي دون أن تتحول إلى كرات حمراء كما ينبغي وما يتحول منها يكون كبير الحجم .

ولذا يدعى فقر الدم ذي الخلايا الكبيرة وتقل كرات الدم الحمراء في الدم من خمسة ملايين إلى مليون أو مليون ونصف ويقل الإنتاج من مائتي مليار كرة دم حمراء يومياً إلى خمسين مليار أو أقل .

ويؤدي هذا النقص المشين في كرات الدم الحمراء إلى نقصان قدرتها على حمل الأوكسجين فيقل بالتالي الأوكسجين إلى المخ والجهاز العصبي وإلى القلب وإلى بقية الأعضاء .. وبما أن القلب والجهاز العصبي هو أكثر الأعضاء تأثراً

بنقص الأوكسجين فإن ذلك يؤدي إلى تضخم عضلة القلب وإلى هبوط القلب . أما الجهاز العصبي فيصاب إصابات بالغة ابتداء من الجنون وانتهاء بالشلل بأنواعه العديدة . فالنخاع الشوكي والمخ والأعصاب الطرفية كلها تتعرض للإصابة الشديدة .

ولخطورة هذا المرض سمي بفقر الدم الخبيث لأنه عادة ما ينتهي بالوفاة إذا لم يعالج بحقن المريض بفيتامين ب ١٢ وتتحسن معظم الأعراض بعد بدء العلاج إلا أن بعضها قد يبقى حتى مع العلاج . ولكن من المؤكد أن الحالة تتحسن ولا يسوء أي من الأعراض المذكورة .

ويؤدي نقص حامض الفوليك إلى أنيميا ـ فقر دم ـ مشابهة لتلك الأنيمياء الخبيثة الناتجة عن نقص فيتامين ب ١٢ . وتكون كرات الدم الحمراء كبيرة الحجم وتؤدي إلى هبوط القلب كما أنها قد تصيب الجهاز العصبي إلا أنه من المؤكد أن إصابة الجهاز العصبي هي أقل بكثير من تلك التي تحدث في الأنيمياء الخبيثة الناتجة عن نقص فيتامين ب ١٢ .

وتعالج هذه بإعطاء المريض كميات من حامض الفوليك .

فقر الدم الانحلالي (Hoemolytic Anaemia)

يختلف فقر الدم الانحلالي عن كل ما سبق أن ذكرناه من أنواع فقر الدم فتلك التي ذكرناها ناتجة عن نقص المواد الخامة اللازمة للمصنع (النخاع) كي يصنع كرات الدم الحمراء . أما فقر الدم الانحلالي فالعيب ليس في نقص المواد الخام ولا في المصنع ولا في الإنتاج بل على العكس فإن الإنتاج وفير .. وأكثر من المعتاد .. والإنتاج اليومي هو مائتا مليار للشخص البالغ السليم .. أما في هذه الحالة فيتضاعف الإنتاج حتى يصل إلى ألف وأربعمائة مليار كرة دم حمراء يومياً ومع هذا فإن عدد كرات الدم الحمراء في الدم أقل بكثير من الطبيعي . فالشخص السليم يحمل في كل ملليلتر خمسة ملايين كرة دم حمراء

بينما في هذا المصاب بفقر الدم الانحلالي لا تزيد عن مليونين أو ثلاثة على الأكثر في كل ملليلتر .. فما هو يا ترى السبب في هذا النقص ؟ لقد بحث الأمر ووجد أن كرات الدم الحمراء تتحطم وتهلك بسرعة غريبة وتلاقي حتفها بمجرد خروجها من المصنع أو قد تطول بها الحياة أياماً ولكنها لا تصل إلى معدلها الطبيعي وهو مائة وعشرون يومياً .

وقد وجدت أسباب عديدة لانحلال كرات الدم الحمراء منها ما هو وراثي ومنها ما هو ناتج عن بعض السموم ومنها ما هو ناتج عن حساسية لبعض العقاقير والأدوية ومنها وهنا بيت القصيد ما هو ناتج عن شرب الخمور .. وقد وجد أن شرب الخمور يؤدي إلى زيادة دهنية الدم (Hyperlipaemia) وإلى فقر دم انحلالي (Hoemolytic Anaemia) وإلى إصابة بالصفراء ـ اليرقان (Jaundice) وهذه الثلاثة مجتمعة تشكل مرض زيف (Zeive's Syndrome) وهو مرض وصفه الدكتور زيف لدى شاربي الخمور ولا يصاب به غيرهم قط فيصفر جسم المريض وملتحمة العينين ويكون البول أصفر قاتماً أقرب ما يكون إلى الشاي الخفيف أو إلى البيبسي كولا .

ويصاب المريض بالرهق والإرهاق والتعب الشديد من أي مجهود كما يصاب بآلام في عضلات الساقين عند المشي ولو لخطوات بسيطة . وكثيراً ما يصاب نتيجة لفقر الدم وزيادة الدورة الدموية بهبوط القلب .

وأول علاج لهذا المرض هو الامتناع البتة عن شرب الخمور .. وقد يلزم في بعض الحالات نقل دم للمريض .

فقر الدم الناتج عن النزف (Blood Loss Anaemia)

يتعرض مدمنو الخمور للنزف المتكرر وذلك للأسباب التالية :

١ ـ تليف الكبد :

ويؤدي تليف الكبد إلى زيادة ضغط الدم بالدورة البابية (Portal Hypertension) مما ينتج عنه دوالي المريء (Oesophageal Varices) والبواسير (Piles) اللذان يتكرر منهما النزف ، وبهذه المناسبة نروي هذه الحادثة فقد سأل أحدهم الإمام جعفر الصادق أن يشرب الخمر للتداوي من البواسير فقال الإمام جعفر : لا ولا جرعة قال ولم قال لأنه حرام وأن الله لم يجعل في شيء مما حرمه دواء ولا شفاء . فانظر كيف كان الوهم يسيطر على الناس ويجعلهم يشربون الخمر للتداوي من البواسير والخمر أحد مسبباتها . وكيف يتداوى المرء بالداء ؟ ولكن انظر إلى إيمان الإمام جعفر الصادق فلا ريب لديه ولا تردد في صدق جده المصطفى عليه صلوات الله .. وهو الحق الذي لا مرية فيه . وإن قال الطب في زمنه غير ذلك . وقد رويت عن الإمام جعفر كثير من تلك الحوادث . فقد أصيب امرؤ من أتباعه بوجع فجاء إلى الإمام يخبره أن الطبيب قد نصحه بشرب الخمر فقال له ما يمنعك من الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ؟ قال لا يوافقني . قال : فما يمنعك من العسل الذي قال الله فيه شفاء للناس ؟ قال لا أجده قال : فما يمنعك من اللبن نبت منه لحمك واشتد عظمك ؟ قال لا يوافقني قال : تريد أن آمرك بشرب الخمر ؟ لا والله لا آمرك .

وينتج عن دوالي المريء أن يتقيأ المرء دماً وينتج عن البواسير أن يتغوط المرء دماً فاخسئ بها من حالة . دم من أعلى ودم من أسفل .. ويتكرر النزف حتى يودي بحياة المريض ويعتبر النزف هو أهم سبب للوفاة عند المصابين بتليف الكبد .

٢ ـ نقص الصفائح (Thrombocytopenia)

ويقل عدد الصفائح نتيجة ازدياد تحطمها وهلاكها في الطحال المتضخم نتيجة تليف الكبد .

والصفائح من أهم العوامل في إيقاف النزف .

والصفائح أجزاء من خلايا وليست خلايا كاملة وفي كل ملليلتر من الدم يوجد ربع مليون صفيحة . وللصفائح وظيفة هامة جداً في تخثر الدم ومنع النزف عند الإصابة . فإذا ما قطعت يد بآلة حادة مثلاً فإن الدم يتدفق من الأوعية الدموية ـ العروق ـ المقطوعة .. ولكن سرعان ما تتجمع الصفائح وتفرز مواد هامة لبدء عملية سريعة من التخثر ـ التجلط ـ كما أنها تصدر أوامر سريعة للأوعية الدموية المصابة والقريبة من الإصابة بالانقباض حتى لا يتدفق منها الدم .

وهكذا سرعان ما تقوم بوظيفتها في إيقاف النزيف .

ولنأخذ فكرة مبسطة عن كيفية تخثر الدم أو تكوين الجلطة .

إن للدم خاصية عجيبة في التخثر خلال دقيقتين وبعدها يجمد الدم مكوناً ما يعرف بالجلطة الدموية (Blood Clott) التي تبقى عائمة في سائل يعرف بالمصل (Serum) وإذا دققنا النظر في الجلطة بواسطة ـ الميكروسكوب ـ المجهر وجدناها مكونة من خيوط الليفين (Filbrin) وفي وسطها كثير من الكرات الدموية الحمراء والبيضاء .

وتتوقف عملية التخثر (Serum) على وجود :

١) الصفائح (Platlets) التي تفرز مادة الثرمبوجين ـ مولد الجلطة .

٢) مولد الليفين (Fibrinogen) وهي مادة بروتينية تصنعها الكبد .

٣) عدة مواد وخمائر أخرى يصنع معظمها الكبد نذكر منها عامل خمسة وسبعة وعشرة ومادة البروثرمبين (Prothrombin)

٤) وجود الكالسيوم بالدم .

كرات الدم الحمراء

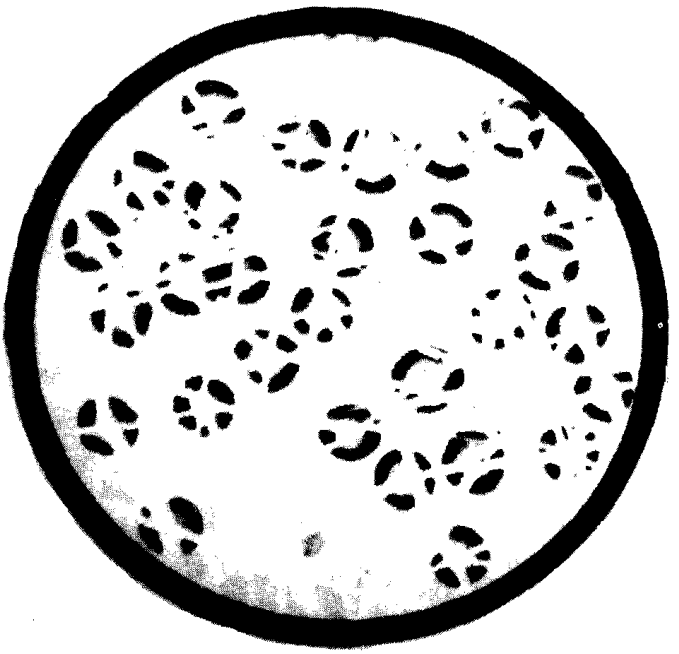

ولذا فإن إصابة الكبد بالتليف عند شاربي الخمور يؤدي إلى نقص المواد اللازمة للتخثر وأهمها مولد الليفين والخمائر الهامة كمعامل خمسة وسبعة التي تصنعها الكبد .

فإذا نقصت هذه المواد أدى أي خدش بسيط إلى نزيف مستمر وخاصة من المريء نتيجة وجود دوالي المريء (Oesophageal Varices) والشرج حيث البواسير ويكون من العسير إيقاف هذا النزيف وقد يودي بحياة المريض .

وهكذا يصاب مدمن الخمر بالنزف المتكرر نتيجة عدة عوامل :

١) وجود دوالي المريء والبواسير .

٢) نقص الصفائح .

٣) نقص المواد الهامة لمنع النزيف مثل مولـد الليفين (Fibrinogen) والبروثرمبين (Prothrombin) وعامل خمسة وسبعة وأحد عشر وكلها تصنعها الكبد .

وهكذا تتضافر هذه العوامل جميعاً فيتكرر النزف لدى مدمن الخمر ويصاب نتيجة لذلك بفقر دم وتكون كرات الدم الحمراء في هذه الحالة في حجمها الطبيعي في معظم الأحيان وهو ما يعرف بـ(Normocytic Anaemia) أي فقر دم ذي الخلايا العادية .. وأحياناً ينتج عن ذلك فقر دم ذو خلايا صغيرة .

كرات الدم البيضاء :

وتعتبر كرات الدم البيضاء أحد أهم وسائل الدفاع بالجسم .. وهي على أنواع وكل نوع منها متخصص في وظيفة معينة من وظائف الدفاع عن الجسم ضد الأجسام والميكروبات الغازية .

ويتراوح عددها في الدم ما بين أربعة إلى عشرة آلاف كرة دم بيضاء في كل ملليلتر من الدم .. وهو عدد أقل بكثير من عدد كرات الدم الحمراء التي تبلغ خمسة ملايين . وينتج معظم خلايا الدم البيضاء النخاع وما تبقى منها تنتجه الغدد اللمفاوية والطحال ولا تبقى هذه الخلايا بالدم كثيراً وإنما تذهب إلى الأنسجة ومواقع المعارك في الجسم حيث تشترك اشتراكاً فعلياً في التهام العدو أو على الأقل إيقاف نشاطه المعادي ويهلك الكثير منها أثناء هذه العمليات الدفاعية المجيدة . ولم يحدث أن فرت قط من معركة بل تقاتل حتى الموت .

وما الصديد والقيح إلا جثث هذه الخلايا التي قتلها العدو مع جثث الأعداء والناتجة عن هجوم العدو ..

فماذا تفعل الخمر بهذه الخلايا ؟ إن أهم وظيفة لهذه الخلايا البيضاء هي قدرتها على الحركة والتوجه فوراً إلى ميدان المعركة فهي أدوات قتالية متحركة لا تنتظر حتى يهجم عليها العدو بل تسارع إلى مواقعه بعد تلقيها الإشارة من مكان الإصابة أو مواقع الهجوم على الجسم فتغادر مسرعة الدم إلى تلك البقاع ولكن

الخمر تسكر هذه الخلايا وتفقدها قدرتها على الانطلاق والاندفاع والحركة نحو الأهداف المطلوبة فتبقى منزنحة في مسرى الدم دون أن تقوم بوظيفتها الأساسية . وليس هذا الكلام تشبيهاً أدبياً وإنما هو الواقع الفعلي الذي تقوم به الخمر وهو ما يعرف بالإنجليزية (Immobilisation) أي فقدان القدرة على الحركة والتوجه .

وهكذا تفقد كرات الدم البيضاء قدرتها على التوجه السريع لميدان المعارك لمواجهة القوى الغازية المعتدية عند مدمني الخمور .. فماذا تكون النتيجة ؟

لا يحتاج القارئ إلى كثير من الخيال ليتصور تلك النتيجة المرعبة لهجوم الأعداء على الجسم الإنساني وأهم وسائل دفاعه مشلولة .

فتجد الميكروبات والقوى الغازية نفسها بدون مقاومة تذكر فتشدد من هجومها ولا تجد من يصدها فيقع الجسم فريسة لها .. وهكذا تعتور الأمراض مدمن الخمر ولا يقتصر الهجوم على جهاز دون جهاز وإنما يشملها كلها .. ولكن أهم الأجهزة التي تصاب بالأنتانات (Infections) الناتجة عن الهجمات الميكروبية هو الجهاز التنفسي فتكثر الالتهابات الرئوية وفي كثير من الأحيان تكون مميتة .

ليس ذلك فقط بل تقوم المخلوقات الموجودة في أجسامنا والتي تعيش معنا في وئام وسلام (Symbiosis) تقوم هذه المخلوقات التي نضيفها في أجسامنا دون علمنا بهجوم ساحق ماحق عندما ترى الضعف يستولي علينا ، وعندما تعلم أن أجهزة الدفاع وأهمها كرات الدم البيضاء مشلولة نتيجة لشرب الخمور . وهكذا نرى المخلوقات الصغيرة تهاجم أجسام مدمني الخمور من كل حدب وصوب حتى تلك التي يستضيفها الجسم عادة دون أن تؤذيه .

تلك نبذة موجزة عن ما تفعله الخمر بالجهاز الدموي ولسنا نريد الإطالة ففيما ذكرنا الكفاية لمن أراد أن يرعوي وينتهي وإلا فهي نفسه وجسمه وعقله يحطمه ويرديه ويورده حتفه . ولسنا نملك له سوى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والله الهادي إلى سواء السبيل .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس عشر

الخمر وأمراض الجهاز التنفسي

التسمم الكحولي الحاد :

يصاب شارب الخمر بالتسمم الكحولي الحاد (درجة السكر الطافح) عندما يبلغ مستوى الكحول في الدم ٢٠٠ مليجرام ..

عندئذ تقل الأفعال المنعكسة الموجودة في الغلصمة أو لسان المزمار والتي تقوم بقفل الحنجرة عند البلع ..

وإذا عرف القارئ أن المريء (وهو مجرى الطعام) والحنجرة والقصبة الهوائية (وهي مجرى الهواء) يفتحان في البلعوم (Pharynx) .. وأن لسان المزمار أو الغلصمة تقفل فتحة الحنجرة تلقائياً أثناء بلع الطعام أو الشراب أو حتى الريق حتى لا ينساب الطعام أو الشراب إلى الحنجرة فنشرق ونغص به .

إذا عرف القارئ ذلك وأدرك أن لسان المزمار أو العلقمة أيضاً تسكر كما يسكر صاحبها لأدرك على الفور مدى الخطورة التي يواجهها السكران .

فقد يغص بلقمة طعام أو بشربة ماء أو حتى بريقه .. ويشرق به . فإذا شرق بذلك تجمعت الميكروبات والجراثيم في الرئة وسببت الالتهابات الرئوية الخطيرة مثل النمونيا (Pneumonia) الالتهاب الرئوي الحاد وخراج الرئة (Lung Abcess) والإبيميا (Empyema) وهو صديد وغسلين يتجمع في غشاء الرئة (البلورا) .

مدمن الخمر :

تقوم الخمور بإضعاف مقاومة الجسم للميكروبات من عدة جهات :

١ ـ شلل مباشر (Immobilisation) لخلايا الدم البيضاء والمسؤولة عن مواجهة الأعداء وهي أجهزة دفاع متحركة .. وبمجرد وصول النبأ إليها عن هجوم الأعداء على أي منطقة في الجسم تتوجه فوراً وبأعداد كبيرة عبر الدم حتى تصل إلى موقع العدوان ـ وهناك تبدأ معركتها الضارية مع الغزاة المعتدين .. ولا تتركهم إلا بعد أن تقضي عليهم أو تستشهد .. وما الصديد الذي نراه إلا جثث هذه الخلايا الباسلة مع جثث الأعداء الذين جندلتهم وصرعتهم في معركتها الرهيبة .

٢ – قلة إنتاج الأجسام المضادة للميكروبات (Antibodies) وهي أجسام تصنعها الخلايا اللمفاوية (البلغمية) وهي إحدى مجموعات خلايا الدم البيضاء .. ويقل إنتاج هذه المواد والأجسام المضادة نتيجة إدمان الخمور .

٣ – ضعف الجسم عامة لدى مدمن الخمر حيث يعاني من نقص في الفيتامينات والبروتينات ويؤدي ذلك إلى ضعف المقاومة .

٤ – فقر الدم الشديد الذي يعاني منه أكثر المدمنين مع تكرر النزف وتحلل كرات الدم الحمراء .

ويؤدي ذلك كله إلى أن تستشري الميكروبات في جسم المدمن .. وحتى المخلوقات التي نستضيفها عادة في أجسامنا دون أن تحدث لنا أي ضرر تستأسد عندما ترى الضعف والخور يعتور جسم المدمن فتقوم بالهجوم الساحق الماحق عليه .. ومن تلك المخلوقات فطر كانديدا ومجموعة من الميكروبات السبحية (Strept Veridans) ومجموعة من العصي (E. Coli) التي تعيش في أمعائنا دون أن تحدث في الغالب أي أضرار ..

كما أن هناك مجموعات أخرى مثل البروتيس (Proteus) والسيدومانس (Psendomones) والتي نادراً ما تصيب غير ضعيفي المقاومة ..

ولذا تكثر الأمراض والعلل لدى المدمنين وخاصة الالتهابات الرئوية المتكررة .. وخراج الرئة والأمبيايما (Empyema) .

الإدمان والسل الرئوي :

لقد ارتبط السل الرئوي وإدمان الخمور منذ فجر التاريخ بعضهما ببعض وقد ظهر ذلك بشكل ملفت للنظر أثناء الثورة الصناعية الكبرى التي مرت بها أوروبا كما يقول الدكاترة كابل وريحان في الكتاب الذي أصدرته الكلية الملكية للأطباء « مواضيع في المعالجة » (Topics in Therapeutic Vol. 4 1978)

وفي أوروبا وأمريكا وأستراليا أثبتت الدراسات أن انتشار السل الرئوي بين شاربي الخمور أعلى بكثير عما هي عليه بين من لا يشربونها .. وأن ذلك الانتشار يزداد لدى المدمنين ..

ومنذ أن أمكن القضاء على كثير من حالات السل الرئوي وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين فإن أغلب حالات السل الرئوي في أوروبا وأمريكا وأستراليا وجنوب أفريقيا هي من بين المدمنين .

وتقول الدراسات التي قام بها الطبيبان كابلن وريحان بأن حالات السل الجديدة التي قاما بدراستها ما بين أكتوبر ١٩٧٣ وديسمبر ١٩٧٦ في شرق لندن تنقسم إلى الآتي :

١ – مغتربون : وأغلبهم من الهند وباكستان وهؤلاء لا يعانون من الإدمان في أغلب حالاتهم .. وإنما يعانون من الفقر وازدحام المسكن ..

٢ – بريطانيون (بيض) بدون مأوى ويعانون جميعهم من إدمان الخمور وأغلبهم من أيرلندا واسكوتلنده حيث نزحوا منهما إلى لندن .

٣ – مجموعة اللندنيين .. ومشاكل الإدمان فيهم مثل بقية المجتمع الإنجليزي ..

وتقرر الدراسة أن علاج المدمنين أصعب لأنهم في الغالب لا يتقيدون بالاستمرار في العلاج إذا ما خرجوا من المستشفى ..

وفي أثناء بقائهم في المستشفى تمنع الخمر منعاً باتاً وتوضع رقابة كاملة لمنع تهريب الخمور إليهم .. وفي تلك الأثناء تتحسن حالتهم ويستجيبون للعلاج .. ولكن بمجرد خروجهم من المستشفى يعود أغلبهم إلى التسكع وشرب الخمور وإهمال العلاج ..

وتقرر الدراسة أيضاً أن جميع المدمنين تقريباً مسرفون في تدخين السجائر مما يزيد الطين بلة ويجعل العلاج عسيراً وشاقاً .

وهكذا ترى أن شرب الخمور يسهم إسهاماً فعالاً في زيادة الأمراض الصدرية وخاصة مرض السل الرئوي .. والالتهابات الرئوية الحادة وخراج الرئة والأمبيميا (Empyema).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس عشر

الخمر (الكحول) وأمراض الغدد والاستقلاب

الخمر ومرض السكر :

لعل القارئ الكريم يعلم أن مستوى السكر (الجلوكوز) في الدم لدى الشخص السليم يبقى في مقدار معين ـ فإذا صام لساعات طويلة فإن مستوى السكر في الدم لا ينخفض عن ٧٠ أو ٨٠ ميليجراماً .. أما إذا تناول وجبة سكرية أو دهنية أو نشوية فإن مستوى السكر لا يرتفع عن ١٨٠ ميليجراماً بعد هذه الوجبة التي حوت مئات الآلاف من الميليجرامات من السكر .

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد هيأ للجسم نظاماً خاصاً يحفظ به السكر في ميزان خاص لا يتجاوزه .. تماماً كما جعل للجسم موازين خاصة تحفظ مختلف المواد والهرمونات والحرارة وحموضة الدم في مستواها المعين المقدر لا تتجاوزه وإلا كان ما لا يحمد عقباه .. (وكل شيء عنده بمقدار) .

ومما يحفظ السكر في مستواه مادة الأنسولين التي يفرزها البنكرياس .. فاذا ما قلت نسبة هذا الانسولين فإن سكر الدم يرتفع عن معدله الطبيعي وينزل السكر عندئذ مع البول وتسمى الحالة عندئذ بالبول السكري .

ماذا يحدث لسكر الدم عندما يتناول أي شخص شيئا من الخمور ؟

إن ذلك يعتمد على المخزون من السكر في الكبد .. فإذا كان المخزون كبيراً فإن الكحول تقوم أول الأمر بإطلاق هذا المخزون وتزيد عندئذ نسبة السكر في الدم .. أما إذا كان المخزون قليلاً فإن سكر الدم يميل إلى الهبوط ..

وللكحول في مختلف نشاطات الجسم تأثيران :

١ – تأثير سريع أولي ..
٢ – تأثير بطيء .

فبالنسبة للسكر نجد الكحول تزيد من سكر الدم في أول الأمر ولكن لا يلبث ذلك إلا بضع ساعات حتى ينقلب الأمر إلى ضده فإن سكر الدم يهبط هبوطاً شديداً مفاجئاً حتى يسبب الغيبوبة ..

ولقد سجلت ١٥٠ حالة من هبوط السكر الشديد المسببة للإغماء حتى عام ١٩٦٨ م في الولايات المتحدة فقط .. وسجل في غيرها من الأقطار أعداد مماثلة وابتدأ الأطباء في التنبه والبحث عن هذه الحالات التي لم تكن تخطر على البال من قبل ..

ومما يزيد الطين بلة أن رائحة الخمر التي تفوح من فم ذلك المصاب والذي يعاني من غيبوبة نتيجة نقص السكر في دمه يأخذ في أغلب الأحوال إلى أقسام البوليس حيث يعتقد أنه سكران ..

وحتى لو أخذ إلى المستشفى فإنه في الغالب يعالج على أنه مصاب بغيبوبة نتيجة السُّكر والعربدة لا على أنه مصاب بغيبوبة نتيجة نقص السكر في دمه ورغم هذا فإن نسبة الوفيات في الحالات التي شخصت تشخيصاً صحيحاً كانت عالية فقد بلغت ١١ بالمائة من البالغين و٢٥ بالمائة من المراهقين (حسبما ذكره الدكتور فورساندر في كتابه «مشاكل الكيمياء الحيوية الناتجة عن الكحول ») .

وتمنع الكحول تحول السكر الموجود في الدم والخلايا إلى طاقة عبر دورة كريب الهامة .. وتزيد من حامض اللبنيك زيادة كبيرة مما يؤثر على مستوى قلوية الدم (تبقى درجة قلوية الدم شبه ثابتة عند ٧,٤ وإذا انخفضت إلى أقل من ٧,٢ فإن ذلك يؤدي إلى الوفاة) .

وهكذا تقوم الكحول بأثر مزدوج فتمنع تأكسد الجلوكوز وتحويله إلى طاقة وماء وثاني أكسيد الكربون وفي نفس الوقت تقلل من الوارد للدم من السكريات الموجودة في مخازن الجسم ..

وتسبب زيادة حموضة الدم بتراكم حامض اللبنيك مع نقص السكر الغيبوبة والتنفس السريع والمتقطع الذي وصفه كسماول (Kussmaul' Breathing) ويلهث المريض ويكابد مشقة في تنفسه ..

كما تزداد بذلك حدوث حالات داء النقرس .. وتزداد المواد المولدة للصفراء (Porphobilinogen) ويزداد الاستقلاب مما يشبه حالة زيادة إفراز الغدة الدرقية .

وبما أن الخمور تزيد من دهنية الكبد وكذلك يفعل مرض البول السكري فإن اجتماع شرب الخمور مع مرض السكر يؤدي إلى سرعة تراكم الدهون في الكبد وسرعة الإصابة بتليف الكبد .

كما أنه من المعلوم أن الكحول تزيد من كمية الدهون (الكوليسترول) والأحماض الدهنية في الدم وفي الشرايين .. وكذلك يفعل مرض البول السكري واجتماع هذين السببين يؤدي إلى تراكم الدهون على جدر الأوعية الدموية مما يسبب تصلب الشرايين وانسدادها .

وإذا أضيف إلى شرب الخمور ومرض البول السكري تدخين السجائر فإن الحلقة تكون قد اكتملت تماماً ..

فتقوم الخمور والبول السكري بترسيب الدهون على جدر الأوعية الدموية وتقوم السجائر (والتدخين عموماً) بتضييق مجرى هذه الأوعية بانقباضها وترسيب الصفائح على تلك الجدر المخشوشنة نتيجة ترسب الدهون وما تلبث تلك الصفائح أن تتجمع وتحدث الجلطة على تلك الجدر الضيقة .

وعندئذ نواجه مريضاً يعاني من جلطة القلب (القاتل رقم واحد في معظم أنحاء العالم) أو مريضاً يعاني من جلطة في شرايين المخ ونتيجتها الشلل (الفالج) . أو جلطة في أحد الساقين ونتيجتها الغرغرينا وبتر الساق .

الخمر وأدوية مرض السكر :

يستخدم مرضى السكر عدة أنواع من العقاقير والأدوية لخفض مستوى السكر في الدم ولكنها جميعاً تتلخص في الآتي :

١ ـ الأنسولين :

وهو المادة التي تفرزها البنكرياس والتي يعاني من نقص منها مريض السكر .. وتعطى في الغالب للأطفال وغير البالغين أو الشباب الذين يعانون من مرض السكر .. كما تعطى لحالات السُّكر الشديدة أو أثناء الغيبوبة السكّرية ولا يمكن تناول الأنسولين بالفم .. والطريقة الوحيدة لتناوله هي بالحقن وتتعاطى في الغالب تحت الجلد ما لم تكن الحالة خطيرة وتستدعي تعاطي الأنسولين بالوريد .

ومعظم الأنسولين المتواجد في الأسواق هو من بنكرياس الأبقار أو الخنازير وتجري الأبحاث الآن لتصنيعه من البكتريا وسيكون في ذلك مشابهاً تماماً لأنسولين الإنساني .

وإذا ما أخذ مريض السكر المقدار المقرر له من الأنسولين ثم تناول بعد

ذلك الخمور فإن ذلك يؤدي إلى انخفاض شديد في سكر الدم بحيث يسبب الإغماء والتشنج ..

وبما أن رائحة الخمر تفوح من فم ذلك الشخص فإنه في الغالب يؤخذ إلى أقرب قسم للبوليس حيث يظن أنه سكران .. وفي أغلب الأحوال يكون قد تسبب في حادث من حوادث المرور .. فيجعل تشخيص المرض عسيراً جداً .. حتى ولو انتقلت الحالة إلى المستشفى مباشرة .. ويعالج عندئذ على أنه فاقد الوعي نتيجة لشرب الخمور وللسُكر والعربدة أو لإصابته في حادث وارتجاج في المخ .. ويهمل السبب الحقيقي وهو انخفاض السكّر في الدم إلى درجة خطيرة .. مما قد يؤدي إلى وفاته دون معرفة السبب الحقيقي ..

وحتى لو لم يصل الأمر إلى درجة فقدان الوعي فقداناً كاملاً .. فإن ذلك الشخص يبدو وكأنه ثمل وإذا أصيب بحادثة وأدخل المستشفى وأعطي البنج لإجراء عملية له فإن ذلك يكون الضربة القاضية .. إذ أن تأثير البنج مع تأثير نقص السكر يؤدي إلى موت خلايا المخ .. وتكون النتيجة في الغالب وفاة المريض .. دون معرفة السبب الحقيقي لذلك .

٢ ـ الأدوية والعقاقير التي تتناول بالفم :

ورغم أن عدد هذه العقاقير كبير جداً إلا أنها جميعاً تندرج تحت فصيلتين من الأدوية :

المجموعة الأولى : وهي مشتقة من مركبات السلفا وتدعى سلفونايل يوريا وهي تشكل أغلب الأدوية الموجودة في الأسواق والتي يتناولها مرضى السكر ومنها الراستينون والديابنيز والديملور والدوانيل .. الخ .

وتعمل هذه المجموعة على زيادة إفراز الأنسولين من البنكرياس .. ولهذا

فهي لا تستخدم إلا لدى البالغين وفي أغلب الأحوال لا تستعمل إلا للمرضى الذين أصيبوا بالسكّر وهم قد تجاوزوا شرخ الشباب ودرجوا إلى الكهولة ..

إذ أن هذه المجموعة من المرضى لا يعانون من قلة إفراز الأنسولين من البنكرياس فقط بل يعانون من سوء استخدام الأنسولين المتاح لهم . ومع هذا فإن تنشيط البنكرياس بهذه المواد يجعلها تفرز كمية أكبر من الأنسولين ..

وذلك على عكس ما هو عليه مرض السكر عند غير البالغين من الأطفال واليافعين حيث أن البنكرياس لا يستطيع إفراز إلا القليل من الأنسولين مهما حاولنا تنشيطه ..

وإذا شرب مريض السكر الذي يتناول هذه الأقراص شيئاً من الخمر فإنه يتعرض فجأة لانخفاض سكر الدم انخفاضاً شديداً مما يؤدي إلى الغيبوبة وبمجرد أن ينخفض سكر الدم إلى ستين ميليجراماً فإن الشخص يشعر بالخفقان والرهق وترتعش أطرافه وتتزغلل الرؤية ويتشوش ذهنه .. ويزداد هذا التشوش بشرب الخمر ..

فإذا انخفضت نسبة السكر في الدم عن ذلك حصلت الغيبوبة والتشنج فإذا زاد الانخفاض حصلت الوفاة ..

وتحصل نفس المشاكل التي ذكرناها عندما تحدثنا عن الأنسولين وشرب الخمور .. ويصعب تشخيص الحالة .. ويظن أن الغيبوبة ناتجة عن الإفراط في الشرب والسكر ولا يعرف السبب الحقيقي وهو انخفاض نسبة السكر في الدم .

المجموعة الثانية : وهذه المجموعة من الأدوية مشتقة من مركبات الباجوانيد (Biguanides) وهذه تشمل الأدوية المعروفة تجارياً باسم دايبار وجلوكوفاج وقد قل استعمالها كثيراً بعد أن اتضحت مخاطرها .

إذ أن هذه المجموعة تسبب زيادة في حموضة الدم .. وبما أن الخمور

تسبب كذلك زيادة في حموضة الدم فإن تناول الخمور ولو بكميات بسيطة جداً مع تناول هذه الأدوية يؤدي إلى عواقب وخيمة ..

أولاها : زيادة حموضة الدم إلى درجة خطيرة تتوقف عندها عمليات الجسم الحيوية فتؤدي إلى الوفاة .

وثانيها : انخفاض شديد في سكر الدم مما يؤدي إلى الإغماء والتشنج وتحدث نفس المشاكل في التعرف على السبب الحقيقي للإغماء وذلك بسبب ما يفوح من فم المريض من رائحة الخمر ..

وخلاصة القول :

إن مريض السكر الذي يشرب الخمور ولو بكميات ضئيلة يتعرض لأخطار عديدة :

أولها : زيادة دهنية الكبد وتليفه .

وثانيها : زيادة مرعبة في جلطات القلب والدماغ وشرايين الساقين والقدمين بل وشرايين الجسم عامة .

وثالثها : زيادة مرعبة في أمراض الجهاز العصبي مثل شلل الأطراف والتخلج المخيخي لأنها جميعها تحصل من السكر ومن شرب الخمور فإذا اجتمع تأثير المادتين كان ذلك شبيهاً بتقريب النار من البنزين فيسبب ذلك حريقاً هائلاً لا يمكن إخماده .

ورابعها : ما يحدث من تفاعلات خطيرة بين الكحول وبين الأدوية المستعملة في علاج السكر مثل الأنسولين أو مجموعة مشتقات السلفا أو مجموعة مشتقات الباجوانيد .

وأخطرها نوبات الإغماء والتشنج التي لا يسهل التعرف على سببها والتي تؤدي في أغلب الأحيان إلى الوفاة .. كما أن مشتقات الباجوانيد تزيد من حامضية الدم وكذلك تفعل الخمور فيؤدي ذلك إلى مضاعفات خطيرة جداً .

الخمر وأمراض الغدة الدرقية :

إن الغدة الدرقية هي أحد الغدد الصماء الهامة في جسم الإنسان ونموه لاستمرار نشاط خلاياه وتحول المواد الغذائية إلى طاقة .. وإن الأطفال الذين يولدون بنقص في نشاط هذه الغدة يكونون مشوهي الخلقة وتبدو عليهم الدمامة والبلادة والعته وقصر القامة .. كما أنهم يكونون مصابين بالقصور العقلي وتوقف النمو الجسمي والذهني والعاطفي وتكون بطونهم منتفخة ويزداد ذلك الانتفاخ بوجود الفتق السري . وإذا لم يعالج هؤلاء الأطفال بسرعة بإعطاءهم هرمون الغدة الدرقية فإن أغلبهم يلاقي حتفه في بضع سنين أو يعيش مشوه الخلقة معتوهاً مدى الحياة .

ومع هذه الأهمية البالغة لهذا الهرمون فإن مستواه في الدم لا يزيد عن بضعة ميكروجرامات (والميكروجرام يساوي واحد على مليون من الجرام) . فإذا نقصت الكمية كان ذلك المرض المرعب وإذا زادت الكمية بضعة ميكروجرامات انقلب الحال إلى نشاط زائد دائب وإلى قلق وتوتر يذهب بالنوم ويذوي الجسد ويرهق الجسم والعقل .. وإلى ضربات سريعة في القلب وإلى ارتعاش وارتجاف في اليدين وإلى جحوظ في العينين وإلى زيادة في إفراز العرق .. وإلى إحساس دائم بالحرارة حتى في الجو البارد ..

وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ..

ماذا تفعل الخمور لنشاط الغدة الدرقية ؟

لقد أسلفنا القول بأن للخمر تأثيرين على مختلف أنسجة جسم الإنسان :

أولهما : تأثير سريع أولي

وثانيهما : تأثير بطيء مزمن .

فبالنسبة لسكر الدم مثلاً نراه يزداد أول الأمر ثم ما يلبث أن يهبط هبوطاً حاداً وكذلك الأمر بالنسبة لإفراز المواد الهاضمة من الفم إلى المعدة فنرى الخمور تزيد في أول الأمر من إفراز هذه المواد وعلى هذا الأساس تشرب منذ أقدم

العصور كفاتح للشهية ولكنها ما تلبث أن تقتل الخلايا التي تفرز المواد الهاضمة والتي تفرز كلور الماء (HCl) (حامض المعدة) وتنتقل بذلك من النقيض إلى النقيض ..

وكذلك تفعل بالنسبة للنشاط الجنسي إذ تزيل موانع الحياء والاحتشام وتزيل العقل الذي يصقل النوازع الهابطة فتنطلق في سعار جنسي وإجرامي .. فإذا استمر مفعول الخمر انقلب الأمر إلى عنة (وهي عدم المقدرة الجنسية) وإلى نقص في الباءة .. بل إلى نقص في هرمون الرجولة وزيادة في هرمون الأنوثة فتنمو الأثداء ويترهل الجسم .. ويتجمع الدهن في الأرداف والعجز ..

وإذا بذلك الرجل وقد فقد شعر ذقنه وبرزت أثداءه ورق صوته قد انقلب إلى أنثى وما هو بأنثى ..

وكذلك تفعل الخمر في نشاط الغدة الدرقية حيث تزيد من الاستقلاب فيزداد وجيب القلب ويرتفع ضغط الدم الانقباضي وينخفض ضغط الدم الانبساطي وتحتقن الراحة والوجه وتجحظ العيون وترتجف الأطراف .. ويحس الشخص بالحرارة حتى في الجو البارد في الوقت الذي يفقد فيه حرارة جسمه .. وهكذا يبدو التأثير وكأنه زيادة في الغدة الدرقية وإفرازها .. وزيادة في الاستقلاب والأيض وزيادة في استهلاك الأوكسجين والطاقة .. وزيادة في إدرار البول وزيادة في الإحساس بالحرارة ..

ثم ما يلبث الأمر أن ينتقل مع الإدمان إلى نقيضه .. وإذا المدمن مصاب بنقص في إفراز الغدة الدرقية(Myxodoema)واذا النشاط يهمد وإذا البلادة والفتور تعتور الجسم والذهن وإذا ضربات القلب تخفت وتقل سرعتها .. وإذا الدهن يتراكم تحت الجلد .. ويخشوشن الجلد ويكثف وإذا العيون الجاحظة قد أسبلت جفونها وكأنها في نعاس طويل لا تفيق منه .. وإذا الإحساس بالحرارة قد انقلب إلى إحساس بالبرودة حتى في الجو الحار .

كل ذلك تفعله الخمور بشاربها .. وكم تفعل الخمور بشاربها من عجائب وغرائب .

الخمر والغدة الكظرية (فوق الكلية) :

ولقد وصفت حالات شبيهة بمرض كوشينج (Cushing Syndrome) هو مرض يزداد فيه إفراز الكورتيزون من الغدة الكظرية زيادة شديدة فيحدث نوع خاص من السمنة في البطن مع ضعف الأطراف وهزالها .. ولين العظام وتورم الوجه واستدارته وارتفاع ضغط الدم مع زيادة في السكر في الدم وقد وجد أن الخمر تسبب عند بعض من يشربها هذا المرض الخطير وعلاجه الوحيد هنا هو التوقف عن شرب الخمور البتة .

الخمر والغدد الجنسية :

لقد فصلنا ذلك في فصل « هل للخمر منافع ؟ » فيرجع إليه القارئ الكريم .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السابع عشر

تفاعلات الكحول مع الأدوية

إن متعاطي الخمر قد يتعاطى مثل غيره من الناس مجموعة من الأدوية فهو قد يكون مريضاً بالسكر ويتناول لذلك الأنسولين أو أقراص الديابنيز أو الداونيل أو غيرها من أدوية السكر .. وقد يصاب بالصداع وكثيراً ما يصاب بالصداع بعد ليلة عبّ فيها من كؤوس الخمر أقداحاً وهو ما يعرف بالخمّار (Hang Over) فيتناول لذلك بضعة أقراص من الأسبيرين أو النوفالجين ..

أو قد يكون قلقاً فيتناول لذلك بعض الأقراص المهدئة مثل الفاليوم أو مكتئباً فيصف له الطبيب أقراصاً لتزيل الكآبة والضيق مثل التربتيزول أو البارستلين .

وهناك العديد من الأسباب التي تدفع بشارب الخمر إلى استعمال الأدوية أكثر من غيره من الناس ..

وهو من دون الناس كلهم عليه أن يجتنب الأدوية كلها أو يجتنب الخمور ..

فلقد كشفت الأبحاث الطبية الحديثة عن التعارض والتضاد الذي يحصل بين الكحول وبين العديد العديد من الأدوية والعقاقير ..

وقد أوضحنا في فصل الخمر وأمراض الغدد ما يحصل لمريض السكر عندما

يتناول دواء السكر من أنسولين أو من أقراص ثم يتناول الخمر .. وكيف أن ذلك يؤدي به في أغلب الأحيان إلى الغيبوبة الكاملة مع التشنج والصرع وكيف أن تشخيص تلك الحالة يصبح عسيراً جداً إذ يختلط الأمر على الأطباء فيظنون أن ما به ليس سوى السكر نتيجة الخمور وينسون أنه يعاني من انخفاض شديد في مستوى سكر الدم (الجلوكوز) .. وتنتهي كثير من هذه الحالات إلى الوفاة ..

ونحن نعلم مدى ارتباط الخمور بداء النقرس حتى لقد أسماه الأقدمون بداء الملوك إذ كان الملوك في تلك الأزمنة يكثرون من شرب الأنبذة كما يكثرون من أكل اللحوم فينتج من ذلك تلك الآلام المبرحة في المفاصل وخاصة مفصل الإبهام كما تزداد بذلك ترسبات حامض البوليك في الكلي مما يسبب كثرة الحصى بها . وله بعد ذلك تأثير في زيادة جلطات القلب والدماغ ..

وأدوية النقرس مثل الكولشيسين أو البيتوازولدين تتعارض جميعها مع شرب الخمور وتؤدي إلى إصابة الكبد إصابة بالغة .. كما إنها جميعاً تزيد من حالات قرحة المعدة وانثقابها .. وتكرر النزف منها .

أما أقراص الأسبرين والنوفالجين فإنها مع الكحول تزيد من نسبة الإصابة بقرحة المعدة وكثرة النزيف منها ..

وأخطر الأدوية والعقاقير مع الكحول هي الأدوية المهدئة والمنومة :

وهذه المجموعة الضخمة من الأدوية قد شاع استعمالها شيوعاً كبيراً في مختلف أرجاء الأرض .. ولا تزال في ازدياد .. واستعمالها في الغرب (في أمريكا وأوروبا) يفوق استعمالها في بلدان العالم الثالث أو البلاد النامية .. وذلك كما يقولون لانتشار حالات القلق والكآبة في المجتمعات الصناعية المتقدمة .. وبازدياد

الرفاهية كما يدعون تزداد حالات القلق والفصام والكآبة ويزداد بالتالي الإقبال على هذه الحبوب كما تزداد نسبة الانتحار ومحاولات الانتحار ..

وقد اشتهرت مؤخراً قصة الفتاة الأمريكية الشابة كارين كوينلان (Karen Ann Quinlan) التي أخذت قرصاً من الحبوب المهدئة الفاليوم ثم ذهبت إلى حفلة راقصة .. وما أن عبت من الخمر أقداحاً حتى أصيبت بالدوار وقاءت كما يفعل المخمورون وفقدت الوعي كما يفقدون ..

ولكنها لم تفق كما يفيقون ولا تزال في إغماءتها تلك الطويلة منذ تلك الحادثة في عام ١٩٧٥ إلى هذه اللحظة حسبما ذكرته صحيفة الهرالد تربيون في عددها الصادر ٢٩/٣٠ مارس ١٩٨٠ .

وقد نشرت الصحف والمجلات الأمريكية قصتها ومأساتها بتفصيل طويل آنذاك .. ونتيجة للتفاعل بين مادة الفاليوم والكحول حصل الإغماء الأول والقيء ومع القيء انقطع سريان الدم إلى المخ لدقيقة أو تزيد .. وهلكت بذلك خلايا المخ ولم يبق لها من خلايا مخها إلا تلك الموجودة في النخاع المستطيل حيث مراكز التنفس وتنظيم ضربات القلب ..

ونقلت الفتاة إلى المستشفى في نيو جرسي ورغم العلاج المكثف والتنفس الاصطناعي وتغذيتها بمختلف المحاليل إلا أن الأطباء أعلنوا لأبوي الفتاة أن لا أمل في عودتها إلى الوعي مطلقاً ..

وتحولت الفتاة إلى شبح مخيف مرعب وطلب الأبوان لابنتهما الرأفة والرحمة وتقدموا للأطباء بإراحتها من هذه الحياة التعيسة .. ورفض الأطباء قتل الرحمة (Euthansia) .. ورفع الأبوان قضيتهما إلى المحكمة طالبين أن يتوقف الأطباء عن معالجة ابنتهم وتركها لتموت بعد رحلة العذاب الطويلة ..

وبعد مداولات واستفتاء للرأي العام وضجة كبرى حكمت محكمة نيو جرسي العليا عام ١٩٧٦ بأن من حق المريض أو أهله أن يطلبوا له الموت بشجاعة وأن يترك ليموت .

وانصاع الأطباء لأمر المحكمة فأوقفوا الآلات وجاء أمر من فوق أمر المحكمة بأن تبقى الفتاة عبرة لمن اعتبر .. وبقيت الفتاة في غيبوبتها تلك رغم توقف الآلات منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا .. وهي لا تجد من العلاج إلا شيئاً من المحاليل لتغذيتها .. ومع ذلك فهي شبح مرعب لا يفيق أبداً ولن يفيق أبداً حسب تقرير الأطباء .

ولقد اكتشف الباحثون أخيراً أن هذه المواد المهدئة مثل الفاليوم والليبريم والباربيتورات تقوم بالإضافة إلى تثبيط نشاط خلايا المخ .. تقوم بمنع تأكسد الكحول الموجودة في الجسم ..

ومما تقدم في الفصول السابقة يعلم القارئ الكريم أن الكحول الأثيلي يتحول في الكبد بواسطة أنزيم خاص (Alcohol Dehydrogenase) إلى مادة شديدة السمية وهي الأستيلدهايد ثم ما تلبث الكبد أن تحول هذه المادة إلى حامض الخليك بواسطة أنزيم خاص (Aldehyde Dehydrogenase)

وحامض الخليك (Acetic Acid) هو الخل وهو مادة قليلة السمية .. فماذا تفعل هذه المواد المهدئة ؟

لقد اكتشف الباحثون (حديثاً جداً) أن هذه المواد تمنع تحول الاستلدهايد إلى حامض الخليك .. والأستلدهايد مادة شديدة السمية ولها تأثير سام وخطير على خلايا المخ على وجه الخصوص فتصرعه .. وذلك مما يؤدي إلى الدوار والرأرأة والقيء الشديد ثم يعقبه فقدان الوعي والغيبوبة الكاملة والتشنجات والصرع ..

الخمور وأدوية الكآبة :

تنقسم أدوية الكآبة والضيق على كثرتها إلى نوعين أو فئتين :

١ ـ **المجموعة الأولى** : وهي من مشتقات مركب كيميائي يدعى الترايسكليك (Tricyclic) وهذه تشمل الأدوية المعروفة بـاسم التوفرانيل ، الأميبرامين ، والأميتر بتالين .

وهذه المجموعة كلها تزيد من آثار الكحول وتسرع بالوصول إلى مرحلة السكر الطافح فالغيبوبة الكاملة . ومثالها مثال ما يحصل في الأدوية المهدئة مثل الفاليوم كما ذكرناه فيما سبق .

٢ ـ **المجموعة الثانية** : وهي تشمل مواد كثيرة أهم ما يجمع بينها أنها تعطل أنزيماً موجوداً في خلايا المخ .. وهو مهم لنشاط خلايا المخ وخلايا كثير من أنسجـة الجسم .. ويـدعى هـذا الأنزيم المعطل للمؤكسد الأميـني الأوحـد (Mono Amine Oxidase Inhibitor)

وتشمل هذه المجموعة عقار البارستلين والبارنات والنياميد وغيرها ..

وخطورة هذه المواد أنها إذا شربت معها الخمور تسبب ارتفاعاً شديداً في ضغط الدم مما قد يؤدي إلى انفجار الشرايين وخاصة شرايين المخ فتؤدي إلى الغيبوبة والوفاة أو إلى الشلل والفالج كما أنها تسبب ارتفاعاً شديداً في درجة حرارة الجسم يصعب معالجته (Hyper-Pyrexia) كما أنها تحدث هيجاناً شديداً يشبه حالات الجنون ..

ولهذا فإن الأطباء يحذرون من شرب الخمور وخاصة أثناء استعمال هذه العقاقير .

أدوية الحساسية :

إن الأدوية المضادة للحساسية كثيرة في أنواعها ولكنها جميعاً تتفق في أنها تصل بشارب الخمر إلى مرحلة السكر الطافح وفقدان الوعي بسرعة مذهلة .. ولو لم يتناول سوى بضعة كؤوس لا تسبب لشاربها في العادة سوى شيء من السكر الخفيف .

وأكتفي بهذه العجالة لأهم ما يكتنف استعمالات الأدوية مع شرب الخمور من مخاطر ..

والمجلات الطبية تأتي كل يوم بجديد من الأبحاث في هذا المجال وهو على كل حال مجال تخصصي .

وفيما ذكرناه غناء وأي غناء للمثقف والقارئ العادي ومن أراد المزيد من المعلومات وخاصة من الزملاء الأطباء فعليهم بمتابعة مجلاتهم الطبية ففيها كل يوم جديد .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المراجع

المراجع العربيّة

(أ) القرآن والتفسير :

(١) القرآن الكريم

(٢) تفسير ابن كثير – للامام اسماعيل بن كثير .

(٣) في ظلال القرآن – لسيد قطب

(ب) كتب الحديث النبوي :

(١) صحيح الإمام البخاري

(٢) صحيح الإمام مسلم

(٣) جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد – للإمام محمد بن محمد ابن سليمان .

(٤) الطب النبوي – للإمام ابن القيم .

(ج) الكتب الفقهية :

(١) المجموع شرح المهذب – للإمام النووي

(٢) الموسوعة الفقهية – كتاب الأشربة – إصدار وزارة الأوقاف – الكويت .

(٣) سبل السلام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام – للأمير الصنعاني .

(٤) فقه السنة – للشيخ سيد سابق

(٥) الخمر في الفقه الإسلامي – د . فكري أحمد عكاز

(٦) بداية المجتهد ونهاية المقتصد – للإمام محمد بن أحمد بن رشد (الحفيد)

(د) الكتب العامة :

(١) نحن والحضارة الغربية – أبو الأعلى المودودي

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن الندوي

(هـ) الكتب الطبية :

(١) أصول الطب الشرعي وعلم السموم – د . محمد سليمان

(٢) الكحول والمسكرات والمخدرات – د . لبيب بيضون

(و) الصحف والمجلات :

(١) جريدة المدينة – العدد ٤٧٩٢ – الصادر في ١٢/٢/١٤٠٠ هـ

(٢) مجلة الأمان – العدد ٦٣ – السنة الثانية – الصادر في ٢/٦/١٤٠٠ هـ الموافق ١٨/٤/١٩٨٠

(٣) جريدة الشرق الأوسط – العدد الصادر في ٢٦/٦/ ١٤٠٠ هـ الموافق ١١/٥/١٩٨٠ والعدد الصادر في ١٨/٨/١٤٠٠ هـ الموافق ١/٧/١٩٨٠ .

المراجع الانجليزية

1. Price Textbook of Medicine, 10th Edition.
2. Cecil & Loeb Textbook of Medicine, 13th Edition 1971.
3. Brain's Diseases of the Nervous System by Lord Brain 7th Edition 1969.
4. Textbook of Medical Treatment, 12th Edition 1971 By Stanely Alstead, Alastair Macgregor, Ronald H. Girdwood.
5. Diseases of the Liver and Biliary System By S. Sherlock 4th Edition 1969.
6. Clinical Pharmacology By Dr. Laurence 1967.
7. Alcoholism Explained By Dr. L. Williams, 1967 (Evans)..
8. The Fractioner Vol. 210 May 1973.
9. Gazatta Sanitaria English Issue Vol. XXII/No. I/1973.
10. Diseases of the Heart & Circulation 3rd. Edition. Paul Wood.
11. Learning About Alcohol By Samuel Miles.
12. Primer on Alcoholism By Marty Man. Eighth Impression.
13. Topics in Therapeutics, Vol 4 1978, Royal College of Physicians.
14. Islam and Alcoholism by M. Badri, American Trust Publications 1976.
15. Biochemical Problems in Alcohol Studies by Olof A. Forsander Das Medizinische Prisma.
16. Herald Tribune, 29th-30th March 1980.
17. Journal of the Royal College of Physicians of London. Vol. 12, No. 1, October 1977.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

الصفحة

مقدمة الطبعة الخامسة ٨
مقدمة الطبعة الأولى ١١
١ – **تعريف الخمر في اللغة والفقه والكيمياء** ١٧
٢ – **التداوي بالخمر** ٢٦
٣ – **هل للخمر منافع ؟** ٣٩
ـ الخمر والجنس ٣٩
ـ الخمر والهضم ٤٣
ـ الخمر والتدفئة ٤٣
ـ الخمر والشجاعة والكرم ٤٤
٤ – **نجاسة الخمر والكحول والكولونيا** ٤٩
٥ – **المشروبات الغازية والكحول** ٥٣
٦ – **تحريم الخمر** ٥٦
٧ – **الكحول وعلم الأدوية والكحول** ٦٤
ـ أقرابازين الكحول ٦٤
ـ تأثير الكحول على الجهاز العصبي ٧٠
ـ أطوار السكر
ـ السكر الخفيف ٧٤
ـ السكر البين ٧٤
ـ السكر الطافح ٧٥
ـ الكحول والجلد ٧٧
ـ الكحول وشرايين القلب ٧٩
ـ الكحول مدر للبول ٨٠
ـ الخمر والحمل والولادة والرضاعة ٨٠

الصفحة

ـ الخمر والجهاز الهضمي ٨١
ـ الكحول المثيلي أو كحول نشارة الخشب ٨١
- الخمر ومشكلة الإدمان وحلّها في الإسلام ٨٣
ـ أبعاد المشكلة ٨٣
ـ معنى الإدمان ٨٧
ـ أسباب الإدمان ٨٨
ـ وفرة الخمر ٨٨
ـ الاستثمارات الضخمة في صناعة الخمور ٨٩
ـ الدعاية للخمور ٩٠
ـ اضطراب الشخصية ٩٠
ـ المصاعب والمشاكل التي يواجهها المرء في حياته ٩١
ـ مشكلة الخمور وإدمانها في البلاد العربية والإسلامية ٩٣
ـ طبقة المدمنين في الغرب وفي البلاد العربية والإسلامية ٩٥
ـ العرب في لندن ٩٦
ـ لعنة الويسكي ٩٧
ـ تجربة كاتب هذه السطور ٩٨
- علاج الإدمان ٩٩
ـ تجربة الغرب في محاربة الإدمان ٩٩
ـ تجربة الولايات المتحدة في محاربة الخمر ١٠٠
ـ كيف حل الإسلام مشكلة الخمر ١٠٥
ـ المجتمع الجاهلي ١٠٥
ـ الإسلام يحل المشكلة ١١١
ـ المعجزة تتكرر في القرن العشرين مع السود في أمريكا ١٢١
٩ - وظائف الجهاز العصبي ١٢٧
١٠ - الخمر والجهاز العصبي ١٤٥
ـ القسم الأول ١٥١
ـ ضمور خلايا قشرة المخ ١٥١

الصفحة

ـ ضمور خلايا المخيخ ١٥٥
ـ مرض مارشيا فاڤا بيجنامي ١٥٦
ـ انحلال نخاع القنطرة الوسطى ١٥٧
ـ النوبات الدماغية الكبدية ١٥٨
ـ اعتلال العضلات الكحولي ١٥٩
ـ القسم الثاني ١٦٢
ـ الهذيان الارتعاشي ١٦٢
ـ الصرع ١٦٢
ـ الهلوسة ١٦٢
ـ القسم الثالث ١٦٩
ـ التهاب الأعصاب المتعدد ١٧٠
ـ مرض فرنيكيه الدماغي ١٧٥
ـ عصاب كورساكوف ١٧٦
ـ التهاب عصب العين المؤدي إلى العمى ١٧٦
ـ مرض البلاجرا ١٧٦

١١ – إصابات الجهاز العصبي الناتجة عن حوادث تقع بسبب تناول الخمور ... ١٧٩
ـ إرتجاج المخ ١٨٠
ـ تهتك المخ ١٨١
ـ انضغاط المخ ١٨١
ـ نزف تحت الأم الجافة ١٨٢
ـ شلل ليلة السبت ١٨٣

١٢ – الكحول والجهاز الهضمي ١٨٥
ـ الفم ١٨٥
ـ تقرحات الفم ١٨٦
ـ التهاب البلعوم المنتن ١٨٨
ـ إصابات المريء ١٨٩
ـ إلتهاب المريء المزمن ١٨٩

الصفحة

ـ قرحة المريء المزمنة ١٩٠
ـ سرطان المريء ١٩١
ـ القيء ١٩٢
ـ الفواق (الزغطة) ١٩٣
ـ فقدان الشهية ١٩٤
ـ الحموضة واللذع ١٩٤
ـ الخمور والمعدة ١٩٥
ـ التهابات المعدة الحادة ١٩٦
ـ التهابات المعدة المزمنة ١٩٨
ـ سرطان المعدة ٢٠٠
ـ قرحة المعدة والاثني عشر ٢٠٢
ـ الخمور والتهابات الأمعاء الدقيقة والغليظة ٢٠٣
ـ الكحول والبنكرياس ٢٠٤
ـ التهاب البنكرياس الحاد الدموي ٢٠٦
ـ التهاب البنكرياس تحت الحاد ٢٠٨
ـ التهاب البنكرياس المزمن ٢٠٨
ـ الخمر والكبد ٢٠٩
ـ تشريح الكبد ٢٠٩
ـ كيمياء الكبد الحيوية ووظائفه ٢١٢
ـ تمثيل الصفراء ٢١٢
ـ تمثيل الجلوكوز ٢١٢
ـ تمثيل البروتينات والأحماض الأمينية ٢١٣
ـ تمثيل المواد الدهنية ٢١٣
ـ إزالة السموم ٢١٤
ـ تأثير الخمر على الكبد ٢١٤
ـ خلل وظائف الكبد ٢٢٦
آثار التليف الميكانيكي ٢٣٠

الصفحة

ـ تضخم الطحال ٢٣٠
ـ ازدياد الضغط بالوريد البابي ٢٣٠
ـ النزف المتكرر ٢٣١
ـ دهنية الكبد ٢٣٦
ـ دهنية الكبد الصلبة الضخمة للشباب ٢٣٨
ـ مرض زيف ٢٣٨
١٣ ـ الخمر وأمراض القلب والدورة الدموية ٢٣٩
ـ مرض البري بري ٢٤٠
ـ الجهاز العصبي ٢٤٢
ـ الجهاز الدوري والقلب ٢٤٢
ـ اعتلال عضلة القلب الكحولي ٢٤٥
ـ دهنية الدم والكحول ٢٤٧
ـ علاقة ارتفاع دهنية الدم بتصلب الشرايين ٢٤٩
ـ هبوط ضغط الدم ٢٥٣
١٤ ـ أمراض الدم الناتجة عن شرب الخمور ٢٥٥
١٥ ـ الخمر وأمراض الجهاز التنفسي ٢٦٩
١٦ ـ الخمر وأمراض الغدد والاستقلاب ٢٧٣
ـ الخمر ومرض السكر ٢٧٣
ـ الخمر وأدوية مرض السكر ٢٧٦
ـ الخمر وأمراض الغدة الدرقية ٢٨٠
ـ الخمر والغدة الكظرية ٢٨٢
ـ الخمر والغدد الجنسية ٢٨٢
١٧ ـ تفاعلات الكحول مع الأدوية ٢٨٣
المراجع العربية ٢٨٩
المراجع الانجليزية ٢٩٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com